www.Olamaa.net

دائرة الثقافة والعلاقات

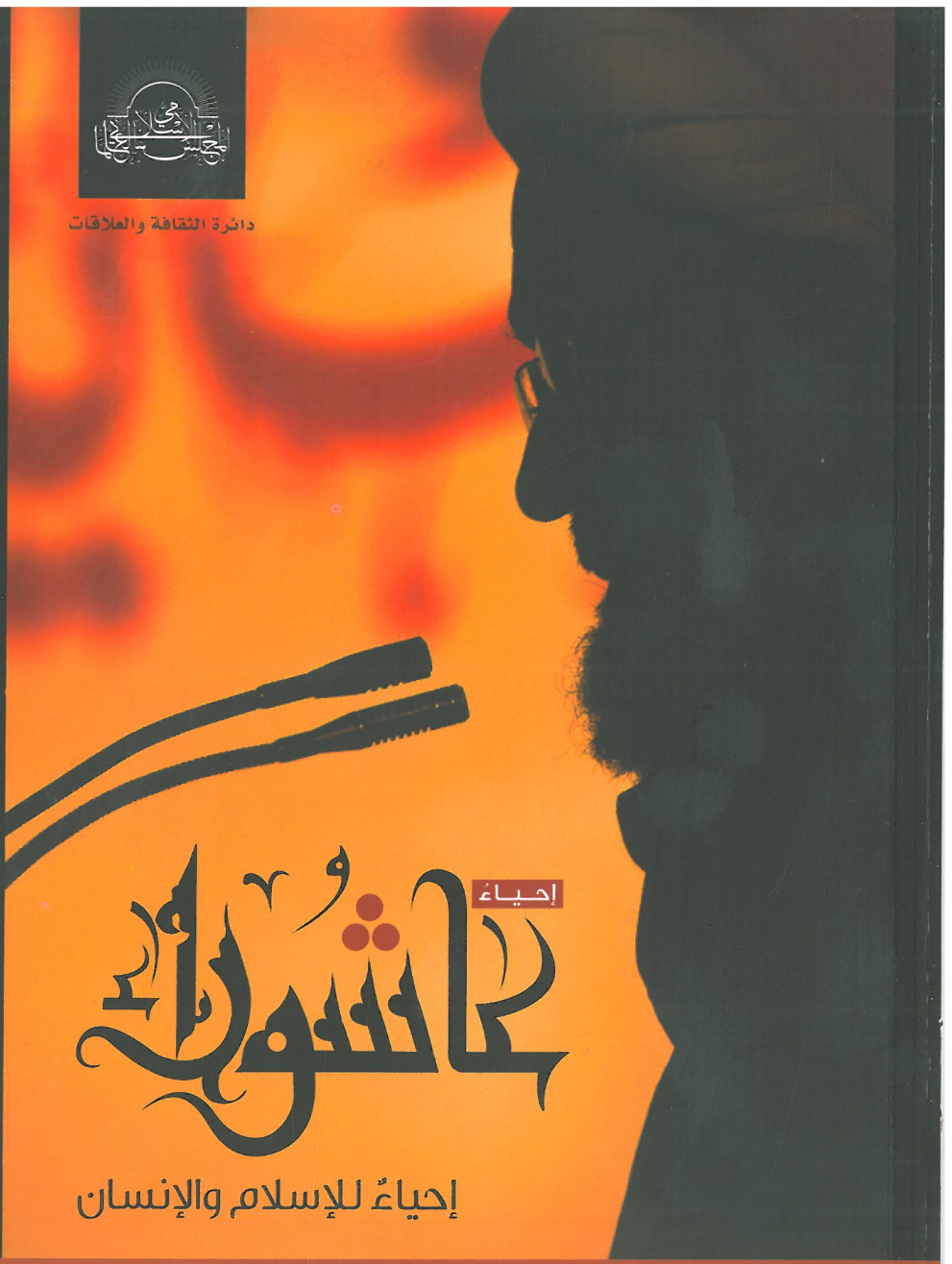

إحياءُ عاشوراء

إحياءٌ للإسلام والإنسان

سماحة آية الله
الشَّيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله تعالى)

السَّلامُ عَلَى الحُسَيْنِ

وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ

وَعَلَى أَوْلَادِ الحُسَيْنِ

وَعَلَى أَصْحَابِ الحُسَيْنِ

إحياءُ

عاشوراء

إحياءٌ للإسلام والإنسان

سماحة آية الله
الشَّيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله تعالى)

الطبعة الأولى، تشرين 2013

الـــنـــاشـــر: المجلس الإسلاميّ العلمائيّ
إصـــــــــدار: دائرة الثقافة والعلاقات
إعـــــــــداد: لجنة الكتابة والتأليف في حوزة المصطفى ﷺ
الشيخ سعيد المادح
المراجعة والتّدقيق: شعبة القلم

الفهرس

المقدمة ١٠

تمهيد

إحياء للإسلام والإنسان ١٢
معنى الإحياء ١٣
لماذا الاهتمام بعاشوراء؟ ١٤

الباب الأول
فلسفة إحياء عاشوراء

عاشوراء للأمَّة كلِّها ٢١
لماذا عاشوراء؟، لماذا إحياؤه؟ ٢١
ماهية موسم عاشوراء ٢٦
إحياء للإنسان ٢٧
إحياءٌ لأمر أهل البيت عليهم السلام ٢٨
سرّ التَّعبير بـ(أمرهم) ٢٨
فلسفة البكاء والعزاء على السِّبط وأهله ٣٣

الباب الثاني
شعيرة عاشوراء

معنى الشعيرة ٣٦
تعظيم الشعائر ٣٦
عاشوراء .. هل هو شعيرة من شعائر الله؟ ٣٧
حقيقة هذه الشعيرة؟ ٤٠
كيف نعظِّم هذه الشعيرة؟ ٤٣

الباب الثالث
إحياء عاشوراء وصياغة الواقع

الإحياء وصياغة الواقع ٤٦
المنهج في صياغة الواقع ٤٦
كيف يصاغ الواقع؟ ٤٦
إحياء عاشوراء ومتطلبات صياغة الواقع ٤٧
الصياغة الحسينية القرآنية ٥٠
أقرأ كلمات يسيرة ٥١

الباب الرابع
كيف نستقبل موسم عاشوراء؟

الإعداد الحقيقي ٥٤
العلاقة بين محرم وكربلاء ٥٥
بِمَ نستقبل هذا الشهر؟ ٥٥
رِضا الله رضانا .. دروس في حبِّ الله ٥٦

الباب الخامس
كيف نحيي عاشوراء؟

العمق اللازم لإحياء عاشوراء ٥٩
السؤال الأول ٦٠
السؤال الثاني ٦٢
السؤال الثالث ٦٣
السؤال الرابع ٦٤
كيف نحيي عاشوراء؟ ٧٠

الباب السادس
تطوير الإحياء

تطوير الإحياء وضوابطه ٧٤
نداء.. ..... ٧٥
ماذا نطوِّر من عاشوراء؟ ٧٦
من ضوابط التَّطوير ٧٦
الوزن الأكبر للمضمون ٧٧
لا تطوير إلا بدراسة ٧٧
مركز الدِّراسات الحسينيَّة ٧٧

الباب السابع
مؤتمرات عاشوراء

مؤتمر عاشوراء والاسهام في الإحياء ٨٠
أهمية المؤتمرات العاشورائية ٨٠
قيمة مؤتمر عاشوراء ٨٢
المطلوب للمؤتمر ٨٣
مسائل تتطلب الدراسة ٨٣

الباب الثامن
ملاحظات وإرشادات

مقدمة ٨٦
الإحياء الارتجالي والإحياء المدروس ٨٧
مواقف الحسين عليه السلام وعي وتخطيط ٨٨
وظيفة موسم عاشوراء ٨٨
الملاحظات والإرشادات
أوَّلًا: ملاحظات للوحدة والأخوة ٩٠
ثانيًا: ملاحظات للمنبر الحسيني ٩٤
ثالثًا: ملاحظات للحسينية والموكب ١٠٣

رابعًا: ملاحظات للشُّعراء والرَّواديد ١١١
خامسًا: ملاحظات حول المشاكل الخُلقية ١١٣
سادسًا: ملاحظات حول الشعارات ١١٧
سابعًا: ملاحظات حول البذل وموائد عاشوراء ١١٩
أخيرًا: اهتمامات أخرى ١٢٢
التوصية الأساس ١٢٣

الباب التّاسع
الفتن واستهداف الإحياء العاشورائي

أوَّلًا: الفتنة الطائفيَّة ١٢٦
ثانيًا: استهداف السواد واللافتات العاشورائيَّة ١٢٩
ثالثًا: الاستهداف الإعلامي ١٣٠

الباب العاشر
موسم عاشوراء وقضايا المجتمع والسياسة

كل أرض كربلاء، كل يوم عاشوراء ١٤٠
معارك ظاهرة، وأخطر مِنها المعارك الخفيّة! ١٤٢
احذروا الغزو الثقافي ١٤٣
معاداة أمريكا ومصالحتها ١٤٣
معركة أمَّة ١٤٥
معركة مفتوحة ١٤٦
نحتاجك ١٤٨
يوم عاشوراء الحسين عليه السلام لا يزيد ١٤٩
ثورة الرُّوح والقِيم ١٥٧
دعوة الآل عيش بنقاء، وبعد عن شقاء ١٥٨
الأمن والعزَّة معطيات عاشوريَّة ١٥٩
أعظم فداء لأعظم منشود ١٦٠
نحن وعاشوراء .. تعاطي الطَّرفين ١٦١

التَّجارب تغرينا في التَّعامل مع عاشوراء ١٦٢
التَّعاطي على مستويات ١٦٣
علينا دائمًا أن نكبر؛ لكي نتعاطى مع عاشوراء ١٦٣
الوابل وفير ولكن مَن يستفيد منه؟ ١٦٣
استفادة جديدة مع كل عاشوراء جديدة ١٦٤
تكامل الفكر والإرادة .. كربلاء نموذجًا ١٦٤
الإنسانية التي لا تنفعل مع القرآن وكربلاء، تبقى آسنة ١٦٦
كربلاء الثورية وكربلاء الانضباط ١٦٦
الحسين عليه السلام كان يستهدف النصر المادي والمعنوي ١٦٦
لا يمكن تأخير الحركة ١٦٨
كربلاء ودرس التنظيم: الانضباط، وطاعة القيادة ١٦٨
مقاييس الإمام عليه السلام للقيادة ١٦٩
ماذا نعطي كربلاء؟ ١٧٠
كربلاء الثورة الأم، وثورة الإمام الخميني (قدس) الثورة الشعاع ١٧١
نحو أسرة حسينية ملتزمة ١٧٢

الباب الحادي عشر
تساؤلات حول إحياء عاشوراء

الأسئلة من (١) إلى (٢١) ١٧٤

الخاتمة
ما بعد موسم عاشوراء

كيف دخلنا موسم عاشوراء؟ ٢٠٠
كيف دخل مَن كان قبلنا؟ ٢٠٠
لا مبالغة ٢٠١
بأيِّ حصيلة خرجنا من عاشوراء؟ ٢٠٣
حدِّد موقعك ٢٠٤
تقييم لما خرجنا به ٢٠٥
مسك الختام ٢٠٦

* المقدمة

يأتي هذا الكتيِّب الذي يتناول عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام بالدِّراسة والتَّحليل، والذي يحتوي على مجموعة من خطب الجمعة لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله تعالى)، وكلمات أخرى لسماحته كان قد ألقاها في مؤتمرات عاشوراء التي ينظِّمها المجلس الإسلاميُّ العلمائيُّ كلَّ عام، بالإضافة إلى كلمات أخرى له ألقاها في مناسبات متفرِّقة - والذي قامت حوزة المصطفى صلى الله عليه وآله للدِّراسات الإسلاميَّة التَّخصصيَّة في المجلس الإسلاميِّ العلمائيِّ بإعداد مادَّته مشكورة -؛ ليكون مساهمة جادَّة في بلورة وتنضيج رؤى الثَّورة الحسينيَّة المباركة، وخطوة من أجل ترشيد حركة الإحياء الحسينيِّ، وليمثِّل مفردة من مفردات إحياء الإسلام من خلال إحياء عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام.

والكتيِّب يشتمل على أفكار أصيلة، ورؤى ثاقبة لمختلف مفردات الإحياء العاشورائيِّ، وما يرتبط به من تأصيل شرعيٍّ، وترشيد ميدانيٍّ، وملاحظات قيِّمة، وتوصيات بنَّاءة، وقضايا حسَّاسة، ومحاورات شيِّقة، حيث كانت كلمات سماحة الشيخ مستوعبة لأهم جَنَبات الإحياء العاشورائيِّ، وارتباطه الأصيل بإحياء الإسلام في عقل وقلب وحياة الإنسان بما يضيئ للإنسان طريق الحياة الحقيقيَّة، والسَّعادة الأبديَّة التي تنطلق من مزرعة الدُّنيا إلى جنَّة الآخرة.

دائرة الثَّقافة والعلاقات

محرَّم الحرام ١٤٣٣هـ

* تمهيد

إحياء للإسلام والإنسان

* الإمام الذي أحيا الإسلام

الإسلام ليس حاجة طارئة، إنَّما هو حاجة الخَلْق إلى الله، والإمامة هي كذلك حاجة الخَلْق إلى الله، وحاجة الخَلْق للإسلام، إذ لا إسلام كما هو هو بالحقِّ إلا بالإمامة.

الإسلام والإمامة؛ من أجل الإنسان، صناعة فكره، رقيّ مشاعره، استقامة حياته، راحته في هذه الحياة، صحة علاقاته، تقدّمه، أمنه واستقراره.

الإسلام والإمامة؛ من أجل الإنسان الكامل، من أجل الإنسان الصاعد، ولا مجال، ولا طريق لسعادة حياة هذا الإنسان في الدنيا، ولا لسعادته في الآخرة من دون الإسلام العظيم بما فيه من قضية الإمامة.

وإحياء عاشوراء هو كيومها الأول من أجل الإسلام، من أجل الإمامة التي بها الإسلام، ومن أجل الإنسان الذي هو بالإسلام والإمامة.

وظيفة إحياء عاشوراء هي من وظيفة ثورة عاشوراء، ووظيفتها: إحياء الإسلام، إحياء الإنسان.

فلا شيئ يصدق عليه أنّه إحياء لعاشوراء بعيدًا عن الهدف الكبير الرسالي الإلهي الذي تحرّكت على طريقه ثورة عاشوراء، فلنقسْ كلَّ نشاطاتنا التي نريد أن نطلق عليها أنها إحياء لمحرّم بمقياس الموافقة مع الحكم الشرعي، وتحقيق الهدف الإلهي، فما كان منها موافقًا للحكم الشرعي، منسجمًا مع الهدف الإلهي فهو إحياء، وإلا كان إماتة.

ما عظمة كربلاء إلا من التزامها خط الإسلام، وتقيّدها الكامل الدقيق بكلّ قيمة من قِيَمِه، وبكلِّ حكم من أحكامه.

ولا عظمة لإحياء الذكرى إلا بذلك، إحياء ذكرى كربلاء ليس أكبر من كربلاء، وكل ما لكربلاء من قيمة عالية إنما هو من سموّ هدفها، من صدق إمامها، من تقيّدها بالحكم الشرعي في الموقف الكبير وفي الموقف الصغير، في الموقف الفردي، وفي الموقف الجماعي.[1]

* معنى الإحياء

إحياء الإسلام، إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما معنى ذلك؟

الحقّ لا يبطل، وعليه فأمر الاسلام حيٌّ، وأمر أهل البيت عليهم السلام حيٌّ، فكيف نحييهما؟

الإسلام في نفسه لا يحتاج إلى إضافة، والإضافة تضرّه.

الإسلام المنقذ هو إسلام بلا نقيصة ولا تزيّد، والاجتهادات تنقص منه وتزيد.

نحن نزيد في العقيدة، نزيد في الشريعة، ننقص من العقيدة، ننقص من الشريعة، تنحرف بعض المفاهيم عن خطّها باجتهادنا، وعن إخلاص أحيانًا.

نحاول أنْ نصل إلى الصورة الواقعيّة للإسلام إلا أنّنا لا نملك ذلك، فما هو إحياؤنا للإسلام، ولأهل البيت عليهم السلام وهم أكبر منّا؟

أمر أهل البيت عليهم السلام حيٌّ، الإسلام حيٌّ، ولكنّه هل هو حيٌّ في النّاس؟

إحياء الإسلام، إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بمعنى أنْ نفتح القلوب على الإسلام، أنْ نوصل كلمة الإسلام إلى العقول، إلى القلوب، أنْ نقيم أوضاعًا إسلاميّة في سلوكيّاتنا الفرديّة، في إطار الأسرة، في إطار المجتمع، فهو إحياء لأمر الإسلام، ولأمر أهل البيت عليهم السلام في عقول الناس، في قلوب الناس، في واقع حياة الناس، وهذا يحتاج إلى جهد.

١- خطبة الجمعة (٣٠٨) ٩ محرم الحرام ١٤٢٩هـ، ١٨ يناير ٢٠٠٨ م.

هـذا الإحياء لا يمكـن أنْ يتوسّل بباطل، لأنّه إحياء للحقّ، والحقّ لا يقبل الباطل، ولا يمكن أنْ يرتكب مخالفة شرعيّة.

والإعـلام وسيلة مـن وسائل هذا الإحياء فـلا تتعداه هدفًا، ولا ترتكـب ما يأباه بطبيعتـه التـي هي من طبيعـة رسالة الإسـلام، ورسالة الإمـام الحسين عليه السلام البعيـدة كلّ البعـد عـن التوسّل بالباطـل، عن ارتـكاب المخالفـة الشرعيّة، عن الهبـوط في الوسيلة والأهداف، عن نسيان وحـدة الأمّة وأهميتها، والحفاظ على كيانها الواحد، ورعاية مصلحته العليا.[٢]

*** لماذا الاهتمام بعاشوراء؟**

أريد أنْ أضع الإجابة في نقاط:

النقطة الأولى: يوم من أيّام الله

كربلاء يوم من أيام الله العظمى بمنطلقها، برؤيتها، برمزها، بنهجها، بهدفها، بفاعليتهـا وأثرهـا، بامتدادها، بصلتها بالماضـي، بأوّل يوم من أيـام الإسلام، بارتبـاط مصير الإسلام بهـا بما كان لها من تربية أجيـال بعد أجيال على خطّ الإسلام، وتصليب الموقف الإسلاميّ للأمّة، والاستقامة بهذه الأمّة ما أمكن على خـطّ الله سبحانه وتعالى، كيوم من أيام الله العظمى بما أنتجته، وبما تنتجه من وعي وصحوة وإرادة إسلاميّة، وهدى في الأمّة وتثبيتًا على طريق الحقّ، ومقاومة للباطـل، وبما سيترشح عليه من يوم الظهور الأكبر يوم الإمام القائم (عَجَّل الله فَرَجَه، وسَهَّل مَخْرَجه).

٢- كلمـة سماحـة آيـة الله الشيـخ عيسـى أحمـد قاسم (حفظـه الله) في افتتـاح الجلسة الرئيسة لمؤتمـر عاشوراء الثالـث: (إعلام عاشوراء.. تطوير والتزام)، بتاريخ: ٢٣ / شوال / ١٤٢٩هـ - ٢٣ / اكتوبر / ٢٠٠٨م - مأتم السنابس.

هـذه الثـورة بكلّ ما لهـا من عطاءات، وبكلّ مـا لها من أصالـة تفرض الاهتمام البالغ بها على الأمَّة كلّ الأمَّة.

النقطة الثانية: امتداد لاهتمام النَّبيِّ وأهل بيته

هـو اهتمـام النَّبـيِّ، وأهل بيته (عليـه وعليهم السـلام) بيوم كربـلاء، تأسيسًا وامتدادًا وإحياءً، فقد ثبت اهتمام أهل بيت النبوة (صلوات الله، وسلامه عليهم أجمعـين) بذلك اليـوم العظيم ممّا يضع الأمَّـة على خطّ المسؤوليّـة اتجاه ثورة كربلاء، وإحيائها.

النقطة الثالثة: لها حجيَّة قطعيَّة

الحجيّـة القطعيّـة لثورة كربلاء، فمـرّة نكون أمام ثـورة لزيد بن علـيّ، أو أحد الحسنيـين، لعبد صالح من عبـاد الله مستواه دون العصمة، فيكون لنا من ثورته هـدى وضيـاء، لكن ليس هدى ولا ضياء ولا حجيّـة كحجيّة قول المعصوم عليه السلام، وفعله، وتقريره.

ثـورة كربلاء تمتلك أهمية خاصـة من بين ثورات إسلاميّة كثـيرة كونها على يد إمام معصوم عليه السلام.

تقولون لي: بأنّ في فعل عليّ عليه السلام حجّة، وذلك حقّ.

عليٌّ عليه السلام الذي حارب في فعله حجّة، وهو حقّ.

الحسن عليه السلام حارب، وفعله حجّة، وهذا حقّ.

لكن أقول: بأنّ لون الثورة التي مارسها الإمام الحسين عليه السلام هو لون خاصّ.

أمـير المؤمنين عليه السلام حـارب من مركز كونه الخليفة الفعلـيّ والشرعيّ، فكان في حربه لأهل صفين محاربًا للبُغاة.

الحسن عليه السلام حارب من هذا الموقع أيضًا.

الثـورة الوحيـدة التـي كانت في وجـه الحكم المستبـد المتلصِّص علـى الإسلام، المفتري عليه، وكانت من موقع الخلافة الشرعيّة، ومن موقع المعارضة الشعبيّة. الثورة الوحيدة التي بين أيدينا من هذا النوع هي ثورة الإمام الحسين عليه السلام .

كان يمكـن أنْ يكـون حكم يزيـد شرعيًّا، وأنْ تمـرّر عملية التزويـر، والتدليس، والكـذب علـى الأمّة، وقـد كان شُرَيح القاضـي صاحب مبادرة في هـذا الشأن، ولـو كان الحسـين عليه السلام غير الحسـين وزنًا وقرابة، لـو كان الحسين عليه السلام غير الحسين الذي هو فوق التشكيك، وفوق التّردّد في شخصيّته (صلوات الله وسلامه عليـه)؛ لأمكـن أنْ تعدّ ثورة كربـلاء من ثورة البُغاة على الحكـم الشرعيّ، وكان يمكن لوعّاظ السّلاطين أنْ يصوّروا القضيّة بهذا التصوير.

نعـم تمتلك كربـلاء أهمية خاصـة، لأنّ حجيّتها من مستوى الحجيّـة القطعيّة، وذلك لأنّ مفجّرها هو الإمام الحسين عليه السلام .

النقطة الرّابعة: محاولة الطّمس والإلغاء بالتّزوير

محاولات الطّمس، والإلغاء للذّكرى من وعي الأمّة وذاكرتها، وقد جرى هذا كثيرًا حتى بمحاولة إلغاء مرقد الإمام الحسين عليه السلام .

استهـداف واقـع الثورة بالتزويـر، والتحريـف، وأنّ الإمـام الحسين عليه السلام كان متسرعًـا فيما يُراد في عمليـات التزوير أنْ تقرّره، كان متسرعًـا وأنّه قتل بسيف جـدّه لخروجـه عن حـدّه!، وأنّ ثورته إنّما هي ثـورة هاشميّة تنطلـق من منطلق القبليّ!!

هذا لون من التّزوير التّاريخيّ.

وعملية التزوير ما زالت تأخذ صورًا أخرى إلى اليوم.

النقطة الخامسة: القدرة التّحريكيّة للثورة

القدرة التحريكيّة الهائلة التي تمتلكها الثورة، والتي يمكن أنْ تصحح من أوضاع الأمّـة تصحيحًا كثيرًا، وتغـيّر كثيرًا، وتنقذ كثيرًا، وتتقـدم بالأمّة على خطِّ الله سبحانه وتعالى.

للثـورة مخزون كبير في وعي الأمّة، في ضميرهـا، في تاريخها، وهو عمر فوق كلّ الحسابـات، ذلك مـا نراه من تفاعل قلوب أبناء هذه الأمّـة، وضمائرها مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الرصيد الهائل يفرض علينا أنْ نعطي اهتمامًا بالغًا بإحياء كربلاء استثمارًا لهذا الرصيد في صالح الدّين والأمّة.

الارتبـاط التاريخـيّ الطويل والمعمّـق للأمّة في الثورة، وتغلغلهـا في ضمير الأمّة، وهذا يتّصف الموضوع السابق.

الحجم الضخم للجهد، والمال الموظّف في موسم عاشوراء لصالح الرسالة.

كمـا تمتلك الثورة أرصـدة من ضمير الأمّـة، ومن وعيها وهي أرصـدة متميّزة، تمتلـك أرصدة هائلة من وقتها ومن مالها، هذه الميزانيّة الضخمة التي توضع في كفّ ثـورة كربلاء، والوقت المبذول يفرض على العلمـاء، وعلى النخبة أنْ يقدّروا هذه الجهـود الضخمة والأموال الطائلة التي يراد بها إحياء الإسلام، ورفع كلمة الإسلام، ممّـا يفرض أنْ يأتي الإحياء مخطّطًا له، أنْ تعمل العقول، والكفاءات، والتجـارب، والخبرات كلّها؛ من أجل إنتـاج برنامج قادر فعلًا على الاقتراب من قامة كربلاء، ومسايرة وعيها، ورساليّتها، وإخلاصها.

هذه الميزانيّة الضخمة، والوقت الهائل لو وُضع في صالح أيّ رسالة، وأيّ أطروحة لاستثمرته بمـا يغيّر الدنيا، حالة الاستنفار العـام في صفوف الملايين السائرين

على نهج أهل البيت عليهم السلام، ومن مختلف الشرائح الاجتماعيّة، ليست شريحة واحدة؛ ولا مليون، ولا مليونان ولا ثلاثة، ولا عشرة ملايين هم الذين يشاركون في إحياء هذا الموسم.

أنْ يشارك نفر من مائة شخص، أو من ألف شخص في قضيّة معيَّنة غير أنْ يشارك هؤلاء الملايين الهائلة في إحياء الذكرى، كما يفرض هذا من حقّ ومن مسؤوليّة على الفكر الخاص، على النخبة، على العلماء من بذل جهود مضاعفة؛ من أجل الارتقاء بمستوى إحياء هذا الموسم الكريم.

كان موسم عاشوراء عشرة أيام، الآن أصبح تقريبًا شهرين.

أيّ قضيّة تملك موسمًا متواصلاً بهذا المقدار؟!

هذا رصيد زمنيّ كبير جدًّا ينضاف إلى العوامل الأخرى التي تضاعف من مسؤوليّتنا.

لكم أنْ تقارنوا بين موسم عاشوراء في كلّ هذه النقاط الأخيرة، وبين موسم الألعاب الأولمبيّة، تُستثمر الألعاب الأولمبيّة بأغلى درجات الاستثمار، وهو موسم لا يملك قدسيّة كعاشوراء، وإنْ قام على كاهل الدول وميزانيّات الدول إلا أنّه لا يمتلك التجاوب العميق، والتغلّغل الكبير في ضمير جماهيره كما يمتلكه موسم عاشوراء، هذه العوامل الإيجابيّة المتوافرة لقضية عاشوراء تفرض مسؤوليّة خاصّة على العلماء، والنخبة بأنْ يكون الاستثمار لهذا الموسم فوق العادة، وتجنّد من أجله كلّ الطاقات، والإمكانات، والتخصّصات والخبرات؛ من أجل إنجاحه. [٣]

٣- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسة لمؤتمر عاشوراء الثاني: (المنبر الحسيني.. المسؤوليات والتحديات)، بتاريخ: ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ - ٨ نوفمبر ٢٠٠٧ م، مأتم السنابس.

الباب الأوّل

فلسفة إحياء عاشوراء

الهدف الماثل لنفس المؤمن دائمًا الشّاخص في وجدانه هو العبادة، التّوحيد. مشاريعُنا، خطواتُنا، علاقتُنا، تفكيرُنا، جهودُنا، كلُّها يجب أنْ تتمحور حول قضية واحدة هي قضية التوحيد، ولا غير.

التّوحيد وحده هو الطّريق الذي لا طريق آخر بديلاً عنه ولا معه؛ لبناء الإنسان ووقايته من شرِّ نفسه، من شرِّ الخارج؛ من أجل خيره ربح حاضره ومستقبله، صناعة نفسه ومجتمعه، الصناعة التي تنأى به عن جميع الأخطار، وتحقّق له الغاية الكبرى التي كان من أجلها بتقدير الله.

الحسين عليه السلام، كربلاء، عاشوراء، كلّ التّضحيات، كلّ البذل، كلّ التفكير، كلّ التطوير، كلّ مؤسّساتنا إنمّا هي من أجل الإسلام، من أجل قضية التوحيد. والحسين عليه السلام ليس لفئة من الأمّة دون أخرى، ولا لمقطع خاص من الزمان، وإنمّا هو للزمان على امتداده.

الحسين عليه السلام للإنسانية كلِّها، فما يرتبط بيوم الحسين عليه السلام، وبحياة الحسين عليه السلام، وباسم الحسين عليه السلام يجب أنْ لا يكون متقوقعًا في إطار ضيِّق يحدُّ من شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وتأثيره، ويتراجع به عن المدى الممتد المفتوح لتأثيرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام وحياته.

* عاشوراء للأمّة كلّها

عاشوراء الحسين عليه السلام للأمّة كلّها، لصناعتها، لإنقاذها، للارتفاع بمستواها، لتصحيح أوضاعها، لوحدتها والتئام صفوفها.

ما أبعد ما يكون بين عاشوراء المنتمية للإمام الحسين عليه السلام صدقًا، وبين أنْ يكون أيُّ نشاط في عاشوراء، وأيُّ ممارسة لا تصبُّ في صالح الأمَّة وبنائها ووحدتها.

لا نفهم من عاشوراء غير هذا الفهم، ولا نتّجه بعاشوراء غير هذا الاتجاه، ولا نرضى لعاشوراء غير هذا المسار.[٤]

* لماذا عاشوراء؟، لمذا إحياؤه؟

دعوني أسأل:

لماذا عاشوراء؟

لماذا إحياؤه؟

لماذا البذل الكثير فيه وهو على كثرته قليل؟

لماذا الوقت؟

لماذا المال؟

لماذا الجهد؟

لماذا تعطل حركة الإنتاج الاقتصادي لأكثر من يوم؟

لعل أحدًا يستكثر هذا البذل بالنسبة للذكرى على كثرته، ربما يعترض البعض على هذا الاهتمام البالغ بعاشوراء.

عاشوراء من أجل أن لا يستوي يزيدُ والحسين عليه السلام في ذهن الأجيال الجديدة للأمَّة ونفسيتها؛ من أجل أن لا يبلغ الإعلام المظلِّل أهدافه في غشِّ الأمَّة، وتظليلها، وحرفها عن خط الأصالة الإسلامية.

٤- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم في افتتاح مؤتمر عاشوراء السادس- الاثنين ٤ ذو القعدة ١٤٣٢هـ الموافق لـ ٣ أكتوبر ٢٠١١م- في مأتم السنابس.

من أجل أن لا يستوي ظلم وعدل، جهل وعلم، فقد كفاءة وكفاءة، خيانة وإخلاص، جاهليَّة وإسلام.
وثـورة كربلاء أصلاً كانت من أجـل أن لا تستوي هذه المتقابلات، وأن ينفتح خطٌّ لاهـبٌ للوعـي اللاهب، وأن يبقى الخط الأصيل للفكر الأصيـل، وأن تبقى أصالة الدين في وعي الأمَّة؛ لتكون الأمَّة الأصيلة.

كانـت ثورة عاشـوراء من أجل أن لا يُقبر الإسلام، وإحيـاء ذكرى عاشوراء يأتي على هذا الخط، ومن أجل هذا الهدف، فحياة الحسين عليه السلام في قلوب المؤمنين، وفي واعيتهم، وارتفاع نـداء الحسين في فضاءات المجتمعات الإسلامية، يعني أن الإسلام حي ولا يُقبر.

أقـول لكـم بحق: إنَّ مـا من أمَّة بـلا محور فكري، قـل لا أمَّة علـى الإطلاق بلا محور فكري يجمع شتاتها، يشدُّ إليها نخبها وجماهيرها، يجعل حركتها الفكرية متمحورة حوله، والفكرُ لا يحفظ أمّة ما لم يتحول إلى شعورٍ دفّاق فاعل متحرك. فكانـت عاشـوراء من أجل تركيـز، وتأكيد المحور الفكري لهـذه الأمَّة، ومن أجل إشعار الشعور به، وتأجيج وقدته في النفوس والأرواح.

الأمَّـة دائمًـا تكون حيث يكـون المحور الفكـري القادر علـى استقطابها، والمحور الفكـري القادر بطبيعته علـى الاستقطاب يكون حيث يكـون الرمز الحي الكفوء علـى الأرض، وحيث يختفي الرمز تختفي الفكرة حتـى يولد رمز جديد بمستوى الفكرة فكرًا وشعورًا وإرادة وكفاءة وفاعليَّة.
والحسـين عليه السلام على مستوى البعد التضحوي الصارخ للتصحيح الداخلي للأمَّة هو ألمع محور كان له تحركه في هذا الميدان من المنطلق الشعبي.

كان أبـوه عليه السلام محورًا هائلاً في هـذا البعد - بُعد التصحيح الداخلي - في إطار الأمَّة من موقع الحكم.

والرسـول صلى الله عليه وآله الـذي كان الإسلام رسالتـه الكبرى من ربـه سبحانه وتعالى، وكان بمستوى الرسالة تأسيسًا واستمرارًا، كان المحور الأول، الرمز الأول، القدوة الأسمى على الأرض للإسلام في أكثر من بعد، ولكن لم يكن (صلوات الله وسلامه عليـه) قد ابتُليت تجربتُـه التي عاشها بمواجهة حكومـة طاغوتية جاهلية تحكم زورًا باسم الإسلام، وكان هذا الامتحان قد واجه الإمام الحسين عليه السلام، فأعطى النمـوذج الإسلامي الحيّ، والحجَّـة الإسلامية القطعية علـى وجوب التصحيح الداخلي للوضع في إطار الأمَّة الإسلامية من خلال الموقع الشعبي للقيادة المؤمنة.
عاشوراء ليس للوقوف في وجه ظلم انطوى وجاهلية انحسرت ولفّها التاريخ، ليس لمواجهـة فسـادٍ ارتكبه يزيد الماضـي، وإنما عاشوراء لمواجهة ظلـمٍ قائمٍ الآن في الدنيا، أوضاع جاهلية تتسترّ براية الإسلام، وهي تتآمر عليه وتنحرف به، وتقيم على الأرض أوضاع جاهلية صارخة تنقض البناء الإسلامي حجرًا حجرًا.
عاشوراء من أجل مواجهة التزوير الحديث للفكر الإسلامي، وللإرادة الإسلامية، وللأهداف الإسلامية، وللإنسان المسلم.

نحن نواجـه عملية تخريـب واسعة ومركّزة لمشـروع الإنسان المسلـم، وللإنسان المسلم الفعلي.
وعاشـوراء من أجل مواجهة الانحـراف الحاضر والمستقبـل في كل هذه الأبعاد، ومـن أجل حماية الأجيـال الناشئة ومدِّهـا بالأصالة الفكريـة، وأصالة الشعور، وقـوة الإرادة، والرؤية الواضحة، والعـزم الصُّلب، والتسليم الفولاذي، وحصائل

ثـرة، وأخلاق كريمة، ومواقف صمود مـن شخصية الإمام الحسين عليه السلام، ومن وقائع أرض الطّفّ، ومن شخصية كل شيخ طاعن في السن وشاب مفتول العضل، وامرأة شابة، وامرأة عجوز خاضوا معركة كربلاء.

عاشـوراء مـن أجـل أن لا يُـزوَّر القـرآن، وأن لا تُـزوَّر السُّنّـة، وأن لا تتسع رقعة التحريف لكتاب الله (عزَّ وجل).

الكتـاب محفوظ حرفي، ولكن عملية التزوير المفاهيمـي، وعملية التزوير لأحكام القـرآن، وللقواعد القرآنية، وللرؤية القرآنية بدأت مبكّرا، ولم تتوقف حتى الآن، وهي الآن تتضاعف بشكل كبير.

عاشوراء من أجل أن نقول لأمريكا: إننا هنا، وأن الساحة للإسلام، وأننا قادرون مـن خـلال خط أهل البيت عليهم السلام، ومن خط التمسك بالإسـلام العظيم أن نُفشل خططكم.

مـن أجل أن نقـول لهم ولغيرهم: إننا مع الإسلام لا مـع غيره، مع الحسين لا مع غيره، مع كتاب الله لا مع غيره، مع الطرح الإسلامي النظري والعملي لا مع غيره.

مـن أجل أن نقول للآخرين: إننا نجيئ للحسين عليه السلام في هذا الموسم ونحن على دربه كل السنة، نجيئ بتركيزٍ وبكثافة وبشوق عارم، وبجدية عالية، وبوعي أكيد، وبتصميـم شديد تلاميـذه نتعلم منه الإرادة الإيمانية الصُّلبـة التي لا تلين أمام إغراء أو وعد أو وعيد.

لنقـول: إننا هنا لنُبطل محـاولات التمييع، ومحاولات التغريـب التي تعمل عليها الحفلات المائعـة، واستيراد الجنس، وتكثيف الحالـة اللاأخلاقية ليل نهار؛ من

أجـل أن تقضي علـى رجولة رجالنا وشبابنا، ومن أجل أن تهزم الإرادة الإنسانية والعالية الخيرة في نفوس نسائنا وشاباتنا.[٥]

عاشـوراء بدمهـا الزكـي، وبأشلائها الكريمـة المتناثـرة، وبمواقفهـا البطولية الباسلة، وبتضحياتها السخيـة المعطاءة، وبمسيرتها التاريخية الطويلة العامرة، وبتخطيطهـا الهـادف، وبأخلاقيتهـا العاليـة، وبانضباطهـا الكبـير، وبآهاتها الحارة، وبدمعها الغزير، وبصرختها المدويَّة، وبندائها اللاهب، وبوعيها العميق، وبدروسها الإيمانية الثَّرة ... كربلاء بكل هذا؛ من أجل معرفة الله، ورعاية حقه، واحترام شريعته، واستقامة الدين في الناس وهو المستقيم في نفسه ... .

من أجل أمَّة قويمة تُحكِّمُ في حياتها كتاب الله، وسنَّة رسوله والمعصومين من آله (عليه وعليهم السلام)، ولا تعبد غير الله، ولا ترضى من دونه إلهًا ولا حَكَمًا ... . أمَّـة تكون المستـوى الجذّاب في الأرض رسالية وإنسانية، وعـدلًا وإحسانًا، وعلمًا وهدى وإيمانًا، وخلقًا كريمًا، وطهرًا وعفَّة ونزاهة، ورقيًّا وتقدُّمًا، ونشاطًا خيّرًا، وفاعليـة طيبة، وجدًّا واجتهـادًا، وشجاعة وبسالة ... تكـون المثل الأعلى من بين الأمم، رائدة لها على طريق النور والخير والفضيلة والكرامة.

فنصـرة الحسين عليه السلام بـكل صورها وألوانهـا وجزئياتهـا ومصاديقها لا تكون نصرة حقًّا حتى تكون خطوات على هذا الطريق، ومحاولات من أجل هذه الغاية، وحتـى تكون خاضعـة لقيم الدين وضوابط الحكم الشرعـي، ولن ينال عمل عند الله أجـرًا وإن كان مـن عمل الخير ظاهرًا ما قُصد بـه الإضرار بالمؤمنين، ومن قصد بإحسانه غير الله فليطلب من غير الله أجره.[٦]

5- http://albayan.org/modules.php?name=News&file=article&sid=108.

٦- خطبة الجمعة (١٨٧) ٩ محرم١٤٢٦ هـ، ١٨ فبراير ٢٠٠٥ م.

* ماهية موسم عاشوراء

١. موسم الوعي، والإرادة الإيمانية القويّة، والبذل، والإصلاح، والتضحية.

٢. وهو كذلك موسم التعقّل، والبصيرة، والحكمة، والخبرة الميدانية، والإلمام الموضوعي، ومعرفة الزمان والمكان، والخطة المحكمة، والتصميم الدقيق، وعدم الانفعالية والارتجال...، وفي ذلك درس، فحتّى الذين يريدون أن يُضحّوا لا بُد أن تكون تضحيتهم قائمة على الخطة الدقيقة الحكيمة الهادفة.

٣. وهو موسم المأساة؛ مأساة أمَّة، تمثَّلت في ضلال أمَّة، انفلات أمَّة، زيغ أمَّة، ومأساة حُكم يُضلّ بضلاله أمَّة، حكم يزيغ بزيغه أمَّة، مأساة حكومات يعني انحرافها انحراف المسيرة الإنسانية عن الطريق.

٤. هو موسم من أجل الدِّين، من أجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أجل الوحدة والعزة للمؤمنين والأمَّة، من أجل العبودية لله دون كل الأرباب الكاذبة، والآلهة الزائفة.[٧]

هو من أجل عبودية الله، والخروج من عبودية الطاغوت.

هذه أيام عاشوراء؛ أيام الصلابة الإيمانية التي لا ترتدُّ أمام رهبة الموت، وصنوف الأذى، وألوان المحن، وجسامة التضحيات، وعربدة الظلم والقهر، لأنها تنطلق من إرادة الصعود على طريق اللقاء بالله سبحانه، لقاء روح بهرها أنها مؤهلة لأن تكبر قبسة النور فيها، أو تتبلور هي شديدًا عبر حركتها الصاعدة، وانفتاحها بما قُدِّر لها من طاقة ذات حدّ محدود، على النور الإلهي غير المحدود، وهذا هو معنى أن تلتقي بالله، وإلا فلا وصول من ممكن إلى المطلق الذي لا يحدُّه شيئ من الحدود.

٧- خطبة الجمعة (٢٣٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٦هـ، ٢٧ يناير ٢٠٠٦ م.

هـذه أيـام عاشوراء؛ أيام عزّة بالله لا تُقهر، وإباء لا يُـذلّ، وكرامة لا تهون، أيام هيئها الله سبحانه لهذه الأمَّة، تعبُّ منها الشعور بالعزّة والكرامة والشموخ، وفخر الانتماء، وتتوضأ فيهـا نفسية الإنسان المؤمن من رواسب الغزو الإعلامي لداخل النفـس لغرس المهانة والضعة والانسحـاق والعبودية للعبيد، هـذه أيام الحسين سبـط رسول الله ﷺ، ومجسِّد فولاذية شخصيته الكريمة، وثباته، ورباطة جأشه، وفـوران غيرتـه على ديـن الله وحرماتـه وحدوده، ورأفتـه بالمؤمنـين، ومكابرته للظلـم والظالمـين، أيام تفتح لنـا مدرسة الحسين عليه السلام علـى كل كنوزها؛ ليعبّ منهـا الفكر والروح، وتتربى في أجوائهـا الإرادة، ويصلب العزم، ويترسّخ الإباء، وتتصحّحَ النية، ويشتدّ الالتفاف بالقيادة التي يرضاها الله سبحانه وتعالى.[٨]

* إحياء للإنسان

الإسـلام وكربلاء ثورةً، وكربلاء ذكـرى، وفريضةُ الشهادة إنّما كلّ ذلك للحياة؛ حياة البدن، وحياة العقل، والقلب والروح، لحياة أوضاع الخارج وأوضاع النفس، ومـا حياة أوضاع الخارج إلَّا من حياة صلاح تلـك الأوضاع أو فسادها هو صلاح أو فساد الداخل.

والأوّل من العقل والقلب والروح والنفس، والمنطلق في صلاحها وفسادها.

فقيمـة الحياة السياسية والاجتماعية وكلّ شيء آخر من أوضاع الخارج إنما هي مـن قيمة العقل والقلـب والروح، طهر الداخل طهر الخـارج، خبث الداخل لا بدّ أن يخبـث به الخارج، نفوس عادلة تستتبع أوضاعًـا عادلة، نفوس ظالمة نتيجتها الحتميـة أوضاع خارجية ظالمة، فطلب الإصلاح من الخارج على نأيٍ من الداخل محاولة عابثة.

٨- خطبة الجمعة (٥١) ٩ محرم ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٢-٣-٢٠٠٢ م.

* إحياءٌ لأمر أهل البيت عليهم السلام

ومحرّم لـ(إحياء أمرهم) عليهم السلام - كما جاء في أكثر من حديث -، ونقف مع إحياء أمرهم وقفة ولو قصيرة:

هل لهم أمر منفصل عن أمر الإسلام؟

أهـل البيت عليهم السلام جاؤوا الدنيا وعاشوها، واستُشهدوا وكلّ ذلك من أجل الإسلام، وهم حملة الإسلام وتراجمته، ورموزه العليا بعد رسول الله ﷺ.

إنهـم الإسلام الذي يتحرك على الأرض ولا شيئ آخر، فأمرهم لا ينفصل البتّة عن أمر الإسلام.

لكن لماذا التعبير بأمرهم، ولم يُعبَّر بأمر أمر الإسلام؟

لمـاذا لا يكون تعبير الإمام عليه السلام فيما يتعلق بما يطلبه من الشيعة من اجتماعات - ومن هذه الاجتماعات ما يرتبط بمصيبة كربلاء -.

ولماذا لا يكون التوجيه منه عليه السلام بإحياء أمر الإسلام مباشرة؟!

ذلك لسرّ فيما أرى:

* سرّ التعبير بـ(أمرهم)..

عصى بعض المسلمين ربّهم في الصلاة، وعصى بعض المسلمين ربّهم في الصيام، ويكـون هذا في الحج، وفي الزكاة، وغير ذلك، ولـكل ذلك أثر سيئ على الإسلام وواقع المسلمين.

لكـن لم يُنظّر للتقصـير في مسألة من هذه المسائل كما جـاء الخطأ في التصوّر، أو في الموقـف مـن مسألة الإمامة والتنظير لذلك، ممـا جعل أمر الإمامة في غير أهلهـا قضيـة مفلسفة منظَّرًا لهـا، وعقيدة في قلوب كثير مـن المسلمين؛ على أن موقع الإمامة في الإسلام لا يوازيه موقع صلاة، ولا صوم، ولا حجّ، ولا غير ذلك.

حـين تدخل الشبهة في مسألـة الإمامة، حين يأتي الاختـلاف في مسألة الإمامة، حـين ينقسم المسلمون معذورين لعدم معرفـة، لغفلة، أو غير معذورين في مسألة الإمامة نكون أمام أمَّتين.

ولـو ذهب إيمان الأمَّـة إلى إمامة الجاهل الفاسق مثلًا لكنّـا أمام إسلام مضيّع في صلاتـه وصومـه وحجّه، إسلام بيـد حكّام لا يأبهون لقيمـة صلاة، ولا صوم، ولا حـجّ، وينحرف الحج، وتنحـرف الصلاة، وتنحـرف كل تعاليم الإسلام على أيديهم.

وبذلك يكون التركيز على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بعنوانه لما يمثّله من ضرورة لإحياء أمـر الإسلام، وعدم إمكان إحياء الإسلام على الحقيقة إلا به واردًا جدًّا ومطلوبًا جدًّا.

وما هو أمرهم بالتحديد الذي هو أمر الإسلام؟

هـو أمـر مرجعيتهم العلميـة والعملية، أمر إمامتهـم الشاملة، أمـر قيادتهم في الحضور والغَيبة.

ولماذا مرجعيتهم وإمامتهم وقيادتهم؟

لمـا رزقهم الله (عزّ وجلّ) من علم بالكتاب وبالسنَّة ليس لغيرهم، ولحاجة الأمَّة كلّ الأمَّـة لهـم في ذلـك العلم، وعدم حاجتهـم للأمَّة في شيئ منـه، ولعصمتهم (صلـوات الله وسلامه عليهـم أجمعين) في علم وشعور وعمـل، في موقف فردي وفي موقـف اجتماعـي، فيما سهل مـن مواقف، وفيما كان أشـدّ المواقف صعوبة، ولأنهم ورثـة الأنبياء، وسفينة النجاة، وشاهد ذلك أنّ أمـور الأمَّة، وأمور الدِّين لمـا انفصلت عنهـم اضطربت اضطرابًا شديـدًا حتى صرنا تملـي علينا أمريكا شروطها ورغائبها، ونتلقّى قرارات الحرب والسلم من بوش عدوّ الأمَّة.

ثـمّ من جهـة أخرى أمر الإسـلام وأمرهم أمر حيّ، والإحيـاء إنما يكون للميت، فكيف يأتي منهم الأمر بإحياء أمرهم عليهم السلام ؟!
أمرهـم في نفسـه قويّ، وبرهانه لا يُردّ، والقلب معـه، والعقل معه، والقرآن معه، والسنّة معه، والتجربة معه.

هو في نفسه حيّ، ولا يقبل أن يموت، لكنّ أمرهم ليس أشدّ حياة من أمر الله؛ أمر ظهـوره، أمر وجوده، أمر علمه، فاعليتـه، ولولا حملة، ولولا مذكرون، ولولا أنبياء ورسـل ولـولا ملائكة تتنزل من السماء، ولولا دعـاة لاختفى ذكر الله عزّ وجل في حيـاة الناس، ولكاد الناس يجمعون على عبـادة الفراعنة والطواغيت والأصنام، فـإذا كان أمر الله (عزّ وجلّ)؛ لكي يحيى في الناس، لكي يقود حياة الناس، لكي يضـع الناس على المسار، لكي يحرّك الحيـاة، لكي يحكمها، يحتاج إلى كل ذلك، فكيـف لأهـل البيت عليهم السلام أن يستغنوا عن إحياء أمرهـم؛ ليكون الحاضر في حياة الناس، وفي مشاعرهم، وفي قلوبهم، وفي أوضاعهم السياسية، وغيرها؟!

فهو حيٌّ في نفسه، أما حضوره في النّاس، فيحتاج إلى الحمَلة، يحتاج إلى الدُّعاة، يحتاج إلى المبلّغين، يحتاج إلى العلماء، إلى الفقهاء، إلى المنظّرين.
وحيـاة أمرهـم عليهم السلام تكون على مستوى الحاضر، وعلـى مستوى المستقبل، ونحن مسؤولـون عن إحياء أمر أهـل البيت عليهم السلام على مستوى الحاضـر، وعلى مستوى المستقبل.

على المستـوى المعاش إحياء أمرهم بالأخذ بفكرهم، بأطروحتهم، بأخلاقياتهم، بتثبيـت خطّ الولاية لهم، بالأخذ بمنهجهـم الحياتي، وبمنهجهم السياسي، وبما أوصـوا الأمَّة به في زمن الغَيبـة من متابعة الفقهاء العدول، والتحرّك عن رأيهم،

وإذا أمـتّ هذا البعد، فقد أمتّ أمـر الإمامة، وإذا أحييت هذا البعد فقد أحييت أمر الإمامة، إذا كان نائب الإمام عليه السلام لا قيمة له، فسيكون الإمام أيضًا لا قيمة لـه، والأمَّة التـي تبتعد عن الارتباط بنائب الإمام لا تجـد طريق الالتقاء بالإمام نفسـه، بل تستعد نفسيًّا دائمًا على هذا المسـار المتباعد عن نائب الإمام؛ لرفض الإمام عليه السلام وقيادته.

نعـم، نحتاج في زمن الغَيبة، وعلـى مستوى الإعداد للمستقبـل أن نجذّر الإيمان بقيـادة الإمام القائم (عجَّل الله تعالى فَرَجَه الشَّريـف)، وأن نعدّ النفوس ومن خلال الارتباط بالنوّاب؛ للتسليم بالإمام الأصل، والالتفاف به وإعطاء يد الطاعة لأمره ونهيه.[٩]

عاشـوراء الأسى والثورة، والدَّم واللوعة موسمًـا وذكرى، ليس ترفًا ولا نزهة ولا عادة من عادات السطح الموروثة عن تقليد.

إن عاشوراء قضية من قضايا العمق واللباب، وشعيرة ثرّة من شعائر الروح والعقل والقلب، ومن شعائر الفرد والمجتمع، ومن شعائر العبادة والسياسة العباديَّة.

عاشوراء؛ من أجل أن نبكي بكاء دافقًا حافزًا، وأن نعبَّ عبًّا إيمانيًا رويًّا مخُصبًا، وأن نستلهـم استلهامًا سياسيًّا ناضجًا...؛ من أجـل الصحوة المستمرّة النّامية المتقدمـة، ومن أجـل إرادة في مستوى الصحوة وتكاليفها، وقدرة على الإقدام في إطارٍ من سنا الروح، وضابطة من الفكرة ورفعة من سماء القيم، وفلك من وعي الشريعة.

عاشـوراء للتأكيد علـى الهوية الإسلامية الخالصة؛ فـلا شرقية ولا غربيَّة وإنما صراط إلهي مهيب لاحب ... صراط القرآن والسّنة.

٩- خطبة الجمعة (٣٠٧) ٢ محرم الحرام١٤٢٩هـ ١١ يناير ٢٠٠٨م.

والقـرآن، والسّنة، وأهل البيـت عليهم السلام مثلث متكامل؛ فلا مباينـة ولا مزايلة وإنما ملاقاة ومعانقة، وانسجام واندغام.
عاشوراؤنـا وكربلاؤنـا من أجل نظافة الهـدف، وسموّ القصـد، وطهر الوسيلة، ونقـاء الأسلـوب ...؛ ومـن أجل إخلاص العمـل، وأخوة الإيمان، وقـوة الإرادة، وصلابة الموقف، وثبات الخطى، والمضي على الطريق؛ طريق الحسين، طريق الله إصلاحًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، ونصرةً للدين، وللمظلوم والمستضعف. وما نصرتهما إلاّ من نصرته، ما خذلانهما إلّا من خذلانه.

عاشوراؤنـا وكربلاؤنـا تجديد للبيعة مع الحسين عليه السلام خطًّـا أبديًّا ثابتًا راسخًا أكيـدًا، لا يتغـيّر ولا يتبـدّل، ولا نحيـد عنـه، ولا نميـد الحسـين عليه السلام الذي ما عاهـد الله العظيـم إلّا وأصدق العهد، ومـا بايع الدّين إلّا ووفّـى البيع ...، وكلّ حياته عليه السلام؛ من أجل عهد الله، وكلّ ما ملك من أجل الدّين.

عاشوراؤنـا موسم الـروح الرسالية المضمّخة بشـذى روح الحسين عليه السلام، وهو موسم الكبير والصغير والرجل والمرأة ... موسم كلّ الأحرار وكلّ الشرفاء.
والموكـب الحسيني موكب لكلّ مـن تقلّه رجلاه من المؤمنين، ولـكلّ من حملته مع الرِّجْل العصا، ولكلّ من حبى وكبى ... .

الكلّ يخرج في موكب الأسى واللوعة، والجهاد والثورة؛ ليقول من كلّ وعيه، وشغاف صدره، وأعماق قلبه: لبّيك يا حسين ... لبّيك يا حسين ... إن لم يُجبك بالأمس بـدني، فإني اليـوم أجيبك بحشاشة نفسي، وأشلائي ودمي ...، وإنّي لكُلّي سمع لنـداء يا لثـارات الحسين ...، وثارات الحسين عليه السلام دائمًـا وأبدًا ثارات الدّين والقـرآن والسّنـة ... لا ثارات المكان والزمان، ولا ثـارات البيت والقِبلة، والقوم والطائفة.[١٠]

١٠- برقية من سماحة الشيخ أثناء تواجده بقم المقدسة، في محرم الحرام ١٤١٨هـ.

بعد هذا ..

* فلسفة البكاء والعزاء على السبط وأهله

جاءتني ملاحظة من أحد الشباب، أو خاطرة عنده تناسب المقام، يطرح هذا الشاب أنه قرأ جملةً على حسينية مفادها: إنَّ الإمام الحسين عليه السلام ليس للبكاء فقط، والذي يفهمه الشاب (بارك الله فيه) أن الإمام الحسين عليه السلام ليس للبكاء، إنما لماذا؟؛ لإيجاد غدٍ أفضل، لإنقاذ الإنسان، لصناعة الإنسان، وليس للبكاء، كأن الكلمة الأولى تفهم أن البكاء هدف، ولكنه ليس الهدف الوحيد، ومختار هذا الشاب أن البكاء ليس هدفًا أصلًا.

الكلمة التي كتبت على الحسينية تقول: قتل الحسين لا لأجل البكاء عليه فقط .. في نظري أن هذه الكلمة تلتقي مع الكلمة الأولى، وكل كلمة منهما تتجه اتجاهًا خاصًا إلا أنهما لا يتهافتان.

الكلمة المكتوبة على الحسينية: إن الإمام الحسين عليه السلام لم يُقتل لأجل البكاء فقط، يعني لا تتخذوا الوسيلة هدفًا، لا تقفوا عند حد الوسيلة، تجاوزوا الوسيلة إلى الهدف، تجاوزوا الوسيلة إلى الهدف.
هذه الكلمة لا تريد أن تعترف أن البكاء هدف، وإنما تقول: البكاء وسيلة وإذا وقفت عند الوسيلة فقط شغلتك الوسيلة عن الهدف، ولا يصح لعاقلٍ أن تشغله الوسيلة عن الهدف.

البكاء دعت إليه النصوص، ولا يلزم أن يكون منظور النصوص بأن البكاء هو الهدف .. ذلك البكاء الذي يمثل هدفًا، وإنما البكاء يمكن ان يكون وسيلة توصل إلى الهدف.

البـكاء - كما مرَّ في اليوم السابق -؛ مـن أجل غياب العدل الإسلامي، ومن أجل قتل الرمز الأكبر للإسلام .. إمام المسلمين، إمام البشرية جمعاء.
هـذا القتـل الذي يمثل تطاولاً على كل القيم، نسيانًـا لقيمة القيم، وإنحدارةً من الإنسـان القاتـل .. من الأمَّة التي قتلت إلى حـد أن لا تلتفت لإنسانيتها، ولا تقدّر القيم التي تنادي بها فطرتها.

وهـذا البكاء يوقـظ الإنسانية، بمعنـى أن إنسانيتـي الآن وأنا أبكـي على الإمام الحسـين عليه السلام هذا اللون من البكاء في تنبه، أنا الآن أحترق في الداخل من أجل القيم الإيمانية، من أجل خط الرسالة، من أجل إنسانية الإنسان، من أجل العلم، مـن أجل الفضيلة، من أجل العدل، من أجـل الرحمة في الأرض، من أجل كرامة الإنسان.

فأنـا الآن بهذا أتكوّن وجدانيًـا على خط الإمام الحسين عليه السلام، على خط القيم، على خط البطولات الإيمانية، على خط اليقظة الإنسانية.
فالبـكاء مطلـوب كوسيلة تحيي فينـا الشعور الإنساني، تجعلنـا ننتصر بداية في الداخـل للحق من خـلال الإلتحام الوجداني به، بقضيـة الإمام الحسين عليه السلام، وخط التضحية الكريم.

والانتصـارُ الداخلـي، إذا تجـذر وتثبت، جـاء مواقـف خارجيةً تناصـر الإمام الحسين عليه السلام في كلمة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، في كلمة تعلم الجاهل، في كلمة تنبه الخاطئ على خطئه، في موقف رحيم بخلق الله، بالضعفاء والمحرمين، وما إلى ذلك.[١١]

١١- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) حول عاشوراء، في ليلة السبت ٢٤/٣/ ٢٠٠١م - الدراز.

الباب الثاني

شعيرة عاشوراء

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. (الحج:٣٢)

* معنى الشَّعيرة

الشعيرة معناها العلامة، فالشعائر علائم.

علائم على طاعة الله تبارك وتعالى، وإنما تكون هذه العلائم علائم طاعة، وعلائم انقياد إذا كانت بأمر الله تبارك وتعالى وإذنه، فالطاعة لله تكون من تحديد الله، وليس من تحديد العبد.

من هذه الشعائر ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ... ﴾(البقرة/١٥٨)، ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ... ﴾. (الحج/٣٦)

الصفا والمروة معروفان، البُدن جمع بُدنة؛ وهي الناقة التي يشق جانبها الأيمن، فيسمى ذلك إشعارًا، علامة على أنها هدي يسوقه الحاج المقرن، هذه البُدن تأخذ قدسية، وتكون من شعائر الله تبارك وتعالى بربطها بشعيرة الحج، وقبول الله تبارك وتعالى نسبتها إليه.

* تعظيم الشَّعائر

ومن تعظيم تلك الشعائر قد يكون الاختيار الحسن لها، وقد رُسِم برنامج خاص فيه آدابٌ خاصّة، وحقوق خاصة للبُدن التي تُساق هديًا.

فكل ما نُسب إلى الله تبارك وتعالى وصحّت نسبته إليه نسبة تشرّف، ونسبة انقياد وطاعة كان من شعائر الله تبارك وتعالى التي تراعى وحرماته التي لا تنتهك.

كلّ شعيرة يكون تعظيمها بحسبها، وتعظيم الشعائر كما تقول الآية الكريمة مصدره تقوى الله سبحانه وتعالى، وهو كاشف عنها؛ فكلما حصل تعظيم حقا لشعائر الله بما هي كذلك كان المصدر هو التقوى.
ولمعوّل عليه في مسألة تعظيم الشعائر هو أن تكون هناك تقوى دافعة لهذا التعظيم، ثم أن يكون التعظيم متناسبًا مع مستوى الشعيرة.
فما يتراءى أنه تعظيم للشعائر ولا خلفية له من التقوى لا يكون فيه تعظيم لله، ولا قيمة له عنده.

* عاشوراء.. هل هو شعيرة من شعائر الله؟

وما مدى قدسية هذه الشعيرة؟
ولماذا هي شعيرة؟
هناك بدعة وسُنّة، ما هي البدعة؟، وما هي السنَّة؟
عندنا من سنّ سنّة خير، ومن سنّ سنة شر.

البدعة ممارسة تجري على يد شخص أو على يد جماعة تحمل منافاة لدين الله، لقواعد الشريعة وتعاليمها وآدابها، فهي سلوك خارج على طاعة الله سبحانه وتعالى، مضادٌّ لدينه، غير قابل للدخول تحت قاعدة من قواعد الشريعة، وتنشأ البدعة على يد شخص أو أكثر من شخص مرةً بسذاجة أو غفلة، ومرة بقصد سيئ، أما ما كان داخلاً تحت قاعدة من قواعد الشريعة، وفيه التقاء مع الأدب

الشرعي، أو أنّه ممارسة مباحة في الأصل، ولكنها بحسب الظروف الموضوعية تقوم بدور كبير فيه ترسيخ وتثبيت وتركيز لقيم الدين، وقواعد الشريعة، وفيه خدمة للأخلاقية الإسلامية، ولأمر من أمور الدين المهمة، وجاءت هذه الممارسة المباحة بالأصل والتي تمتلك هذا البعد الكبير في التأثير لا بقصد أنها عبادة واردة بعنوانها الخاص من قبل الشريعة، فهل تعدُّ بدعة؟

طبيعي ليست بدعة، إنما هذه من السنة التي من سنَّها فقد سنّ سُنَّة خير.
وعاشوراء تمثل أسلوبًا مباحًا في الأصل، ولكنه يُعطي دعمًا هائلاً بما لا يُتصور للوجود الديني المطارد، للمفهوم الإسلامي الذي يقوم العملُ الدؤوب المضاد على إذابته، وفصل الأجيال عنه.

طبعًا محرم الحرام له هذا المردود الكبير، مردود تثبيت وتركيز العقيدة والحقّ المهضوم، ربط وعي الناس، ومشاعر الناس بالرموز الطاهرة الخيرة، والقدوات الأسمى من أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وبهذا يكون محرم الحرام شعيرة من شعائر الله تبارك وتعالى، وعلامة من علامات الطاعة، لكن قبل ذلك يوجد السند اللفظي، والدليل اللفظي الدال على شعيرة عاشوراء، وهي الروايات المستفيضة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عن البكاء على الحسين، وإحياء أمرهم (صلوات الله وسلامه عليهم).
- «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت على مصاب الحسين عليه السلام، فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة»[١٢] عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمضمون.

١٢- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٤، الوفاة: ١١١١، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

- «تجلسون، وتتحدثون يا فضيل؟ بلى فداك نفسي، فداك أبي - جوابه للإمام الصادق عليه السلام -، يأتي جواب الإمام عليه السلام: بما مضمونه: إنها مجالس أحبها، أحيوا أمرنا يا فضيل».[١٣]

وقد جرت سيرة الأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وسيرتهم حجَّة بقوَّة حجية سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذا كان الصحابي العادي يتخذ قوله حجة ودليلًا على حكم الله، وهذا لا يعرف وجهه الدقيق، فإن أئمة أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ليسوا أقل شأنًا عند المسلمين عمومًا من أكثر الصحابة قدرًا، فعلى الأقل من هذه الجهة تكون سيرتهم حجة على سائر المسلمين.

وأما من وجهة نظرنا فإن سيرتهم حجة من ناحية معصوميتهم، وأن قولهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيرتهم سيرة رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلم)، وقد قامت سيرة أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) على الاحتفاء والاهتمام والتركيز منذ اليوم الأول من استشهاد أبي الأحرار، أبي عبدالله (صلوات الله وسلامه عليه) على الاحتفاء والاحتفال بذكرى عاشوراء، ولقد كان الأئمة عليهم السلام ينصبون العزاء ما كانت تتيح لهم الظروف، ويعتبرون يوم عاشوراء وتخاذه يوم حزن وكآبة وبكاء، حتى كان الإمام من الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) يأتي بالشاعر من شعراء أهل البيت، والراثي يسمعه فجيعته، ويبكي ويبكي أهله.

١٣- النص: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للفضيل: «تجلسون وتتحدثون؟ فقال: نعم، فقال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيى أمرنا».
الكتاب: وسائل الشيعة (آل البيت)، المؤلف: الحر العاملي، الجزء: ١٤، الوفاة: ١١٠٤، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.

هـذا سند كافٍ لكون محرم الحرام شعيرة من شعائـر الله، وهي شعيرة عُطِّلت في بعضـ البلـدان الإسلامية للبعد عن أهل البيت (صلـوات الله وسلامه عليهم أجمعـين)، إلا أن التقديـر أن هذه الشعيرة ستعود بأقوى ما يكون في تلك البلاد، وبأشـد ما يمكن أن يتصـور، وسيظهر الولاء من جديد قويًّا وفعّالًا في تلك البلاد بإذن الله، وعن قريب إن شاء الله، وذلك حين ينفتح المسلمون على قضايا دينهم بجدّية بعيدًا عن كل التعصُّبات.

فنحن مسؤولون ولا شك عن تعظيم شعيرة عاشوراء، انطلاقًا من الدليل اللفظي المقطوع به، ومن آثارها الضخمة، ومردودها الإيجابي على مسيرة الأمَّة وواقعها، وإذا كانـت البُدنـة تستحق تعظيمًا بأمر الله سبحانه وتعـالى، وإذا كانت الصفا والمـروة يستحقـان تعظيمـا بأمر الله، والله هـو العليم، فما بالـك برأس شعائر الدين؟!، ورأس شعائر الدين أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، بيت النبوة والرسالة.

إننـا مسؤولـون أن نعطي كلّ مـا في مقدورنا من نشاط تقديـري، وتعظيمي، وأن نبـذل كل غـال ورخيص في سبيل إحياء هذه الشعـيرة المقدّسة، وإبراز مظلومية الخط الإسلامي الصادق، خط الحسين عليه السلام الذي كان ولا زال حيًّا.

* حقيقة هذه الشعيرة؟

قبل أن نسأل كيف نعظِّم هذه الشعيرة، علينا أن نفهم معنى هذه الشعيرة.

ثـار الإمام الحسين عليه السلام بثورتـه المباركة؛ ليركّز مفهومًا معينًـا في أهم مسألة مـن مسائل الحياة الاجتماعية الإسلامية، وهـو أن الأمَّة مسؤولة أن لا تقرّ ظالمًا علـى ظلامته، وأنه كلما انحرفت المسيرة الإسلامية على يد صغير أو كبير كانت

المسؤولية ثابتة على كاهل الأمَّة في رد المسيرة إلى خطها، وقطع اليد الظالمة التي تعدل بدين الله عن خطه القويم، وإذا كان روح الثورة الحسينية المباركة هو هذا المضمون، مضمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطاره الكبير، وفي معناه المؤثر الفاعل، وفي إيجابيته الضخمة، ومسؤولياته الكبيرة، فإن إحياء شعيرة عاشوراء يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني أن تنصبّ كل الشعارات المقولة والمكتوبة في هذه المناسبة المباركة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى خدمة الإسلام، وتركيز خطّه الصحيح، فهل يقَّدم احياء على هذا الاحياء وهو الإحياء الأكثر وعيًا، والأكثر تأثيرًا، والذي يعني تعظيمًا لشعيرة محرّم أعني الإحياء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

الطبيعي الاهتمام بأهل البيت عليهم السلام رموزًا للدين، الاهتمام بمناسباتهم، بمشاهدهم، بكل آثارهم، وكل آثارهم علائم تقوى، وعلائم طاعة، ومنارات هدى، وكل هذا يعني الاهتمام بالدين، وبطاعة الله، وتقوى الله سبحانه وتعالى. وإنك لو جرّدت الفكرة الأقوى من بين الأفكار، والأكثر أصالة من بين الأفكار، لو جردتها عن المكان، وجردتها عن الزمان، وعن الأشخاص ستفقد وجودها العملي بالكامل، إذا فصلنا الفكرة الإسلامية عن مناسباتها المكانية فقضينا على كل مناسبة مكانية للإسلام وأعلام الإسلام، وإذا فصلنا هذه الفكرة عن كل مناسباتها الزمانية فطمسنا هذه المناسبات وفصلناها عن الإسلام وأعلام الإسلام، وإذا أقبرنا ذكر كل ولي من أولياء الله تبارك وتعالى، وقضينا على ذكر كل حبيب من أحباء الله سبحانه وتعالى، ماذا يبقى من الإسلام؟ إسلام بلا رموز مكانية، إسلام بلا رموز زمانية، إسلام بلا رموز بشرية، يبقى فكرة مجردة معلقة لا شاهد لها من مكان، ولا من زمان، ولا من إنسان، وهذا طريق للقضاء على الإسلام بالكامل.

على أنّ هذا الفكر فكر غريب على الإسلام تمامًا، فكر فصل الفكرة الإسلامية عن مناسباتها المكانية والزمانية ورموزها البشرية الإنسانية وقدواتها التي صاغتها الرسالة، هذا فكر أجنبي عن الإسلام، غريب عليه لا ينبغي الالتفات إليه، وأن المسلمين في كل مذاهبهم ليجُمعون على تقديس أمكنة معينة، وأزمنة معينة، وتقديس رموز بشرية معينة قربة إلى الله.

إذا كان الصفا والمروة تستحق تقديسًا، إذا كانت الكعبة المطهرة تستحق تقديسًا، إذا كانت البُدن تكتسب معنوية، وتكتسب شرفًا ومكانة سامية، لدخولها حلقة من حلقات الحج، فإن الإمام الحسين عليه السلام حقيق، وأي حقيق للتقديس والإجلال والتعظيم.

ومن هو الإمام الحسين عليه السلام؟، «حسين مني وأنا من حسين»[١٤] القضاء على ذكر الحسين عليه السلام، قضاء على ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، رفض شخصية الإمام الحسين عليه السلام رفض لشخصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالعكس إن الانشداد للإمام الحسين عليه السلام انشدادٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله، تعلّقٌ بعروة الله، توجه إلى الله سبحانه وتعالى.

لو جمدنا على تقديس المكان للمكان لكنا مشركين، إذا قدست الكعبة، لأنها الحجر والمذر فقد أشركت، إذا قدست الصفا والمروة لأنهما جبلان وحسب فقد كفرت، إذا قدست البُدن، لأنها نوق فقد كفرت، لكنك تقدسها وتكون مثوبًا حيث نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى بما هي مضافة إلى الله إضافة مقبولة عنده، وهل إضافة البدن إلى الله أكثر قبولاً عند الله من إضافة الإمام الحسين، وثورة الإمام الحسين عليه السلام التي أحيت الدين عند الله؟!

١٤- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٣، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

* كيف نعظّم هذه الشعيرة؟

قل لي: بأننا نعظمها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليكون هذا التعظيم محييًا لروحها، وفيه بعث لروح الثورة، ومعنى الثورة الحسينية المباركة.

على طريق إحيائنا ليوم عاشوراء لا شك أنه توجد سلبيات، وهي سلبيات مضيرة، إلا أننا لا نيأس من القضاء عليها والتخلص منها، ولو جئنا لصلاتنا لوجدناها تحمل سلبيات من عندنا لا من عندها، أو جئنا لصومنا لوجدناه يحمل سلبيات من عندنا لا من عنده، كذلك مواكبنا ومآتمنا تحمل سلبياتنا، وهي سلبيات منسوبة لنا، وليست منسوبة للمأتم بما هو مأتم، ولا للموكب بما هو موكب.

عنصر مشاركة المرأة وخاصة في العاصمة، عنصر بأسلوبه الخاص المعاش يمثل سلبية ضخمة في وجود المواكب.

السفور والتبرج، والخلاعة تجد موسمها المناسب في أيام عاشوراء خاصة في العاصمة.

وهذا عمل تباركه الدوائر الاستعمارية، ويباركه المغرضون، ويصلون من خلاله إلى مآربهم في امتصاص المعنى الكبير، وتجفيف المضمون الضخم لمناسبة عاشوراء.

ما نملكه من الوسائل علينا أن نستخدمه في تطهير المواكب من المظاهر النشاز التي لا تلتقي وسمو المناسبة، وانتماءها الإيماني، وأخلاقيتها الرفيعة، وجدّيتها البالغة.

ويجب أن نجتنب الأصوات المائعة في المرددات العزائية.

مطلوب أن تأخذ ترديداتنا صوتًا مناسبًا بدل الصوت المائع، فإنه يشاهد في بعض هـذه الترديدات الميوعة والليونة، والصحيح أن تحمل رجولتنا، وعينا، ومعاناتنا، وهمنا، وتأتي بصوت يدل على الجدية، ويدل على الرجولة.

أنتـم الجمهور المؤمن تستطيعون أن تعدّلوا كثيرًا من المسارات للمآتم والخطباء، الخطيـب الذي يهرّج، والخطيب الذي لا يقدم مادة دينية نظيفة، أو قد يتطاول، وتظهـر منه كلمات محاربة للدين بشكل وآخر أنتـم تستطيعون تأديبه، بمواجهة إيجابيـة مستنكـرة، وبالمقاطعة السلبيـة، التي تحوّل المأتم إلى مـا يشبه المقبرة الموحشة لعدم المستمعين.

وكل خطيـب يتهاون في الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، ولا يخدم الإسلام بما يستطيع لا يكن مرغوبًا عندكم، ومحلًّا للاهتمام من جانبكم.
أصحـاب المآتم والمواكب الذين يُلمس منهـم الانحراف الصريح، والمضادة لدين الله سبحانـه وتعالى، يجـب أن يعاملوا نفس المعاملة، فيُلغوا من قاموس المجتمع، وبهـذا نستطيـع أن نحافـظ على تـوازن المسيرة، وعلـى انضباط هـذه المسيرة المباركة، ونجنبها كثيرًا من الأخطاء والسلبيات.[١٥]

١٥- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في ١٤٠٨/١/٢هـ.

الباب الثّالث

إحياء عاشوراء وصياغة الواقع

الإحياء وصياغة الواقع

وكربلاء بمن تقابلا فيها سِجلٌّ حافل بمواقف الحق والباطل، وشاهد صدق وحق على عظمة الدين وأهله، وخسة الفُسق وأهله، وهي ساحة غنية بالدروس لمَن أراد أن يتعلم الحياةَ على ضوء الإيمان، ويدخل في الخالدين ممَّن يُخصبون الحياة، ويقيموا عوجها، وينيروا الدرب ما بقوا وبعد الرحيل.

وكربلاء تجيبنا على الأهم من أسئلة الواقع، وتضعنا على الطريق الصحيح، وتبعثنا أحياءً إرادة وضميرًا، وعزة وكرامة، وصمودًا بعد الموت.

* المنهج في صياغة الواقع

والواقع عند الرساليين وأمّةِ الإيمان ينشد إلى الماضي الحجَّة فيما هو المطلق والكليُّ من الأحكام، والرؤى، والمفاهيم، ودلالات المواقف، ولا يتحرك منفلتًا في هذه المجالات عن المسار الواحد الذي يربط بين كل حلقات التاريخ الإيماني، ويحقق لها تواصلها، وانتظامها على طريق الهدف الكبير.

* كيف يُصاغ الواقع؟

يُصاغ الواقع دائمًا عند الأمَّة الأصيلة البريء ماضيها عن اعتناق الخرافة، والساقط من الفكر والسلوك، والاعتساف على ضوء ثوابت الماضي الطليقة من حدود الزمان والمكان، وبالاجتهاد في دائرة المتغيرات التي تختلف من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان.

والماضي الذي بنته يد المعصومين عليهم السلام هو ماضٍ قدوةٌ في ثوابته وضوابطه وكليَّاته، ما مسَّه جهل ولا شيطان ولا هوى ولا قصورٌ ولا ضلال، أمّا المتغير فهو على عصمته على أيديهم عليهم السلام لم يُقدِّموه حجَّة مطلقة لا تختلف مع الزمان والمكان في التغيرات والتحولات العارضة عليهما، ولذلك يبقى محلًا لتجديد الرأي والاجتهاد.

ومَن يصوغون الامتداد الصحيح للإسلام في الأزمنة المختلفة في غياب المعصوم عليه السلام هم المسلمون عقيدة، وفقهًا، وتقوى من أهل الخبرة بتغيرات المكان والزمان، والعارفون بفرق الثابت والمتغير، القادرون على التنظير للواقع على خط الإسلام في ضوء كلِّ معطياته.

* إحياء عاشوراء ومتطلبات صياغة الواقع

وإحياء عاشوراء ليس مجرد عملية تعبدية محضة غير منظور فيها مدى ونوعيةَ التأثير على الواقع، لذلك لا بد من التناسب بين أساليبها وآلياتها مع أجواء الواقع ومقتضياته ومتطلباته؛ لتعطي التأثير المطلوب نوعًا وكمًّا، من دون أن تتسبب في انعكاسات سلبية تضر بأهداف المناسبة، فيجب أن يركّز كثيرًا على نقاء الأسلوب، وفاعلية الآلية، والتقائهما مع الموافقة الشرعية، واستبعاد ما لا يعطي دورًا نافعًا للإسلام والقضايا الإسلامية، فضلًا عما يشغل عن الاهتمامات الرسالية كالطبول والموسيقى حتى على تقدير إباحة شيئ من ذلك، أو يُسيئُ إلى صورة الذكرى عند الآخرين، ويحمِّلها ما لا تحتمل من غير أن تكون في هذه الممارسة أهميّةٌ ترجحُ ذلك الضرر.[١٦]

١٦- خطبة الجمعة (١٠١) ٤ محرم١٤٢٤ هـ، ٧-٣-٢٠٠٣ م.

ومن ثابت كربلاء الذي لا بد أن يستهدي الحاضر به، ولا يمكن له الانفصال عنه:

١. تحمل مسؤولية الإصلاح والتغيير للواقع الفاسد في الأمَّة، وعدم التنصُّل عنها، ويشهد لذلك السيرة المستمرة من المعصومين عليهم السلام بما يتجاوز في النظر الدقيق الدلالة الاستحبابية لاشتراك كل المعصومين في هذه السيرة، وعدم وجود موقف مضاد واحد في سيرتهم عليهم السلام.

وأكثر من ذلك دلالة على الوجوب النصوص المتواترة كتابًا وسنّة، وقد انصبّت كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ومواقفه على هذا الاتجاه بصورة مركّزة، وقدّم أبلغ الدروس في هذا المجال قولًا وعملًا.

٢. المستهدَف دائمًا هو الإصلاح الشامل للإنسان والحياة بكل أبعادهما، والإصلاحات الجزئية مقدِّمة له، ولا يصح أن تشغل عنه، أو تؤثر على هُويَّة الأمَّة وانتمائها.

ونستهدي هنا بما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام: «... وإنما خرجت لطلب للإصلاح في أمَّة جدي»[١٧]، فهو إصلاح مطلق وليس لحيثية معينة، ولا لعلاج مشكلة خاصة فحسب. وإذا كان التصدي في موقفه عليه السلام للانحراف السياسي، فإنما كان بهدف المقدمية؛ من أجل الإصلاح الشامل الكامل.

٣. إسلامية المنطلق والشعار والآلية والمعالجة «رضا الله رضانا أهل البيت».[١٨]

٤. الإسلام فوق كل شيئ، وقبل أيّ شخصية، وأيّ بيت؛ فالمتقدم لإنقاذ الإسلام في كربلاء بدمه وأهله هو الحسين عليه السلام سبطُ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ثانيَ

١٧- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٤، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

١٨- نفس المصدر.

معه على الأرض، وهو الإمام المعصوم محلُّ حاجة العالم كله، والبيت الذي تعرض للأذى والترويع والسبي؛ من أجل الإسلام هو أكرم بيت في الدنيا وأطهر بيت.

٥. النصر الذي يُضحَّى من أجله لا يكون دائمًا من النصر القريب والماديّ «من لحق بنا استشهد، ومن لم يلحق بنا لم يدرك الفتح»[١٩]، فمن الثابت من دروس كربلاء وحدة الأمَّة، ومسؤولية الحاضر عن المستقبل ولو البعيد.

٦. الدعوة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والحوار الواعي الهادف القوي هو المقدَّم دائمًا.
والحسين عليه السلام ظلَّ يحاور عمر بن سعد حتى ليلة العاشر كما يَذكر التاريخ، وقد مارس عدد من صحبه الكرام التذكير، والوعظ، والحوار مع الطرف الآخر.

٧. لا يصح للمسلمين في أي زمن أن يسكتوا على الفساد السياسي، لأنَّه من الناحية العملية رأس كل فساد، ولا إسلام حقًّا إذا استشرى الفساد السياسي، إذا كان الوالي مثل يزيد فعلى الإسلام السلام.

٨. لا يكفي للدخول في أي معارضة أنها تواجه مفسدًا ما، وتتحرك ضده، فلو كانت تستبدل فسادًا جديدًا بفساد قديم لم تكن المعارضةَ المطلوبة، ولا يصح متابعتها، وإنما معارضة الفساد التي تستحق المناصرة هي التي تأخذ بالأوضاع إلى الصلاح بعد فسادها «لم أخرج أشرًا، ولا بطرًا، ولا مفسدًا»[٢٠]، فكلما كانت معارضة يزيد بيزيد مثله، أو أخس لم تكن شرعية، ولا يتأدى بها الواجب، ولا تستحق المتابعة.

١٩- الكتاب: المحتضر، المؤلف: حسن بن سليمان الحلي، الوفاة: ق ٨، تحقيق: سيد علي أشرف، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ١٣٨٢ ش، المطبعة: شريعت، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.

٢٠- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٤، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

وإذا كانت مسؤولية الإصلاح ثابتة دائمةً، فإن أساليبها، وآلياتها، وخصائصها المكانية والزمانية، وما تقتضيه هذه الخصائص؛ من المتغير الذي يتطلب نظرًا جديدًا، ودراسة موضوعية خاصةً به، وهذا لم يورث من المعصوم عليه السلام إلا في حدود ضوابطه الكلية العامة.[٢١]

* الصِّياغة الحسينيَّة القرآنيَّة

حسينيُّون قرآنيُّون: العنوانان واحد، والشعار شعار بلد القرآن والحسين عليه السلام بلدٌ احتضن القرآن لأوّل ما سمع به، وعشق الحسين عليه السلام لأوّل ما عرفه، ويبقى في كل مسيرته مُنشَدًّا كل الانشداد إلى القرآن والحسين عليه السلام.

القرآن كتابٌ فوق كلّ كتاب، ونور الله الذي لا تستغني عنه الأرض لحظة عين، ولا منقذ للإنسانية من دونه، القرآن وهو كذلك معشوق هذه الأمّة وتفدّيه بكلّ غالٍ ورخيص، وهو مركز كل دراساتها فيما ينبغي أن يكون، ومحور اهتمامها الأوّل من بين كلّ ما كتب ويُكتَب، وهو ميزان فِكرها، ودليلُها في كلّ طرق الحياة، هو هاديها إلى الله، وقد اختارت ألا تكون لها وجهةٌ لغير الله.

القرآن بعث أمّة، لتكون الأمّة الوسط، لتكون الأمّة الشاهد، لتكون الأمّة الرائد، لتكون الأمّة الأمام والإيمان، والحسين عليه السلام أعاد الأمّة إلى قرآنها، وأبى دَمه الشريف الزكيّ النّقيّ إلا أن يؤكد وجود القرآن في الأمّة، وإلا أن ترقى الأمّة على طريق القرآن، تناطح بوعيها القرآنيّ كلّ انحرافات الفكر، وكل مؤامرت الشيطان، وكل الضلالات في الأرض، الحسين عليه السلام واحد من أهل البيت عليهم السلام وهم أصدق قرينٍ للقرآن.

٢١- خطبة الجمعة (١٠١) ٤ محرم١٤٢٤ هـ، ٧-٣-٢٠٠٣ م.

* أقرأ كلمات يسيرة

كلّ مـن كان حسينيًّا حقًا فهو قرآنيٌّ كذلك، وكل من كان قرآنيًا حقًا فهو حسينيٌّ بـلا إشـكال، وكلّ ثقافة حسينيّـة بصدق فهي ثقافـةٌ قرآنيةٌ كذلـك، وكل ثقافة قرآنيّـة بصـدق فهي ثقافة حسينيّةٌ بـلا غبار، ومن أراد أن يكـون حسينيًّا فعليه أن يكـون قرآنيًّـا، ومن أراد أن يكـون قرآنيًّا فعليه أن يكـون حسينيًا، وإلا لم يكن حسينيًّا ولا قرآنيًّا، ولن تجد من هو حسينيٌ وهو مخالف للقرآن، ولن تجد من هو قرآنيٌ وهو مُتَخَلٍّ عن الحسين عليه السلام، الحسين عليه السلام لا يفارق القرآن، ومن فارق أحدهما[٢٢] فقد فارق الآخر، ومن لازم أحدهما فقد لازم الآخر، وهكذا هم أهل البيـت كلّهم عليهم السلام حسب حديـث الثقلَين الذي لا يقبل الإنكار[٢٣]، وثورة كربلاء ثورةٌ قرآنيّة، بل هي ثورة القرآن.

وعليه فـإن موسم عاشوراء، وهو يريد أن يَترَسّـم خطى الحسين عليه السلام، ويعيش هدفه، ويسير بسيرته، ويَهتدِيَ بهداه لا بدّ أن يهتدي بِهُدى القرآن، يَترَسّم خطاه، يعيشـ هدفه، يلتحـم بوعيه، يأخذ بأمـره ونهيه، والتركيز علـى محورية الإمام الحسـين، وأهل بيت العصمة عليهم السلام يرافقـه التركيز على محورية القرآن، وكذلك العكـس، وعاشوراء من أوّل يوم كان؛ من أجـل القرآن، والتوحيد الشامل، ويجب أن يبقى كذلك أبدًا، ولا يتخّذَ القرآن عِضين[٢٤]، ولا الحسين عليه السلام عِضين.
والتوحيد ليس ممارسة عاديّة للصلاة، أو الصوم وكفى، التوحيد أن تكون الذات كلها وفي كل مساحة الحياة مُستقطَبة لله (عزَّ وجلَّ)، عابدةً له، مُخلصَةً لوجهه الكريم.

٢٢- أعني القرآن والحسين.

٢٣- الذي لا يقبل الإنكار.

٢٤- عاشوراء مـن أول يـوم كان مـن أجـل القرآن الكامـل - وليس بعضه -، والتوحيـد الشامل - وليس بعضـه -، ويجب أن يبقى كذلك أبدًا، ولا يتخّذَ القرآن عضين.

التوحيد أن تكون حياة العبد لا تميل يمينًا ولا يسارًا عن خطّ الله سبحانه وتعالى، ولا تُشرِكَ به شيئًا على المستوى الفكر والشعور والعمل، وفي كل حركة وسكون.
القرآن الكريم أنشأ أمّة وهي أمّة حسب صناعة القرآن، مثلٌ أعلى للأمم، ومكّن لحضارة التوحيد أشدّ تمكين، وكربلاء وقفت بقوة وصرامة في وجه إقبار أمّة القرآن، وحضارة القرآن، وطمس معالمهما.

عاشوراء تصميمٌ للمعصوم عليه السلام[٢٥]، والقرآن من تنزيل الله سبحانه وتعالى، والتدخل بالعنديات في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتبرّع بالإضافات الكيفية لهذه الثورة، والأخذ بأي أسلوب من الأساليب؛ لإحياء هذه الذِّكرى قد يغتال قداستها، يحدث لها تشويها يغيّب الصورة الوضّاءة النقيّة لها.

لا تحريف في القرآن، وكذلك لا تحريف في أثرٍ من آثار المعصومين عليهم السلام.
إنَّ الموسم الإحيائي أمر أهل البيت عليهم السلام، وهو أمر الإسلام والقرآن، ولا يحيا أمر القرآن إلا بطريقة قرآنيّة، ولا يحيا أمر الحسين عليه السلام إلا بالطريقة التي يرتضيها الإمام الحسين عليه السلام.
لا يصحّ أن تُشاب مادة كربلاء بالأوهام والخرافات، ولا أن يُفسد نقاءها الروحيّ وطُهرها الإيماني، الفنّ المبتذل الرخيص، ولا أن تسمح جماهير الحسين عليه السلام بالأجواء القذرة التي تغتال قدسيّة المناسبة وتنال من كرامتها.

ويمكن أن يطرح في ضوء شعار الجمعية «حسينيون قرآنيون»، مسابقةٌ فكريةٌ وعمليّة تحت عنوان (أيّكم أكثر حسينية، وأحسن عملاً؟)، تشجيعًا للولاء الأصدق، والعمل الأحسن في مجالٍ معيّن، أو أكثر من مجال.

٢٥- من تصميم المعصوم عليه السلام. (الشيخ)

وعاشوراء نشتريه بالمليارات، ولا نبيعه بالمليارات، عاشوراء نشتريه بالأنفس، ولا نبيعه ولو كلّف الأنفس، في عاشوراء حياة الأمّة، فيما يؤكد عليه عاشوراء من خط الإمامة الإلهيّة، حياة الأمَّة، وما كَمل الدين وما تمّت النعمة، وما رَضِيَ الربّ إلا بالتأكيد بتنزّل، والتبليغ والتأكيد لخطّ الإمامة الإلهيّة، المتمثلة في شخوص أهل البيت المعصومين عليهم السلام.[٢٦]

٢٦- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في تدشين شعار جمعية التوعية الإسلامية: (حسينيون قرآنيون)، بتاريخ: ٢٩ /١١/ ٢٠١٠- مأتم السنابس.

الباب الرّابع

كيف نستقبل موسم عاشوراء؟

علينـا أن نستقبل المحرم باحتراق فؤاد للإسلام كما كان الحسين عليه السلام محترق الفـؤاد للإسلام، وأن نستقبله بوعي إسلامـي كبير، وبإرادة إيمانية حيّة، وبروح للبذل السخي في سبيل الله تبارك وتعالى.

هنـاك بذلٌ يُدخلك النار، وبـذل يدخلك الجنة، اختر الثاني علـى الأول، والأول بـذل ينطلق من روح البطر، ومـن روح المباهاة والتفاخر الجاهلي، والبذل الثاني هو من سنخ وطبيعة بذل الحسين عليه السلام الذي كان خالصا لوجه الله الكريم.[٢٧]

* الإعداد الحقيقي

يبـدأ الإعـداد لعاشوراء من هـذه الأيام، ويمكن أن يكون قد بـدأ قبل ذلك، وهو اعـداد على مستوى الأموال، والخطباء، وصيانـة الحسينيات، والفُرش، وصدور للطم، ودموع للسكب، إلى آخر القائمة من هذه الأشياء المادية.

أقـول: كل ذلـك يساوي صفـرًا، وربما إثمًا وذنبًـا إذا لم تعدّ القلـوب والنفوس، وتتخلص من حبّ الدنيـا والتنافس عليها باسم الإمـام الحسين عليه السلام؛ فإن في ذلك تشويهًا لثورته المباركة، وأهدافه الإلهية السامية.

كل هـذا لا يغـرّ الحسين عليه السلام، ولا يقبله ما لم يكـن الإعداد على مستوى القرب الإلهي.[٢٨]

٢٧- خطبة الجمعة (٢٣٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٦هـ، ٢٧ يناير ٢٠٠٦ م.

٢٨- خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، ١٢ يناير ٢٠٠٧ م

* العلاقة بين محرّم وكربلاء

هنـاك ارتباط فكـري وروحي ونفسي عنـد الإنسان المؤمن بين هـذا الشهر وبين كربـلاء بكل بطولاتها، بكل آلامها، بكل فجائعهـا، بكل أهدافها النبيلة، وإيمانها المشع، ورساليتها الواضحـة، وإمامها العظيم (صلوات الله وسلامه عليه)، هذا مـن جانب، وهنـاك ارتباط بين هـذا الشهر وبين كربـلاء في الجانب الآخر من الظلـم والطغيان والعسف من نظام سياسي ظالم، وشلل الإرادة الذي أصيبت به الأمّة، والانحرافة الكبيرة التي تعرّض لها دينها.

* بِمَ نستقبل هذا الشهر؟

لـكلّ استقبـال عدّته وما يناسبـه، ومحرّم شهر الحسـين عليه السلام، شهر الإسلام، شهـر الإمامة، شهـر المفارقة بين إمامة الحـقّ وإمامة الباطل لا بـد أن يكون له استقباله الخاص.

لا نحسـن استقبـال هـذا الشهـر إلا بـأن نستقبلـه بوعـي إسلامـي مـن وعـي الحسـين عليه السلام، برساليّة من رساليّته، بالتزام أكيد شديد راسخ ثابت بالتشريع الإلهي، وهو الالتزام الذي دعا إليه الإمام الحسين عليه السلام قولاً وعملاً.

نستقبله بعبودية لله (عزَّ وجلَّ) من عبودية الحسين، وبحريّة أمام غير الله (عزَّ وجلَّ) من حريّة الحسين عليه السلام.

وما عرف طعم الحرية الحقيقية مَن لم يعش العبودية الصادقة لله (عزَّ وجلَّ).

نستقبلـه بإرادة مـن إرادته، بعزم من عزمـه، بتصميم مـن تصميمه، وفدائية مـن فدائيته، وفدائيّة أنصـاره، بحكمة وعقلانية من عقلانيتـه وحكمته، وبروح إصلاحية من روحه.[٢٩]

٢٩- خطبة الجمعة (٣٠٦) ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٨هـ، ٤ يناير ٢٠٠٨ م.

* رضا الله رضانا .. دروس في حب الله

نحن محتاجون إلى انشداد إلى الله، إلى تعلق بالله إلى أن نقصد بأعمالنا الكبيرة، وأعمالنا الصغيرة وجه الله، من أين نتعلم هذا؟ نستطيع أن نتعلم ذلك من كربلاء.

هذه الكلمة العظيمة عن الإمام عليه السلام: «رضا الله رضانا أهل البيت»[٣٠]، تعطى أنّ ليس لهم رضا غير رضا الله سبحانه وتعالى، رضانا أهل البيت.

أعطِ الإمام عليه السلام ما تعطيه من دنيا الناس لا يرضى عنك حين لا تكون المصليَ الصائمَ المجاهدَ، كن الأجنبي من الإمام عليه السلام، ولكن الذي لا تقدم فلسًا واحدًا للإسلام لأنك لا تجد، وكن المصلي الصائم المجاهد، فأنت حبيب الإمام عليه السلام، لأنك حبيب الله.

«رضا الله رضانا أهل البيت» إذا كان رضا الله في قتلنا، فهذا يولد لنا رضًا في القتل، إذا كان رضا الله في أن نُهجَّر يولد لنا رضا بالهجرة رضًا داخليًا وأنسًا نفسيًّا، إذا كان رضا الله في أن تخرج الخفرات المخدرات العلويات على نوقٍ هوازل على مرأىً من الأعداء، فهذا المنظر المؤلم البشع الذي يهز غيرة الإنسان العادي فضلًا عن غيرة الإمام عليه السلام حين يكون في خدمة الدين، ويكون فيه رضا الله (عزَّ وجلَّ)، فهو محل لرضانا.

هذا التعلق بالله .. الحب لله .. خلوص العمل لله، أمر تحتاجه حركة المؤمنين، وحركة المسلمين، وكربلاء فهذه الكلمة الصادقة، وأمثالها، وبكل موقف من

٣٠- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٤، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

مواقـف الإمـام عليه السلام، ومواقف أصحابه رجاله، ونسائـه تعطينا روح الرضا ...، ترفع من مستوانا الروحي، وتشدنا إلى الله، وتلهمنا كيف نـحب الله. [٣١]

٣١- كلمة ألقاها سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في مأتم بن سلوم- المنامة، بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ - الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٥ م.

الباب الخامس

كيف نحيي عاشوراء؟

أما بعد أيها الأكارم الأعزاء من مؤمنين ومؤمنات..

فقد هلّ عاشوراء بالحزن والأسى لمصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأهل بيته الكرام، فعظم الله أجورنا وأجور الأمَّة المؤمنة جمعاء.

ولتكن أيام عاشوراء أيَّام ذِكر لله، وانقطاع إليه.

أيام بذل سخي خالص في سبيله.

أيام أخوّة إيمانية صادقة.

أيام حبس للنظر عما حرَّم الله.

أيام عفة وطهر ونزاهة.

أيام ولاء حارّ لقدوة الصالحين رسول الله وآله الطاهرين..، ولاء تُعبّرُ عنه مواقف التقوى والرشد والصلاح.

أيامَ أمر بالمعروف ونهي عن المنكر طلبًا لرضوان الله.

أيامَ أوبة وتوبة جادّة، وفرار من الشيطان الرجيم.

أيام رعاية لمحارم الله، ومنها حرمة المؤمنين.

أيام اهتمام بالغ بأمر الصلاة وحقها وأدبها ومقتضاها.

أيام تطهير للقلب من أمراض الهوى على كثرتها وتنوعها وإنها لتصدُّ عن ذِكر الله.

أيام الإرادة الإيمانية القويَّة التي تتجاوز كل مغريات الأرض، فتسهل عليها التضحية في سبيل الله.

أيام استمساك أشد وأمتن بحبل الله في المضائق والأزمات والتحديات.

أيام رأب الصدع بين فئات الأمَّة المسلمة والمؤمنة، والالتفاف حول قيادة الحسين عليه السلام.[٣٢]

* العمق اللازم لإحياء عاشوراء

أ- ترسيخ القيم

أما بعد أيها المؤمنون، فإنكم تعلمون أن ثورة كربلاء كانت إيمانًا كلها، واستقامة كلها، وجدًّا كلها، وإخلاصًا ووفاء لله، ولن يفي المؤمنون لتلك الثورة المباركة المعطاء، ولن يؤدوا من حقها شيئًا حتى يكون إحياؤهم لذكراها من نفس المنطلقات والقيم التي فجرتها بعيدًا عن الرياء وعبادة الذات، والأماكن والعشائر ومصالح الدنيا الفانية بما يضر دين الله، ويعكر صفو الرسالة، ويسئ إلى سمعة الدين، ويفتت كيان المؤمنين.

ولترق الكلمة وتعبر عن وعي الإمام الحسين عليه السلام، ودروس ثورته في وضوح ونقاء، وليخاطب العقل والقلب بالخطاب الإسلامي الأصيل بلا أن يعتوره الغبش والضباب مع ملامة مشكلات الناس الموضوعية واهتماماتهم، بما يفتح الطريق أمام الدين لقبول الناس ولا يغلقه، وبما يتيح له أن يتحرك على أرض الواقع، ولا يحاصره.

ولا تكن أيام عاشوراء على أيدينا أيام تفرج وزينة ومراتع للشيطان، فإنما هي موسم وعي وإيمان وتعاون على الخير وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وعرض للفكر الإسلامي، وتجل للأخوة الإيمانية والخلق القرآني الكريم، وحس الأمَّة الإسلامية الكبرى، والأمل الإسلامي البهيج.[٣٣]

٣٢- خطبة الجمعة (١٨٦) ٢ محرم ١٤٢٦ هـ- ١١ فبراير ٢٠٠٥ م.

٣٣- خطبة الجمعة (١) ١٢ محرم ١٤٢٢ هـ.

ب- تصحيح الواقع

ونأتي أيها الإخوة المؤمنون والأخوات المؤمنات؛ من كل الأعمار إلى مناسبة عاشوراء؛ لنؤكّد أن هذه المناسبة ليست لتغييب الإسلام في الواقع، بمعنى نسيان الإسلام؛ من أجل الواقع ومعاناته، كما أنها في نفس الوقت ليست للهروب بالإسلام عن الواقع، وتعليقه بالقياس إلى الواقع.

يلامس الواقع من منطلق الإسلام وبالطريقة الإسلامية، وفي حدود الحكم الفقهي، والمعالجة الشرعية.

ج- تهذيب الأخلاق

محرّم ليس للسطحية، ولا للانهيار الخلقي والفجاجة العاطفية وعربدة المعربدين...، ولا لمجد القبيلة والمنطقة، ولا نصيب فيه لأي مدرسة غير مدرسة الإسلام القويم...، ولا استغلال فيه لأي غرض لا يرتضيه الإسلام.

علينا أن نفهم الحسين عليه السلام أولًا...، ثم نجيب عن هذه الأسئلة.

أطرح عددًا من الأسئلة وهي أسئلة بمقتضى انتمائنا للإسلام، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبمقتضى وعينا الإسلامي، والذوق الذي تربّى ونما في ظل وعي أهل البيت عليهم السلام، لها أجوبة في صدورنا، في عقولنا ووعينا وكل ما يطلب، ونحن نمتلك الجواب على السؤال أن نقارن بينما هي الإجابة في الفكر الديني في داخلنا وبينما عليه واقعنا الخارجي محاولين تغيير الواقع - التمرد الديني على الواقع - التصحيح الجاد للواقع.

السؤال الأول: نتخذ عاشوراء مسرحية ملهاة، أو مسرحية مأساة، أو مأتمًا من مآتم، الأهل حين يموتون؟ نتخذه مدرسة نظرية؟، نتخذه دورة تطوير للإنسان والحياة؟

الجـواب في صدوركم واضح جدًّا، وقارنوا بين ما تملكونه من جواب ما تختارونه من بين هذه الفروض، وبين ما عليه الواقع الخارجي:

الفرض الأول: عاشوراء يمكن أن يُتخـذ مسرحية ملهاه ومسلاه، فقطعًا للرّوتين ودخـولًا في لونٍ مـن النشاط الاجتماعي المبـاح سياسيًّا، نستفيد مـن عاشوراء؛ لنفـرح أكـثر ممَّا نحـزن، ولنلتقي مع بعضنـا البعض في لقـاءات جماعية واسعة وعلى موائد كريمة مادية، وفي مواكب تجوب الشوارع، ويكثر نظّارتها والمتفرجون عليها، ونحن نستعرض العضلات، و نُبرز فنونًا من الأداء الموكبي العزائي؛ لنلفت النظـر، ثم نعود مـن بعد الموكب نتفكَّـه، ونثرثر، ونقارن بين هـذا الموكب وذاك الموكب، وأيّ موكب أكثر بروزًا وأيّها يَستلفت نظر الجمهور بصورة أكبر!

إنهـا الملهاة والمسلاه، نتّفق عليها كثـيرًا، ونخرج من بعد العاشر أو الحادي عشر بنفسية منفتحة على الحياة أكثر ممَّا كنَّا.

الفرض الثاني: يمكـن أن نتخذ عاشوراء مسرحية، ولكنها مـن نوع المأساة التي تعمـق الجراح في النفس وتذيب الفـؤاد، وتستدر الدموع وربما ما تكون؛ لتخفيف المأسـاة الواقع نعيش مأساة كربـلاء، أو نقيم مأساتنا باسـم كربلاء؛ من أجل التعبير عن مأساة واقعنا وآلمنا.

الفرض الثالث: يمكـن - أيضًا - أن نتخـذ عاشوراء مأتمًا نـذرف فيه الدموع؛ لضيق الصدر، واعتصـار القلب، ولكن بمستوى أن هناك جثثًا مطرّحة، وأشلاء ممزّقـة، وخيمات محروقة ومناظر بشعة ارتكبتها جريمة الأمويين، وهي مشاهد في حد ذاتها تستدر الدمع وتكوي الفؤاد.

فلحرقة في الفؤاد، لمناظر القتل وبعثرة الأشلاء نحن نبكي على حدّ بكائنا وعندما يموت واحد من الأحبة، عندما نفقد بعض الأهل.

أمحرم للفرض الأول؟، للفرض الثاني؟، للفرض الثالث؟

أم لهـذا الفرض الرابع: وهو أن لنتخذ من محرم مدرسـة نظرية نستوعب فيها دروسًا إسلاميَّة على من مستوى الفكر محاولين أن نفهم من عقيدتنا شيئًا، نفهم مـن أحكامنا الفقهيـة شيئًا آخر، نتوفر على شيئ مـن المفاهيم الإسلامية، هذا فرض آخر أيضًا.

شيـئ أكـبر من هذا وذاك وهو أن محـرم دورة تطهـير ودورة تطوير، دورة بعث للإنسان، للحياة.

للإنسان في كل أبعاده، وللحياة في كل مناحيها.

لأيّ الفروض هو محرم؟

يبقى السؤال إلى حينٍ، وأنتم تملكون الجواب، فانظروا كم ننفق من أجل محرم، كـم نعطـي من وقت، كـم تتعطل من دراسـة، كم يتعطل من عمـل، كم يبذل من جهد، هذا كله؛ من أجل أيّ فرض يصح لنا أن نبذله.[٣٤]

السؤال الثاني: محرم موسم للقبيلة أم موسم للمنطقة؟ محرم موسم للحزب؟ موسم للإسلام؟

الفرض المختار، عندكم على المستوى الفكري واضح، ولكن انظروا كم هو الفرق الشاسـع بين ما يبادر لاختياره من بين هذه الفروض، وبين ما تدل عليه الممارسة الواقعية والخارج:

الفرض الأول: يمكـن أن نقول محرم؛ مـن أجل تعزيز موقـع القَبيلة، من أجل إعطائها موقعية اجتماعية أكبر، حيث إنها تمتلك الحسينية في المنطقة، وامتلاك الحسينية في المنطقة يعني شرفًا، يعني سمعة، يعني جاهًا.

٣٤- كلمة لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)، ألقيت في منطقة رأس رمان ١٤٢٢هـ.

يتغذى بهذا الشعور الشيخ والشاب من أبناء القبيلة والمرأة والرجل.
إذًا تستحق الحسينية أن يبذل من أجلها، ويستحق الموكب أن يقام مادام في ذلك عزّ القبيلة وشرف القبيلة وجاهها.
ولماذا لا ندخل في تنافس مناطقي؟
ولماذا نصرّ على أن تتقدم منطقتنا على المناطق الأخرى؟
ولماذا لا أبذل من الجيب الكثير؛ من أجل الدراز، من أجل رأس رمان، من أجل باربار، من أجل المنامة؟
فليكن هذا معبودي، وأنا أقيم الحسينية، وأنا أرفع من مستوى النشاط في الحسينيّة، وأنا أبذل كل جهدي؛ من أجل أن يكون موكب الحسينية هو أكبر المواكب، وأشدها إصرارا على التطوير!!!

الفرض الثاني: وتأتي الحزبية - أيضًا - في الحساب؛ يمكن أن تُنشأ أحزاب بالمعنى اللغوي، ويمكن أن تنشأ أحزابًا بالمعنى السياسي، فلتكن الحسينية محل الصراع السياسي، ومحل الصراع الحزبي بمعناه اللغوي أو بمعناه السياسي، يبقى أين موقع الإسلام، الإسلام بلا شيئ، له الاسم، والاستثمار لغيره.

الفرض الثالث: هذا أو نجعل المحرم موسمًا للإسلام يتركز فيه الاسلام في العقول، في النفوس، في الأرواح، في الواقع العملي بدرجة أكبر.

السؤال الثالث: محرم أهو للفرقة المذهبية؟، لتغييب المذهب؟، لعرض الإسلام، وتركيز الوحدة الإسلامية؟
ثلاثة فروض - ويمكن أن يكون محرم لهذا الفرض أو ذاك من بين الفروض الثلاثة -:

الفرض الأول: هل نريد لعاشوراء أن نزرع بـه الفرقة المذهبية...، نركزها...، نلهب الشعور بها...، نزيد من الهوَّة بين السنة والشيعة؟
يمكـن لك أن تتخذ عاشـوراء لهذه الوظيفة، ولهذا الهـدف، وبذلك تمزق أكثر، وتبعثر الوجود الإسلامي بصورة أوضح.

الفرض الثاني: وهناك ضد لهذا الأمر وهو أن نغيب المذهبية، أن نميع المذهبية، أن نقتـل الشعـور بالمذهبية من خلال شعارات عاشـوراء، ومن خلال طرح المنبر الحسيني، وطرح الموكب الحسيني.

الفرض الثالث: الخيار الثالـث أن نعرض الإسلام، أن نبرز عظمة مدرسة أهل البيـت عليهم السلام، أن نقـدم الدروس الفكريـة والدروس النفسيـة، والدروس العملية التي تهدي لها مدرسة أهل العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وأن نبـيِّن كـون قيادة أهل البيت للمسلمين لكل المسلمين، ومـا منهم إمام إلا وأخلص لهـذه الأمَّة بكل فصائلها، وبكل مذاهبها وأنَّهـم عاشوا الآلام العنيفة، والمقاساة الشديدة؛ من أجل الضال، ومن أجل المهتدي، من أجل الشيعي والسني؛ من أجل الأسود والأبيض، من أجل الحاكم والمحكوم، أرادوا النجاة للجميع، أرادوا الجنة للجميـع، أرادوا لهذه الدنيا أن تتحول جنة في حياة المسلمين، وأن تنعم بالإسلام كل الأرض؛ لتكون كل الأرض جنة.

السؤال الرابع: ما هو الخيار المختار لمحرم؟، محرم لتأزيم الأوضاع السياسية؟، للإصـلاح السياسي؟، للمداهنـة السياسية؟ - هذا بغض النظر عن نوع الظرف السياسي هنا أو هناك -؟
يمكـن أن تكـون عاشوراء أداة بيدنـا لتأزيم الأوضـاع السياسيـة في أي بلدٍ من

البلدان التي نعيش فيها، لإحداث عاصفٍ سياسي، لإحداث زوبعة سياسية من غير حساب، من غير دقة، بغير موازنة.
ويمكن لنا أن نحول عاشوراء، إلى ميدان مداهنة للسياسيين، ولأهل الدنيا والرؤساء والأمراء والملوك والحكومات.

كما يمكن لنا أن نجعل عاشوراء أداة إصلاح سياسي، ووعيٌ للحقوق، وفتح واعية الإنسان المسلم على موقعة من السياسية والاجتماع، على حقه الروحي، على حقه المادي في كل وطن من أوطانه، أن نجعل عاشوراء دعوةً للعدل، دعوةً للإنصاف، للتوزيع السوي، لعدم التغريب للمجتمع الإسلامي، دعوةً لسد منافذ الغزو الفكري والغزو الأخلاقي للبلاد الإسلامية، يمكن لنا أن نفعل هذا أو ذاك، وعلينا أن نختار.

من هو رئيس الحسينية؟
من هو النادب والمنشد في العزاء؟
من هو خطيب المنبر الحسيني؟
أين تكون المرأة في موقعها من الموكب الرجالي، ومن مكان الرجال في الحسينية؟
من هو رئيس الحسينية؟
يمكن أن يكون رئيس الحسينية قبليًّا، يمكن أن يكون مكانيًّا - أي دافعه دافع المكان -.

يمكن أن يكون رئيس الحسينية حزبيًّا، يمكن أن يكون رئيس الحسينية متدينًا ولكن بلا نباهة، يمكن أن يكون رئيس الحسينية منغلقًا، يمكن أن يكون رئيس الحسينية متهورًا، يمكن أن يكون رئيس الحسينية مرتجفًا.

ويمكـن أن يكون رئيس الحسينية صورة مصغرة كثـيرًا كثيرًا من شجاعة الإمام الحسـين عليه السلام، جـرأت الإمـام الحسـين عليه السلام، وعي الإمـام الحسين عليه السلام، تقـوى الإمـام الحسـين عليه السلام، شهامة الإمـام الحسين عليه السلام، إخلاص الإمام الحسين عليه السلام، انفتاحية الإمام الحسين عليه السلام، علينا أن نختار.

من هو النادب، والمنشد في الموكب العزائي؟

يمكن أن يكون النادب والمنشد العزائي من النوع الذي يبحث عن الشهرة لصوته، مـن النوع الـذي يريد أن يغزو قلب البعض؛ من أجل دوافع غير شريفة، يمكن أن يكـون النادب والمنشد والذي نسميه الـرادود في الموكب الحسيني من النوع الذي يبحث عن موقعٍ في الناس، ويمكن أن يكون غير ذلك.

أن يكـون المبدئي، أن يكون الشريف، أن يكون الواعي، أن يكون المحترق للإسلام ولكن في وعيٍ، وعقلانيته لها الحاكمية في قراره، في كلمته، في موقفه.

خطيـب المنـبر الحسيني: لو حاولنا أن نغطي حاجة المـآتم الكثيرة بخطباء كلهم أكفـاء لأحوجنـا ذلـك إلى كثير مـن الجهد والبـذل والمحاولة؛ ولكـن الأصل في الخطيب أن يكون:

كفؤًا على مواصفات علمية وإيمانية وخلقية لا بد منها.

الأصل في الخطيب أن يكون سلم انتماؤه الإسلامي وصدق.

والأصـل في الخطيب أن يكـون ممن توفر على فهم إسلامـي لا يسيئ من خلاله للإسلام، ولا يقدم من خلاله إسلامًا غلطًا للناس.

والأصـل في الخطيب هـو أنه ذلك الإنسان المتقي لله (عزَّ وجلَّ)، والذي لا يسمح لـه تقواه بـأن يكذب على الله من خلال المنبر، ولا يُزيـن القبيح، ولا يجتري على

الله سبحانه وتعالى في شيئ، وأن لا يقول إلا ما يعلم، تاركًا ما لا يعلم، أن يكون الخطيب داعية من خلال سلوكه، من خلال لحظاته ونظراته، من خلال تعففه وتنزهه.

أين تكون المرأة في موقعها من موكب الرجال؟!
هل تدخل المرأة كما يدخل الشاب تمامًا في موكب العزاء، لتلطم معه وفي جنبه؟!، تدخل الشابة في الحلقة كما يدخل الشاب؟، لماذا لا نفعل ذلك؟؟، ما هو الحاجز؟!، وهل هناك حاجزٌ فعلًا وصدقًا وحقًا؟، إذا لم يكن ذلك فليكنّ مختلطات بالرجال خارج الحلقة كما هو الحال بين الرجل والرجل تمامًا، من الذي يحجز من ذلك؟، لماذا لا نختار أن تدخل المرأة، وتجلس في الحسينية كما تجلس أنت تمامًا؟، هذا المجتمع الذي قد يحضر عند الخطيب، فليكن نساءً ورجالًا، وتفعلون ذلك في جمعياتكم؟، ألستم تحاولون صنع ذلك في الجمعيات، في النوادي؟

ألسنا نخطو خطوات تطوير منفتح في الاجتماع بالمرأة؟، اعرضوا هذا على الإمام الحسين عليه السلام.
هذا الخيار، أو نختار للنساء حسينيتهنّ الخاصة، تجمعاتهنّ الخاصة، نشاطهنّ العاشوريّ المكثف الخاص، ألسن قادرات على أن يقدمن الجديد، وكما تطور المجتمع الرجالي مستقلًا، يمكن أن يتطور المجتمع النسائي - أيضًا - مستقلًا؟ أنت مجمتع الرجال، جاءت ملائكة من السماء طورتكم، أو طوّرتم أنفسكم؟

الآن يمكن للمرأة أن تستفيد من ثروة مختمرة كثيرة، من خلال ما تقرأ، من خلال ما تسمع، من خلال ما ترى حتى في الفيديو، وما إلى ذلك، يمكن لها

أن تعمـل على تطوير داخلها، على تطوير مجتمعهـا النسوي من غير هذا القرب الجسدي الذي لا يمثّل ضرورة.

نحـن نريد فاصلًا جسديًّا بين المرأة والرجـل، ولا نريد فاصلًا فكريًّا ولا شعوريًّا في قضايا الأمَّة وشؤونها، نريد فصلًا جسديًّا، ويجنّب المشاعر الضارة فقط.

ما هي المواضيع التي يطرحها الخطيب فيما ينبغي؟

مثلًا ما هي المشاكل التي يعالجها؟

هل للخطيب، أو عليه أن ينشغل بالواقع؟

السنة توجد مشكلة، فعلى الخطباء كل الخطباء، أن يشتغلوا بهذه المشكلة القائمة مستغرقة لهم؟

وفي العام القادم تأتي مشكلة أخرى عليهم أن يذوبوا في تلك المشكلة؟، هذا طرح. طرح آخر هل يوجد واقع، ولا تلامس الخطابة ذلك الواقع بشيئ حتى أن الخطيب يهجـره تمام الهجران؟ وإذا لامس الواقع بخطابته، وأراد أن يتحدث من الواقع، فيكف يعالجه؟

ماذا تختارون؟

تختارون أن تذوب المواكـب والحسينيات، وكل الخطب في مشكلة سياسية واحدة تكـون اليـوم، أو تكون غدًا، وينسى الإسلام كله؛ مـن أجل هذه المشكلة وحدها؟، ومـن أجل تلـك المشكلة الأخرى وحدهـا؟، أو تختارون أن يكـون المنبر الحسيني أجنبيًّـا في صورة كلية عـن ملامسة الواقع؟، وكأن المنبر الحسيني عليه أن ينتقل بنـا مـن واقعنـا إلى التاريخ بحيـث يغمض، عينيه عـن هذا الواقع كلـه، ويحول التاريخ إلى تاريخ مسحوب الصلاحية عن اقتحام الواقع؟

أم أن الموكـب والخطيـب عليـه أن يقدم الإسلام، وأن لا ينسـى جنبة من جنبات الإسلام، وأن يصنع الشخصية الإسلامية متكاملة الأبعاد، وأن يلامس الواقع؟،

ولكن تبقى معالجة الواقع لها أكثر من فرض، يمكن أن أتحدث عن الواقع بعقلية علمانيـة، يمكن أقدم معالجات علمانيـة للواقع، أقدم معالجـات حزبية للواقع، أقدم معالجات من وحي تفكيري الخاص بالواقع، ويمكن أن تكون المعالجة للواقع معالجـات معالجـة إسلامية تهتـم دائمًا بالإسـلام، وتتقيد بالحكـم الشرعي، وتحمـل هدف إحياء الإسـلام، وتقريب النـاس والواقع للإسـلام، أيُّ الفروض نختـار؟!؛ من أجـل جوابٍ يرضاه الله، ويرضاه رسولـه ﷺ، ويصلح أنفسنا، ويصلح واقعنا، ونسعد به دنيًا وآخرة، علينا أن نفهم الحسين عليه السلام أولًا.

أنتم يا مَن تستعدون؛ لإحياء موسم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ليس لكم أن تحيوا ذكرى كربلاء قبل أن تفهموا الحسين عليه السلام.
لا بـد أن نفهـم الحسـين عليه السلام، وإلا قـد نشـط بعيدًا جـدًّا عن أهـداف الإمام الحسـين عليه السلام، عن شخصية الإمـام الحسين عليه السلام، ونحن نحـاول أن نقترب منه، فإنك حين تتعامل مع الحسين عليه السلام وأنت لا تفهمه قد تسيئ إليه كثيرًا.

علينا أن نفهم أهداف الحسين عليه السلام، أساليبه، أخلاقيته في حربه وسلمه أولًا.
الحسين عليه السلام الذي لم يدخر قليلًا، ولا كثيرًا في مواجهة للحكم الأموي الطاغي الظالم، من أي منطلقٍ انطلق في ذلك، ماذا كان هدفه؟!
ما هي الأساليب التي استعملها؟!

ما هي الأخلاقية التي ظهرت على كلماته، على مواقفه، هل كان قبليًا؟!
عـودوا لأسئلتنا هل كان الحسين عليه السلام تحرك تحـركًا من أجل الملهاة، من أجل المأساة، من أجل أن نقيم مأتمًا عليه؛ من أجل أن يحيي الإسلام نظريًّا؟!
أو كان تحـرك الإمـام الحسين عليه السلام؛ من أجل أن يحيـي الإنسان بالإسلام، أن

يبعث في الناس الحياة، أن يحل ذِكر الله في القلوب محل أي شيئ آخر يصد عن ذِكر الله؟!

كان تحرك الإمام الحسين عليه السلام لعز بني هاشم؟[٣٥]

* كيف نحيي عاشوراء؟

عاشوراء تُمثل الجد كل الجد، ومن يقول: إن في عاشوراء هزلًا؟

وإذا كانت عاشوراء هي يوم الجد، ويوم الكفاح، ويوم المنازلة للباطل، فلا يصح أن يدخل في إحياء عاشوراء هزل ولا باطل، ولا يُصح أن تُميَّع عاشوراء بموسيقى، وبألحان المطربين.

عاشوراء وجه صريح وصارخ للجدية وللرسالية وللالتزام بالحكم الشرعي، والتقيُّد به في أحلك المواقف.

ما فارق الحسين في كلمة، ولا في موقف، ولا يظهر من أحد أصحابه عليهم السلام أنه فارق الحق وخرج على قيد الحرام والحلال قيد شعرة في معركة الطف.

وهذا يقول لكم: أيها الإخوة بأنكم إذا أردتم أن تكسبوا شرفًا بمشاركة الطّفّيين، وأنصار الحسين عليه السلام، فلتكونوا بهذه الدرجة من التقيُّد بالحكم الشرعي فيما تمارسونه في عاشوراء.

عاشوراء يوم التضحية السخية التي كشفت عن أن المسلم الحق لا يدّخر ليومه، أو غده لنفسه، أو ولده شيئًا يبخل به عن دين الله.

فلنكن في إحيائنا لعاشوراء مضحين بالوقت، مضحين بالجهد، مضحين بالمال، مضحين بالأنا؛ من أجل مصلحة الإسلام.

٣٥- كلمة لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)، ألقيت في منطقة رأس رمان ١٤٢٢هـ.

اسحق ذاتك الأرضية؛ لتولد ذاتك الإنسانية، ولتكون على خط الحسين عليه السلام، انسَ أن هذا مأتمك، واستسخف نفسك حين تطالبك أن تكون رئيس المأتم ولو على حساب مصلحة الإسلام.

انسَ أنك تنتمي إلى هذا أو إلى ذلك المأتم، إلى هذا الموكب أو إلى ذلك الموكب، وإلا فأنت أين؟، والحسين أين؟، أنت في وادي سحيق، والحسين في عليائها. يوم التعاون، يوم التكاتف، يوم الفداء، يوم التسابق للبذل للخيرات، فليكن إحياؤنا لعاشوراء من هذا النوع، نتعاون، نتكاتف، نوحد الصفوف، نوسع الموكب. وأطالب بشدة بعدم التنازل عن وحدة المواكب في أي قرية من القرى، وفي أي منطقة من المناطق.

وقولوا لمَن يقف في وجه هذا المطلب أنت مطرود من صف الإمام الحسين عليه السلام. لا شك أن عاشوراء على يد الإمام الحسين عليه السلام كان أروع مثال لالتزام الهندسة والتخطيط، وما نجحت ثورته عليه السلام مع ضآلة إمكاناتها المادية، وضعف وسائلها الأرضية بعد توفيق الله (عزَّ وجلَّ) إلا من خلال الهندسة الدقيقة، والتخطيط الحكيم.

فأدخلوا ضرورةً عنصر التخطيط والهندسة في إحياء عاشوراء، وليشارك الفكر الدارس المتأنّي المخطط في إعطاء مستوىً أكبر، وفاعلية أضخم، ومردود أثرى لإحياء عاشوراء.

التخطيط للموكب، التخطيط للمأتم، للحسينية، التخطيط للردّة والأنشودة الحسينية، التخطيط لكل فاعلية من فعاليات هذا الموسم الثر الكبير الكريم.

يـوم عاشوراء يـوم التقوى؛ التقوى التـي أمسكت بالألسن عـن الفحش والبلاء، ألسـن أهل الطف من جبهة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أمسكت الألسن عن الفحش، والسيـف عـن النّبوِ بغير حـق، عن أن ينبـوَ، فيصيب نفسًا بغير حـق، واليد عن البطشـ الباطل، وأمسكت حتى لسان المرأة الذي كان يُعرف عنها أنها متسرعة، وأنها منفعلة عن أن تقول كلمة لا تُرضي الله.

وهل كنت تتوقع من عين أنصاري من أنصار الحسين عليه السلام أن تمتد إلى محرم؟ أو أنـت تتوقع لكلمة على لسان من أولئك النخبة، من أولئك الصفوة الذين كانوا يُعانقون الجنَّة أن تخرج في غير مرضاة الله؟

أو كنـت ترتقـب من شابة من شابات الطف هاشمية، أو غـير هاشمية أن يشتغل قلبها ولسانها وجوارحها بغير ذكر الله ومراضيه؟

فليكـن يـوم الطـف علـى يدنـا أخلاقيًـا هـو يـوم الطـف أخلاقيًّـا علـى يـد الحسين عليه السلام.[٣٦]

٣٦- http://albayan.org/modules.php?name=News&file=article&sid=108.

الباب السّادس

تطوير الإحياء

* تطوير الإحياء وضوابطه

مسألة التطوير للإحياء، يجب أن تتحرك في إطار المستحب والمباح بالمعنى الخاص، ولكن حتى مع تأطر أساليب الإحياء المتجددة لا نرضى الارتجالية والانطلاقة المفتوحة.

يجب أن تخضع عملية تجديد الأساليب الى تدارس، وإلى قرار واع وإلى نظر مرجعية علمائية في هذا البلد.

أما أن يستجد عند هذا رأي فيطبقه، وذاك يتراءى له أسلوب فيأخذ به، والآخر كذلك، والرابع مثله، فهذا قد يوصلنا لحالة من حالات الانفلات التي يصعب معالجتها.

هناك أساليب تعتبر أساسًا في الإحياء، وأساليب مساندة وثانوية، فالأئمّة عليهم السلام بعد أن نصوا على أساليب معينة، فيجب أن تكون هي الأساسَ والمرتكزَ في عملية الإحياء.

المنبر الحسيني هو أسلوب من الأساليب التي ينبغي أن تكون خالدة والتي نعتبرها محورية وإلا نقدم عليها أسلوبًا آخر، المنبر منبع للتغذية الفكرية والنفسية والروحية، وبناء الأجيال بناء إيمانيًّا صلبًا وأهميته عندكم واضحة لا تحتاج إلى شرح.

الموكب وهو يأتي في الدرجة الثانية وله وظيفة أخرى وهي أن الموكب هو الأقدر على استيعاب كل الشرائح، ولكنه صار اليوم يحتاج إلى ترشيد كبير كبير جدًّا، فقد دخله السيئ ليس من ناحية المزاحمة اللاأخلاقية فحسب، وإنما من ناحية إخواننا المنشدين، فهذه الأصوات والحركات التي تقتل الرجولة، وتقتل الإرادة، وتنعكس بأثر سلبي كبير على المناسبة، وتخسّرنا أجيالًا بعد أجيال يجب أن نتدارك أمرها، وأن نرجع إلى طرح آخر يغذي حالة الرجولة، وحالة الإرادة القوية.

يكفي ترديد: (حسين .. حسين)، وفي حالة رجولية صارمة جدية لطرد كل اللاأخلاقيات، ولتخليص الناس من فتيات مُبْتَذَلات بالميوعة، ويمكن أن تطرح المعاني الرسالية الكبيرة بالصورة اللائقة؛ لتكون مربيّة.

إما أن يتحول الرادود إلى ممثل سينمائي في نسيان لرجولته، أو إلى شبه مغنّ فحرام علينا أن نلتف حوله، ونعطيه الفرصة؛ لتشويه هذه المناسبة الدينية، وإساءة الاستفادة منها، والانحراف بها عن خطّها.

إنها عملية امتصاص لجهود المؤمنين، وامتصاص لميزانيات ضخمة، وتعدٍ على قدسية المناسبة وسرقة لها.

يجب أن تعالج هذه المشكلة، يجب أن نقف بكل صرامة أمام هذا المدّ غير الواعي والرشيد.

* نداء

ونداء ليس من المجلس وإنّما من الإسلام، ومن قلب الإمام الحسين عليه السلام بأنْ يكون هذا التطوير دائمًا ملتزمًا، وأنْ يكون دائمًا على الخطّ الشرعيّ، وأنْ يكون

مـع أهداف الحسين عليه السلام، ومـع تحرّج الإمام الحسين عليه السلام عن الشبهة فضلاً عن الحرام.[٣٧]

* ماذا نطوّر من عاشوراء؟

وهنا السؤال: ونحن نهتـمُّ بعاشوراء، ونرى يوم العاشر من المحرّم يوم استشهاد أبـي عبـد الله الحسين عليه السلام يومًـا لا يستغني عنه امتداد التاريـخ الإسلاميّ في استرفـاد الدروس الـثرّة منه، وفي بقـاء الإسلام علـى خطّه الصحيـح، وتوفّر الأجيـال الإسلاميّة على الوعـي الإسلاميّ الصادق، ونحن ننظـر إلى عاشوراء بهذا المنظار، ويهمُّنا تطوير عاشوراء، نسأل ماذا نطوِّر من عاشوراء؟

إحيـاء عاشـوراء ثابت، لا تغيـير، لا تبديل، أمّـا التطوير فللمؤسّسـة الحسينيّة، إدارةً، مستوى ماليًّا، خطيبًا، مُنشدًا، موكبًا، أساليب تبليغيّة، كلّ ما شمل تشكيل الحسينيّة، وكلّ ما يتّصل بالأسلوب بأساليب الإحياء هو قابل للتطوير.

* من ضوابط التّطوير

وللتطوير ضوابطه، من هذه الضوابط:

أ- أنْ لا خروج على الحكم الشرعيّ في أيِّ ممارسة، وتحت أيِّ شعار من الشِّعارات، وفي ظلِّ أيِّ حُجّة من الحُجج التي تدعو إلى الحاجة إلى التطوير.

ب- الحفـاظ علـى نقاء الثورة الحسينيّـة أخلاقيةً ومفاهيـمَ، رؤىً، هدفًا.. إلى آخـره من كلِّ الشوائب هو أمرٌ يحتـاج إلى حراسة واعية دائمة تحافظ على نقاء الثـورة، النقـاء الذي يتناسب مـع عقليّة المعصـوم عليه السلام، وروحيّتـه، ونفسيّته، ورساليّته المثال.

٣٧- كلمـة سماحـة آية الله الشيخ عيسـى أحمد قاسم (حفظـه الله) في افتتاح الجلسـة الرئيسة لمؤتمر عاشـوراء الثالث: (إعلام عاشوراء .. تطوير والتزام)، بتاريخ: ٢٣ شوال ١٤٢٩هـ - ٢٣ اكتوبر ٢٠٠٨ م - مأتم السنابس.

* الوزن الأكبر للمضمون

تأتي نقطة أخرى هنا: أنّ لا غلبة للشّكل على المضمون، ونحن نطلب تطوير الشكل، وإطار الممارسة، ونوع الأداء لا يصحُّ لنا إلّا أنْ نُعطيَ الأهمية الكبرى والوزن الأكبر لقضية المضمون الذي نريد أنْ نُدخل على الشكل من التعديل ما يوصله إلى العقول والأفئدة وحركة الحياة.

المضمون هو الأوّل في الأهمية، وهو الأوّل فيما ينبغي أنْ يُعطى من تقديم.

* لا تطوير إلا بدراسة

لا تطوير بلا دراسة ومقارنة وتدبُّر.

التّطوير مطلوب وضروريّ، ولكن حين يكون ارتجاليًّا ومن غير دراسة وإمعان ومقارنة قد يشق، وقد يُصاب بشيء كبيرٍ كثيرٍ أو قليلٍ من الانحراف.

لا شيئ من أساليب الإحياء المأخوذ بها وغير المنصوصة مستثنى من المراجعة حتى على مستوى الاستدلال.

ولا شيئ من أساليب الإحياء مطلقًا من غير تلك النصوص بما فيها المنصوص غير قابل للتطوير.

التطوير يأتي على كلِّ ما هناك من أساليب منصوصة وغير منصوصة بما يُحافظ على خطِّ الهدف، وبما يخضع تمام الخضوع للحكم الشرعيّ.

ولأن عمليَّة التَّطوير لا بدَّ أنْ تخضع للرأي الدينيّ، فلا بد من جهة دينيّة مأمونة مُشرفة.

* مركز الدّراسات الحسينيَّة

في هذا المؤتمر تُطرح فكرة مركز الدِّراسات الحسينيّة، وهي فكرة جيدة في أصلها، وتخدم قضية التطوير، وتحتاجها عمليَّة التَّطوير بكلِّ تأكيد، أمّا

التفاصيل لهذه الفكرة، فلا بدّ من خضوعها للدراسة الكافية؛ من أجل مراعاة ما سبق من نقاط، ومن أجل إعطاء هذه الفكرة فرصة النجاح من الناحية العمليّة الموضوعيّة.[٣٨]

٣٨- كلمة سماحة آية الله الشّيخ عيسى أحمد قاسم في افتتاح مؤتمر عاشوراء السادس- الاثنين ٤ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، الموافق لـ ٣ أكتوبر ٢٠١١م- في مأتم السنابس.

الباب السّابع

مؤتمرات عاشوراء

* مؤتمر عاشوراء والإسهام في الإحياء

هذا المؤتمر[٣٩] وموسم عاشوراء إنّما هو شيئ من الإسهام؛ لإحياء أمر الإسلام، ولإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وأمر أهل البيت عليهم السلام مودّتهم، وإمامتهم، وولايتهم، ومودّة أهل البيت عليهم السلام هي مودّة الإسلام، وولاؤك لأهل البيت عليهم السلام هو ولاء للإسلام، وحين تتخذ الحسين عليه السلام إمامًا، فقد اتخذت كتاب الله إمامًا، لأنّه ليس للحسين عليه السلام فهمٌ خارج الكتاب، فهمٌ لا يلتقي مع الكتاب.[٤٠]

* أهمية المؤتمرات العاشورائيّة

- الإحياء قضيّة شارع عام، والشارع العام له اجتهاداته الكثيرة التي كثيرًا ما يخرج قسم منها عن الإطار الشرعيّ، عملية إحياء عاشوراء عمليّة سهلة فيها العقليّة العامة، والفكر العاديّ بما ألحق عمليّة الإحياء، وبما ألحق تراث كربلاء بما قد يضرّ، وقد يثير، وكثيرًا ما صوّرت مواقف كربلائيّة ذات عمق إيمانيّ، وفكريّ، وإنسانيّ، وإراديّ ضخم بصورة باهتة وهزيلة، ومسيئة تبعًا لتصورات ومشاعر الشارع.

- ترك عملية الإحياء مفتوحة على مصراعيها لاجتهادات الشارع، وتصوراته، وما ينتجه من شعر ومقالة وما إلى ذلك عمليّة خطيرة على المذهب، مسألة

٣٩- يقصد سماحة الشيخ (مؤتمر عاشوراء) الذي يقيمه المجلس الإسلامي العلمائي.

٤٠- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسية لمؤتمر عاشوراء الثالث: (إعلام عاشوراء .. تطوير والتزام)، بتاريخ: ٢٣ شوال ١٤٢٩هـ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٨ م - مأتم السنابس.

خطيرة على المذهب كلّ الخطورة، ولا بدّ من التصدّي للتصحيح، والتنقيّة، والتوجيه، والتقويم.

- الهجمة الحضاريّة الشرسة المستهدفة لأصل الإسلام والحاجة لحشد كلّ الإمكانات في مواجهتها يفرض أنْ يستثمر عاشوراء بأرصدته الضخمة في مجال هذه المواجهة.

- الوجود الفعليّ للفراغات، والثغرات، والأخطاء، والسلبيّات، والاستفادات السيّئة في إطار عملية الإحياء.

- انفتاح الباب لدخول أساليب وممارسات جديدة في عملية الإحياء تحتاج إلى مراقبة، وتقييم، وضبط، ووضع لها في إطار الحكم الشرعيّ.

- تعرض عمليّة الإحياء لشبهات بريئة، وإشكاليّات شيطانيّة قاسية.

- أصبحت عمليّة الإحياء معروضة على العالم بتفاصيلها، وصار يقرأ من خلالها التشيّع في فكره، وأساليبه، ووعيه، وأخلاقيّته، وإنسانيّته، وأبعاد شخصيّته الأخرى.
ويمكن أنْ تتأثر هويّة التشيّع سلبًا بدرجة هائلة لو أخذت عمليّة الإحياء مسارات غير صحيحة.[٤١]

- هناك مظاهر غير أخلاقية، وغير منضبطة صارت تتسلل إلى الأجواء الطاهرة لعملية الإحياء.

٤١- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسة لمؤتمر عاشوراء الثاني: (المنبر الحسيني .. المسؤوليات والتحديات)، بتاريخ: ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ - ٨ نوفمبر ٢٠٠٧ م - مأتم السنابس.

- ضـرورة الارتفاع بمستوى العطاء الثقافي والنفسـي والروحي بمقتضى التقدم الإنساني في مجال العلم وفي مجال الحركة الحضارية.

- انتشـار أخلاقيـة التنافس غـير الشريـف والنـزاع الدنيـوي من بعض أهل الحسينيات والمواكب، وداخل الحسينية الواحدة.

- الانحسـار في التفاعـل المطلـوب مـع المجلس الحسينـي عند فئة مـن الشباب والشعور الكاذب والشعور المغالط بعدم الحاجة لمثل هذه المجالس.

مـن أجـل هـذا كله، ومن أجل أمـور أخرى في مسـاق هذه الأمور لا بـدّ أن نقيم لعاشـوراء مؤتمراتـه، ولا بـد أن ندخل في دراسـات معمّقة ميدانيـة وفكرية من أجـل تطوير عملية إحياء عاشـوراء وتركيز وتثبيت قضيتـه في نفوس الجيل بعد الجيل.[٤٢]

* قيمة مؤتمر عاشوراء

أولًا: قيمة المؤتمر في لقاء نخبة من المؤمنين يجمعهم الهمّ الإسلاميّ، والتفكير في مصلحة الدّين، والأمة مصلحة مقصودة.

ثانيًـا: الانتهـاء إلى مقترحـات، وتوصيات عمليّـة وهادفة وقـادرة على تصحيح الواقع، والدفع به في الاتجاه القويم.

أنْ تتوفـر الإرادة الجديّة التـي تفعل هذه المقترحات، والتوصيـات، وتحوّلها إلى واقع عمليّ ملموس.

٤٢- كلمـة سماحـة آيـة الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسـة لمؤتمر عاشوراء الأول: (الممارسات العاشورائية .. نقدًا ومعالجة)، بتاريخ: ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ- ١٠ يناير٢٠٠٧ م- مأتم السنابس.

تنبيه: ومن الجدير التنبيه على أنّ الموسم يجب أنْ يحافظ على شعبيّته الواسعة، وبقـاء القضيّة قضيّة أمَّة بكلّ شرائحها لا قضيّة شريحة خاصة ضيّقة مهما يكن مستوى تلك الشريحة.

أما الترشيد، والتوجيه، والتسديد، وتدارك الأخطاء، وإبقاء القضيّة على الخطّ، والحماية من الاهتزازات الفكريّة، والانحرافات العمليّة ولو خفيفة، فمن مسؤوليّة العلماء، وحملة الثقافة الإسلاميّة العالية، والنخب القريبة من هذا المستوى.

* المطلوب للمؤتمر

١- المطلـوب للمؤتمر أنْ يكون علميًّا دراسيًّا أكثر منه إنشائيًّا، الاشتغال بموضوع المؤتمـر والتركيز عليه بدرجة كبـيرة، التفريق بين الطموح والإمكان، وعلى ضوء ذلك تصنّف المقترحـات إلى مقترحات عمليّة قريبة، مقترحات متوسطة المدى، مقترحات بعيدة المدى.

٢- أنْ تشبـع ذكر المقترحات بذكر الآليّـات ووسائل التفعيل، وحتى بناء الأجهزة التنفيذيّـة لهـذه المقترحات، أنْ يتحاشى التداخل والتّكـرار في مقترحات اللّجنة التدارسيّـة الواحـدة، المسمى بورشة عمل، أنْ ترفـع توصيات، واقتراحات جميع اللّجان خالية من عيب التداخل، والتكرار، والإبهام.[٤٣]

* مسائل تتطلب الدراسة

هنـاك مسائل تتطلب الدراسة، ووضع المنهج الصحيح، والإعداد الدقيق للخروج من بعض المشاكل:

٤٣- كلمـة سماحـة آيـة الله الشيـخ عيسـى أحمد قاسـم (حفظه الله) في افتتـاح الجلسة الرئيسـة لمؤتمر عاشـوراء الثاني: (المنبر الحسيني.. المسؤوليات والتحديات)، بتاريخ: ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ - ٨ نوفمبر ٢٠٠٧ م - مأتم السنابس.

- الإعداد للخطيب الناجح للحاضر والمستقبل ومثله المنشد الحسيني.

- علينا أن لا نشتغل بلحظة الحاضر عن المستقبل، وإذا كنا نتوفر على مستوى من الخطباء اليوم يواكب في شريحة منه حاجة العصر ومستوى ثقافة اليوم، فإننا على مسؤولية كبيرة أن نعدّ لخطيب المستقبل الذي لا بدّ أن يكبر مستوى خطيبَ اليوم.

الزمن في تقدم والحركة الثقافية لا تفتر وعلينا ان نعدّ لغدنا ونحن غير مهملين ليومنا.

- الرقي بمستوى الموكب الحسيني مضمونا ثقافيًّا وتنظيمًا وانضباطًا ونزاهة، الحماية للجو المعنوي للموكب الحسيني.

كلها مسائل تتطلب منا النظر وأن نعطيها الوقت الكافي والدارسة الكافية..

- المصادر المالية لإحياء الموسم ليس اليوم وإنما للغد، ووجوه الإنفاق وأولوياته.

- تنظيم الأوقات للمجالس الحسينية والمواكب والموافقة بينها وبين أوقات الصلاة وبينها وبين الدراسة والمراجعة عند الطلاب في غير عشرة عاشوراء، واستثني عشرة عاشوراء، لأنه يجب أن نضغط على الأوضاع بأن تعطي فرصة لعاشوراء تملك منّا كل الوقت وتملك منّا كل الجهد وتملك منّا كل العطاء.

- أمامنا مسألة الموافقة بين الأصالة والتجديد في الأسلوب والآلية، مسألة الإدارة الناجحة للمؤسسة الحسينية،

- مسألة العلاقات البينية للحسينيات وكذلك المواكب،

وهذا كله لا تكفي فيه الخطابة، بل يحتاج إلى خطط عملية مدروسة تعالج المشكلة.[٤٤]

٤٤- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسة لمؤتمر عاشوراء الأول: (الممارسات العاشورائية .. نقدًا ومعالجة)، بتاريخ: ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٧م - ١٠ يناير ٢٠٠٧ م- مأتم السنابس.

- الفعاليات الثقافية غير الخطابة، ومكانها في عشرة عاشوراء .. هناك محاضرات، هناك ندوات، هل نعطيها أن تقتطع من برنامج عاشوراء المعتاد والمحتاج إلى التطوير، أو نعطي لهذه الفعاليات فرصة أخرى غير عشرة عاشوراء بينما عشرة عاشوراء تبقى خالصة للإحياء العام الشعبي وبأكبر زخم ممكن.
- ظاهرة التقلص في حجم المشاركة الشبابية في إحياء المجالس الحسينية.
- مشاركة المرأة في عملية التطور العامة لقضية الإحياء.
- المرأة والموكب الحسيني.
- عاشوراء والجاليات الأجنبية.
- عشرة عاشوراء والمسرح والمعرض.

هذه مسائل تحتاج إلى دراسة، وإلى قرارات عملية ممكنة التطبيق.

وهذا المؤتمر بداية لمؤتمرات أخرى يجب أن تصبّ في صالح العلاج الموضوعي والعلمي والعملي لكل مشكلات ومعوقات وتحديات هذا الموسم الكريم الثر المعطاء.

أعود لأشكركم، وأقدر لكم حضوركم هذا ومشاركتكم، وأؤكد من جديد أن المجلس ليس بأعضائه فحسب ولا لأعضائه ،ولا لشريحة معينة من أبناء هذا الوطن، ولا لهذا الوطن وحده، إنه مجلس الجميع ومجلس الوطن، مجلس الأمَّة، مجلس يشارك مؤسسات أخرى خيرة في هذا العالم الكبير؛ من أجل هذا العالم الكبير كله.[٤٥]

٤٥- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسة لمؤتمر عاشوراء الأول: (الممارسات العاشورائي .. نقدًا ومعالجة)، بتاريخ: ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٧ م- ١٠ يناير ٢٠٠٧ م- مأتم السنابس.

الباب الثّامن

ملاحظات وإرشادات

* مقدمة

أعطت عاشوراء الكثير على مستوى الدفع العاطفي النبيل، أعطت عاشوراء زخمًا استمر به الإسلام على المستوى العاطفي في نفوس أجيال متعاقبة كثيرة، كما أعطى عاشوراء فكرًا عملاقًا ثبّت الأجيال على طريق التوحيد، عاشوراء هو مدرسة في عالمنا الإسلامي لها الفضل الكبير في تثبيت الفكر الإسلامي وفي الدفع بالإرادة الإسلامية إلى الأمام، وإبقائها على حيوية كافية ناهضة لمواجهة الظلم في الأرض، ويبقى عطاء عاشوراء أكبر وأكثر من كل ما أعطاه، ويبقى مكنون خزائن عاشوراء أكبر وأكثر مما كشفته كل السنين، وتبقى قدرة عاشوراء على تحريك وعي الأمة وتحريك ارادتها والدفع بها؛ من أجل أن تتقدم المسيرةَ البشريةَ أكثر مما تتصور.

عاشوراء تبقى أكبرَ من كل امكاناتنا، وتبقى أكبرَ من كل استعداداتنا، وتبقى أكبر من كل عطائنا، وكلما استطعنا أن نكبر عطاء، وكلما استطعنا أن نكبر وعيًا، وكلما استطعنا أن نكبر تفاعلاً وتضحية واندغاما بعاشوراء، كلما وجدنا من عاشوراء مزيدًا من العطاء ومزيدًا من الفاعلية ومزيدًا من التصحيح ومزيدًا من الثورة داخل العقول، وداخل النفوس وعلى الأرض. ثورة تكون دائما من أجل الله ومن أجل الإنسان ومن اجل الإصلاح والصلاح.

بكل تأكيد أن يوم الأمَّة لا يصحّ أن يتساوى مع أمسها مستوى، ومسؤولية الدفع بالمستوى إلى الأمام، ومسؤولية التقدم بمستوى الأمة تقع أول ما تقع على النخب،

وأكبر نخبة تواجهها المسؤولية بصرامة وحسم هي نخبة الدينيين ونخبة العلماء. نخبة العلماء مسؤولة بالدرجة الأولى وبالقياس إلى كل النخب عن تحمل مسؤولية الدفع بمستوى الأمَّة وتصحيح مسارها، وأحد كنوز العطاء في الإسلام والتي لا تنفد هو كنز كربلاء وثورة الحسين عليه السلام، فعلينا أن نعطي هذه الثورة حقها، وأن نرتفع بمستوانا؛ من أجل التعامل الصحيح مع ثورة كربلاء وقائدها العظيم الإمام أبي عبد الله عليه السلام.

* الإحياء الارتجالي والإحياء المدروس

علينا أن نخرج من عملية الإحياء الارتجالية إلى عملية الإحياء المخطط المدروس. وأمام عملية الإحياء هذه رصيد ضخم، لا يتأتى بالنسبة لكثير من ميادين النشاط، وميادين الدعوة.

موسم كربلاء يمتلك أعرض جمهور، وأكبر قاعدة في الأمَّة يمكن أن تتفاعل مع نشاط دعوي وتبليغي، موسم عاشوراء ميزانيته المالية مفتوحة، موسم عاشوراء وإحياء عاشوراء له رصيد في العقول وله رصيد في الأرواح والنفوس يمتلك ذلك الرصيد تغلغلا شديدا جدًّا، وعاشوراء تحولت في وعي الأمَّة وفي وجدانها إلى شيئ أصيل من ذلك الوجدان، إلى أكبر مكوّن في ذلك الوجدان وفي ذلك العقل، لأن عاشوراء امتداد لقضية التوحيد، لأن عاشوراء لم تفارق على يد الحسين عليه السلام قيد شعرة خط التوحيد.

هذه العناصر الإيجابية الكبرى وغيرها، الاستعداد للسهر إلى أواخر ساعات الليل، وليس لليلة واحدة وإنما لليالي متواصلة، مشاركة الطفل الصغير، الشيخ الطاعن في السن الذي قد لا يحضر أي مجلس، ولا يحضر أي مناسبة طوال سنته، مشاركة هذا الشيخ الكبير.

مشاركة كل الأعمار، ومن مختلف الشرائح في هذا الموسم شيئ يمتاز به.
أقول: هذه الإمكانات الضخمة، وهذا الرصيد الهائل يجب أن يوظف التوظيف الصحيح، والتوظيف الصحيح لهذا الرصيد الهائل لا يكون إلا من خلال برامج معدة سلفًا تحمل وعي الحسين عليه السلام وصفاء الحسين، وإرادته الكريمة الفاعلة وتصميم الحسين عليه السلام، وروح التخطيط الموضوعي الثاقب الرؤية الذي مارسه الحسين عليه السلام.

* مواقف الحسين عليه السلام وعي وتخطيط

ثورة الحسين عليه السلام ليست الثورة المرتجلة، وليس من موقف جزئي من مواقف الحسين عليه السلام سادته روح الارتجال، مواقف الحسين عليه السلام كلها وعي وكلها تخطيط وكلها دراسة، ونحن لن نستطيع أن نقترب شيئًا ما من الحسين عليه السلام، ومن حق موسم الحسين عليه السلام إلا بأن نكون دارسين ومخططين، وأن نُعمِلَ عقليتنا العملية، وعقليتنا النظرية في وضع برامج مدروسة ناجحة تستوعب كل هذه العناصر الإيجابية في عملية الإحياء، وترتفع إلى مستواها، وتحافظ على هذه الأمانة الكبرى، وعلى الجهود الضخمة التي تبذلها الأمَّة المؤمنة في هذا الموسم الكريم.[٤٦]

* وظيفة موسم عاشوراء

وموسم عاشوراء اليوم يتحمّل نفس الوظيفة التي تحمّلت عبئها كربلاء، من خلال ما يغنى بها في العشرة الأولى من محرّم، من نشاطٍ منبريٍّ ومواكب، ثم من بعد العشرة ما ينبغي أن يُكثّف فيه من دوراتٍ وأبحاثٍ ودراساتٍ وخطابةٍ وقصَصٍ وندواتٍ وحواراتٍ قرآنية وفنون مباحة، تنصبّ كلها على محورية القرآن

٤٦- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسة لمؤتمر عاشوراء الأول: (الممارسات العاشورائية .. نقدًا ومعالجة)، بتاريخ: ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٧ م- ١٠ يناير ٢٠٠٧ م- مأتم السنابس.

والحسين عليه السلام، وإنقاذ هوية الأمّة وإحياء الحضارة الإسلامية، والحفاظ على نقاء الدين وأصالته، ومحاولة التمكين له في العقول والقلوب، وكل ساحات الحياة، من ساحة المنزل إلى ساحة الحيّ، إلى ساحة القرية، إلى ساحة القطر، إلى ساحة الأمّة، إلى الساحة العامّة للإنسانيّة جمعاء.

ولنقف عن شهية الإضافات المفتوحة إلى إحياء هذا الموسم وكيفما نريد، فنبعد فيبعد هذا الانفتاح، فتبعد بنا هذه الإضافات كثيرًا عن القرآن والحسين عليه السلام.[٤٧]

٤٧- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في تدشين شعار جمعية التوعية الاسلامية: (حسينيون قرآنيون)، بتاريخ: ٢٩ /١١/ ٢٠١٠ م - مأتم السنابس.

الملاحظات والإرشادات

أولًا: ملاحظات للوحدة والأُخوة

يُتخذ موسم عاشوراء فرصة تآلف وتعاون أكبر في سبيل الخير، وخدمة الدين، والرقي بأوضاع المؤمنين، وحل مشكلاتهم، ووحدتهم، وغسل القلوب من كل ما قد يَعلَقُ بها من أدران وعداوات على حد ما فعلته كربلاء من الجمع بين الحرّ والعبد، والأبيض والأسود، على خط الإيمان، والتضحية في سبيل الله.

وهذا يتطلب تبني خطط عملية للتقارب والتوحُّد والتخلص من كل المعوّقات على هذا الطريق.

وكان ذِكر شيئ من هذا في اللقاء مع رؤساء المآتم في مسجد الإمام الصادق عليه السلام الأسبوع المنتهي.[٤٨]

إخوتي الكرام، أخواتي المؤمنات تنشأ مشاكل اجتماعية، وخلافات بين حسينية وأخرى، وبين موكب وآخر، وبين قرية وأخرى فلنستفتِ الإمام الحسين عليه السلام في كل مشاكلنا، وليس لنا أن ندع الهوى يفتينا.

حين يفتينا الهوى، وتفتينا العصبية فسنكون مُزقًا، سنكون أشلاءً، وسنكون نُتفًا بلا وجود قوي، بلا كيان قادر على صنع الخير في الأرض.[٤٩]

* خطوات وحدوية

باختصار شديد، أذكر بعض الخطوات الوحدوية في الإطار الخاص، ثم في الإطار العام:

٤٨- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

٤٩- خطبة الجمعة (٢٣٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٦هـ، ٢٧ يناير ٢٠٠٦ م.

الأولى: في لإطار الخاص

خطـوات وحدوية في الإطـار الخاص - وأعنـي به في حدود أهل العـزاء، وإقامة الشعائر-:

أ. يجـب أن يكـون حضـور الشخص موزّعًا علـى الحسينيات، وليـس متركّزا في حسينية واحدة من حسينيات قريته، أو منطقته.

ب. أن يتبادل مسؤولـو الحسينيات والمواكب زيارات الحسينيات المختلفة، ولو في بعض الأيام.

ج. تنسيق أوقات الخطابة، بحيث لا تعارض الخطابة في هذه الحسينية الخطابة في الحسينية الأخرى، ويُحدث كل ذلك حالة إرباك وإزعاج وتنافسٍ غير محمود.

د. يُطلـب وحدة الموكب العزائي في القرية الواحدة، وخلاف ذلك شذوذ، وخروج عن خط الحسين عليه السلام، وأن تتوحد مواكب عديدة من القرى المتجاورة في بعض الأيام على الأقل، ولو في يوم واحد من أيام العشرة، وكذلك الأمر في المُدن.

الثانية: في الإطار العام

أ. لا طـرح لما يُفرِّق بين المسلمين مـن سبٍّ وشتم ومهاجمات لطائفة من المسلمين ومقدساتها.

ب. والإمام عليه السلام للأمَّة كلّ الأمَّة، بل للعالم كلِّ العالم.

وهكذا هم شيعته الذين يعون معنى التشيع، ويعيشون حقيقة التشيع، وهمهم همُّ التشيع، ورؤيتهم رؤية التشيع، ورسالتهم رسالة التشيع.

فليفهم ذلك كل المسلمين وكل العالم.

ولنُفهِم ذلك - أيضًا - كل المسلمين، وكل العالم من خلال الكلمة الهادية الموزونة، ومن خلال الموقف الرسالي الصادق.

ج. وما قدّمته ثورة الإمام الحسين عليه السلام من هدى ووعي، وصوابية موقف، ومثل

رائع للـروح التضحوية، وإنقـاذ للضمير، وزاد كبير آخر للحيـاة الحرة العزيزة الرشيدة إنما قدّمته للمسلمين جميعًا، قد استهدفت بعطائها العالم كلّه.
وهذا ما يجب أن نحمل وعيه ورسالته للعالم.[٥٠]

* فتنة الخلافات بين المؤمنين!

حرام أن نقتل الحسين عليه السلام.
أيّها الإخوة والأخوات في الله:
قتلُنا للحسين عليه السلام باسمه حرام ومن أكبر الجرائم، وهل أكبر من هذا جريمة؟!
يزيـد قتل الإمام الحسين عليه السلام جسدًا، وانطلق الحسين عليه السلام في يوم مصرعه كمـا هو واقعـه، إنسانًا لا يقتل، وروحًـا لا يطفأ نورها، وهـدى لا يخبو، ومدرسة تقدم للأجيال الدرس والعبرة والحكمة والرؤية وروح الجهاد، أما نحن فمحاولتنا تلتقـي مـع أخبث ما في محاولـة يزيد، لأن أخبث ما في محاولـة يزيد هو ليس أن يقتـل الحسين عليه السلام جسـدًا، إنمـا ليقتله شخصيـة إلهية نورانيـة تضيئ درب الإنسـان، وما نفعله نحن من خـلال صراعاتنا التافهـة وخلافاتنا في الحسينية والموكب يستهدف أخبث ما في خطة يزيد التفتنا أم لم نلتفت، فإنه يحطم قضية الحسـين عليه السلام، ويلغـي تأثيرها الإيجابـي، ويعطي لها وجها مشوهـا يسيئ إلى الثورة، ويسيئ إلى الثائر العظيم.

وهـذه الخلافات والصراعات تصفية معنويـة لقضية الحسين عليه السلام ومصادرة لعطاءاتهـا الكبيرة، وكل ما يقدمـه المنبر والاحتفال والمشاركـة في إحياء ذكرى كربـلاء من دروس وأفكار نـيرة، ومشاعر طاهرة نبيلة تنسفهـا هذه الممارسات المتخلفة، والصراعات الصغيرة، وتنعكس تشويها خطيرًا للواقع والتاريخ.

٥٠- خطبة الجمعة (٢٣٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٦هـ، ٢٧ يناير ٢٠٠٦ م.

ولنسأل أنفسنا صراعاتنا بين الحسينيات، وفي الحسينية الواحدة... بين المواكب، وفي الموكب الواحد صراع للذات... للدنيا... للشهرة... لشهوة الرئاسة... لصنم القبيلة والحزب، أو للحسين... للآخرة... لله العظيم؟، والله خير رقيب.

سيأتي الكثير منا الإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة عدوًا.

فقد يخدم أحدنا في الحسينية، ويكون قد أنفق من أمواله الكثير، وأعطى من وقته وجهده ما يضني من أجل الحسينية في الظاهر، ولكن حين يكون كل هذا عبادة لذاته، وحين يكون كل هذا؛ من أجل قبيلته، ومن أجل العناوين الدنيوية وإن كان ذلك على حساب قضية الإمام الحسين عليه السلام، فسيلقى الحسين عليه السلام عدوًا، ولن يرضى الإمام الحسين عليه السلام بمقابلته.

اختاروا أيها المؤمنون، لإدارة شؤون الحسينية الأقرب للحسين فكرًا وشعورًا، وسلوكًا وعلاقات... وقصدًا وهدفًا.... ادرسوا شخصيات الناس، وإذا وجدتم الشخصية التي تحمل حظًّا أكبر من شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فقلدوه مسؤولية خدمة الحسين والحسينية، أما الذين تشهد شخصياتهم بأنهم ليسوا على خط الإمام الحسين عليه السلام، فطهروا منهم مواقع الإدارة في الحسينيات.

ولا بدَّ من التأكيد على أن التصرف في أوقاف الحسينيات متوقف على ولاية معتبرة شرعًا.

ومجرد الانتخابات لا تؤهل الشخص لأن يتصرف في أوقاف أي حسينية ما لم تكن هذه الانتخابات مؤدية إلى ثبوت ولاية شرعية.[٥١]

٥١- خطبة الجمعة (٨٥) ١٠ شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ، الموافق ١٥-١١-٢٠٠٢ م.

ثانيًا: ملاحظات للمنبر الحسيني

* تطوير المنبر الحسينيّ

المنبر الحسينيّ لا يكاد يوازيه أمر آخر في أهميته في عملية التطوير للمؤسّسة الحسينيّة.

تطوير المنبر يعني تطوير الخطيب.

بلا تطوير للخطيب، التطويرات الأخرى تبقى من نوع الاهتمام بالثانوي على حساب ما هو أصل.

المنبر الحسينيّ بخطيبه يمتلك من الحضور الدائم والمؤثّر في وعي الأمّة، في شعورها، في خطِّ حركتها ما لا يمتلكه منبر آخر.

المنبر الحسينيّ ليس شيئًا موسميًّا، وإنّما هو واقع نعيشه في كلِّ أيام السنة، ويأخذ من وقت الأمَّة ومن ثروتها، ومن جهدها ما لا يكاد منبر آخر أنْ يأخذه، وله من التَّأثير على جماهير الأمَّة، وعلى مختلف أوساطها الثقافيّة والاجتماعيّة ما لا يمتلك منبر آخر بصورة مباشرة؛ لذا يكون الاهتمام بتطوير الخطابة الحسينيّة من خلال تطوير مستوى الخطيب أمرًا ضروريًّا، وفي مقدمة كلِّ العناصر التي يُفكَّر في تطويرها خدمًا في عملية التَّطوير العامّة لمسألة إحياء القضيّة الحسينيّة.

* مكوِّنات الخطيب

أ- خطيب.

ب- مستوى علميّ.

ج- مستوى رساليّ وخلقيّ.

د- اتِّساع ثقافيّ.

هـ- ثمّ أسلوب أداء.

* صُلب مكوِّنات الخطيب

والصُّلب في هذه المكونات هو المستوى العلميّ، والمستوى الرساليّ بدرجة أكبر، ويأتي الاتِّساع الثَّقافيّ؛ ليخدم وظيفة المنبر بصورة فعّالة، وكذلك أسلوب الأداء الذي إنْ نجح استطاعت الكلمة أنْ تنفذ، وإنْ لم ينجح لم تجد الكلمة الصالحة طريقها إلى العقول والنفوس والتأثير على الوضع العمليّ في حياة الأمَّة.

* الفنيَّة شرط النَّجاح

وأسلوب الأداء - حتى يكون ناجحًا - يحتاج إلى درجة عالية من الفنيّة، وإذا كانت هناك إمكانات ذاتية، ومواهب شخصيَّة عند الخطيب، فإنها اليوم تكاد تكون أعجز من أنْ تنهض بتحقيق مستوى فنّي في هذا المجال إذا لم ينضم إليها تدرُّبٌ، اكتساب خبرة، دخول في عملية صناعة فنيّة من مراكز ذات خبرة وذات مستوى عالٍ في هذا المجال.

* التَّوسع الثَّقافيُّ وقودُه القراءة

التَّوسع الثَّقافيُّ يحتاج إلى مزيد من القراءة في عدد من حقول التثقيف، لكنه والتوفر على أسلوب الأداء الناجح لا يتطلّبان ما يتطلّبه المستوى العلمي والدقة العلمية من تعب ونَصَب وجهد وجهاد طويل وخضوع لعمليّة تربويّة صبورة، صدق الرِّساليَّة.

يرتبط وبنضج الجانب الروحي، يرتبط بمدى الصِّلة بالله سبحانه وتعالى، وتقديمه على كل شيئ.

تنقضي حياتنا ونحن بعدُ لم نبلغ شيئًا لو جاهدنا النَّفس، ونحن لم نبلغ الشيئ المجزي لو جاهدنا النفس في كل.. الحياة.

* فاقد الشَّيئ لا يعطيه!

والخطيب ليس لنفسه، الخطيب للأمَّة، وتأثيره كبير على الأمَّة، وفاقد الشَّيئ لا يعطيه، وإذا كنا نحتاج إلى مستوى علميّ متميّز من الوعي من أجل إحداث نقلة واضحة في وعي الأمَّة، وفي فكرها فنحن محتاجون - قبل ذلك، وبصورة أشدّ - إلى روح مشرقة تنعكس بأنوارها على أن يسمعوا الخطيب، ومَن يتعامل معه، مَن يستهدفه المنبر الحسينيّ.

هذه الصناعة الروحية العالية - أيضًا - لا يمكن أنْ تتأتّى إلَّا في ظلِّ إشراف تربويٍّ هادف، واعٍ، خبير.

* مؤسسة علميَّة روحيَّة

من خلال هذين البعدين الرَّئيسين: البعد العلميّ للخطيب، والبعد الرُّوحي، فنحن محتاجون إلى مؤسّسة علميَّة روحيَّة من أشدِّ المؤسّسات العلميَّة والرُّوحيَّة التزامًا، دقّة والتزامًا.

الخطيب الذي يصنع نفسه بنفسه فقط لا يكاد يكون له مكان اليوم حسب حاجة السَّاحة، وحسب التَّقدّم العلمي الذي حصل للمجتمع الإنسانيِّ كلّه، ولهذه الأمَّة بالخصوص.

محتاجون إلى مؤسَّسة مدروسة متينة البناء، مشروعها مخطَّط له من عقول كبيرة، وهِمم عالية على مستوى الطَّائفة - نحن لحدِّ الآن لا نملك هذه المؤسَّسة ليس على مستوى البحرين، بل على مستوى الطَّائفة بكاملها على الأقل في دائرة النَّاطقين باللُّغة العربية -.

* يجدر الاهتمام بالمنبر

إذا كان منبر الحسين له من الحضور الفاعل والمؤثِّر، وهو يصنع نوع وعي الأمَّة وتوجهها، وقد ينهض بشعورها وقد يهبط، وقد يستقيم بفهمها وقد ينحرف، وما دام المنبر الحسينيّ يستهلك من الوقت، ومن الجهد، ومن المال، كلَّ ما يستهلكه فهو حقيق جدًّا بأن يُعطى الاهتمام من الحوزات العلميّة الأمّ، ومن المرجعيّات العلميّة الكبرى ما لم ينله لحدّ الآن.

الفقيه مطلوب من الحوزات، المُبلِّغ العام مطلوب، والكاتب مطلوب، الخطيب - أيضًا - مطلوب بالضَّرورة، الخطيب النَّاجح القادر على تقديم الإسلام الصحيح والواعي، والقادر على تحريك العقول والنفوس، هذا الخطيب من الضروري أنْ يولد، وإذا كان يوجد من هذا الخطيب عدد، ولا إمكان لذلك، إلّا أنّ هذا العدد دون المطلوب بدرجات ودرجات.

* بداية الخطيب

من أين تكون بداية الخطيب؟

عمليًّا، على مستوى الواقع، يبدأ الخطيب؛ ليكتسب عنوان أنّه خطيب من حفظ أبيات باللغة الفصحى غير المفهومة له، وأبيات باللُّغة العاميّة تحمل فكرًا عاميًّا، رؤية عاميّة، مشاعر عاميّة يدخل فيها الصحيح والسقيم، يضاف إلى ذلك مجموعة قصص ووقائع تتصل بكربلاء، منها ما قد يكون محققًا - وهو قليل -، ومنها ما هو غير المحقق.

إذا حصل مع ذلك صوت يرتاح له صاحبه، ويرتاح له الآخرون كملت مقوّمات الخطيب في الدرجة الأولى من ناحية عمليّة، وصار يمارس الخطابة.

البناء العلمي يأتي متأخّرًا وقد تمتدُّ بالخطيب السنوات وهو بعدُ لم يدخل في

تكويـن علميّ لذاته بالمستوى اللائـق، ثم وإلى الأخير قد يحصل بناء علميّ، وقد لا يحصل.

إذًا نحـن أمـام خطيب عامّـي بعقليّة متدنيّـة يصنع رأيًا عامًّـا، يصنع مشاعر، يصنع نفسيّات، يصنع توجّهًا، وهذا مضرٌّ، وأيُّ مضرّ، وأيّما ضرر هو.

هـذا الواقـع ينعكس بتخلّـف واضح في مستـوى الخطابة الحسينيّـة، في شريحة واسعـة من الخطباء، هذا التكوين هذه الصناعة، أو الاكتفاء بهذا التكوين لعدد مـن السنوات، علـى الأقل بالنسبة للخطيب له تأثـيره السيّئ على مستوى الوعي والشعـور، ثمّ إنّه في الأخير صار يخلق حرجًا شديدًا لخطباء كثيرين لم تتح لهم فرصة بناء أنفسهم، أو لم يختاروا طريق هذا البناء.

حفـظ الأبيـات ربما احتيج له بصورة مبكرة؛ لأنّ الحفـظ في السنِّ الأولى أسهل على المرء.

لا بأسـ أنْ يحفظ مَن يفكّر أنْ يكون خطيبًـا أنْ يحفظ من الأبيات ما يحفظ من النَّوعـين: الفصيح والدَّارج، لكن اختيـار الأبيات، واختيار القصائد المحفوظة لا يُـترك لطفـل، ولا يُترك لعقليَّة صغيرة، ولعقليّة ليس لهـا الإلمام الكافي بالإسلام الـذي يميّز به صاحبه بين الغثِّ والسمين مـا يستقيم مع الفهم الإسلاميّ العامّ، وما لا يستقيم، فلا بدّ من إشراف مبكر في هذا الأمر.

فالحفظ مطلوب ولكن لا بدَّ أنْ تصاحبه عمليّة انتقاء ممَّن يستطيع أنْ ينتقي ما يفيد من ما لا يفيد.

أمّا دور الخطابة، واكتساب عنوان خطيب، فلا بدّ أنْ يتأخّر.

يجـب أنْ يكون عندنـا فرق بين أمرين: بـين الخطيب، وبين المُنشـد، يمكن لهذا الحافـظ من الأبيات ما حفـظ أنْ يُنشد - كان موجودًا مِن قبـل تقليد ما يسمّى

بالصَّانع يتقدَّم الخطيب؛ ليقرأ قصيدة -، أمّا تقديم الفكر فيُترك للخطيب.
هـذا الطفل الذي يحفـظ من الأبيات ما يحفظ، ومن القصائد ما يحفظ حتى لا ينسـى، وحتى تكتسب الدِّرْبَة والقدرة على مواجهة الجمهور، فليُنشد في المجالس الحسينيّة، لكن أنْ يتولّى ويقود زمام الخطابة، أنْ يتولّى مهمَّة الخطابة، فهو أمر مبكر جدًّا، ومسبب لإرباك فكري، وتعوّد أخطاء وما إلى ذلك.

* الخطابة مستوى دراسي

أقـل مستـوى للخطيب اليوم لا يقـلُّ عن مستـوى دراسة جامعيَّـة تخصّصية في الدِّراسـات الإسلاميّة، أقـلّ من هذا المستوى لا يملك بضاعـة كافية اليوم لائقة بأنْ تُطرح لجماهير الأمَّة.

* مقوِّمات الخطابة

بعـد الدِّراسة الحوزويّة من خلال الكليّات وغيرها، يأتـي دور استكمال مقوِّمات الخطابة من امتلاك أسلوب الأداء، وما إلى ذلك.
إذا لم تكن هنـاك كُلِّيَّة متخصِّصة؛ لتخريج الخطباء، وتعملق علميّ، وتوفّر على المقومات العلميّة للخطيب، مع تأخر الصناعة الروحيّة مفسد جدًّا.
فلا بدَّ أنْ تكون الكليّات التي تُعدُّ؛ لتخريج الخطباء قائمة برعاية البعدين: البعد العلميّ، والبعد الروحيّ.
بهـذا يمكن أنْ يتحرّك موسم عاشـوراء، وكلّ عمليّة الإحياء ليوم كربلاء العظيم إلى الأمـام بما يشارك في إنقاذ الأمَّة، والخروج بها إلى عالم إلى مستواها الذي أراده الله تبارك وتعالى لها بأنْ تكون الأمَّة الوسط الرَّائدة لحركة الحياة.[٥٢]

٥٢- كلمـة سماحـة آيـة الله الشَّيخ عيسى أحمد قاسم في افتتاح مؤتمر عاشوراء السادس- الاثنين ٤ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، الموافق لـ ٣ أكتوبر ٢٠١١ م- في مأتم السنابس.

* المحاضرات العلمية في العشرة

تثمن محاضرات العلماءُ والمثقفين العامّين من غيرهم ودراساتهم التحليلية وتنظيراتهم واستنتاجاتهم المتصلة بالشأن الحسيني وثورةِ كربلاء عاليًا، ولكن برغم ذلك تقضي المصلحة الدينية جدًّا؛ من أجل بقاء صفة الجماهيرية الواسعة المستوعبة لإحياء عاشوراء وعطاءاتها الكبيرة، واستمرار الحيوية المتدفقة مع الأجيال لموسم كربلاء المحرَّم بأن لا نطرح في هذا الموسم المتمثل في عشرة عاشوراء بديلًا عن الحالة القائمة من شأنه أن يفصلَ الجمهور الواسع عن القضية ويجعلَها قضية نخبة خاصة تحياها ببعدها الفكري الدراسي فقط، ويمكن أن تنتهي منها بعد حين، وتتحول على يديها سريعًا إلى قضية باردة تعيش في أروقة الجدل والترف الفكري، ولا تفعل كثيرًا في الحياة، ولا تشارك بقوة في صناعة الأمَّة.

في مجالس المحاضرات بركة ، وفيها نفع علمي وربما تتقدّم بالمستوى العلمي للمجتمع، ولكنه مع ذلك فانه من الخطير جدًّا أن تنتشر مجالس المحاضرات العلمية في العشرة الأولى من شهر محرّم، لأن هذا سيجفّف حالة المآتم التي تتكفّل بخطاب العقل وخطاب العاطفة، وتركّز مادتها في الكثير على عاشوراء وما يرتبط به، وتمتلك من نفوس المؤمنين ما لا تمتلكه مجالس المحاضرة، إنّ الحسينية بوضعها المعتاد، هي المنتدى الإيماني، لكل المؤمنين من كل الأعمار وكل المستويات الثقافية تجمع بين الشيخ الطاعن في السن والذي لا يخرج من بيته إلاّ اليوم التاسع والعاشر، وبين الطفل الرضيع، هذه المدرسة الكبرى العامَّة التي تخاطب فينا العقل والوجدان، والتي تشدّنا كثيرًا الى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وتستثير فينا مظلوميتهم، لا يصح لنا بأي حال من الأحوال أن نأتي بتجربة

أخرى تكون بديلًا لها في الساحة، وأرجو من كل الإخوة المؤمنين العلماء الأفاضل وغيرهم أن يكفّوا عن محاضراتهم العلمية في عشرة عاشوراء؛ لينصب الجهد على مأساة الإمام الحسين عليه السلام، وما يرتبط بها بالصورة المتعارفة مع اتجاه الوضع الحسينياتي ووضع الخطابة، ووضع الموكب إلى التطوّر والتقدم.[٥٣]

* كيف نقدّم أهل البيت عليهم السلام إلى الناس؟

أهل البيت عليهم السلام عظماء في علمهم، عظماء في شخصياتهم بكل معنى الكلمة، وعلى مستوى كل بعد من أبعاد الشخصية الإنسانية، عظماء من خلال دورهم العملي، عظماء من خلال خطتهم السياسية، عظماء من خلال دورهم الجهادي، عظماء من خلال ما برهن عليه إبقاء الإسلام إلى اليوم في خطه الناصع، من خلال جهد الأئمة وهم في أضعف المواقع السياسية والاجتماعية تلك المواقع الضعيفة التي كانت تفرضها عليهم السلطة الغاشمة، وغفلة الأمَّة وتقصيرها.

أهل البيت عليهم السلام ليسوا بحاجة إلى روايات قد تحتاج في سندها إلى تمحيص وتدقيق وفي مضمونها إلى دراسة؛ لتقول لنا بأن الإمام الفلاني عليه السلام قد حوّل التراب ذهبًا، وتنقل الصورة بشكل متناقض ومتهافت وغير لائق بأن يتقبّله عقل السامع على الأقل.

وأهل البيت كلهم كرامات، وأهل البيت مقامهم رفيع عند الله (عزّ وجلَّ)، وقضية أن يحوّل الإمام عليه السلام التراب ذهبًا ليس أكبر من كونه هداية للناس، من كونه رحمة عامة للناس.

إن هذه ليست كرامة كبيرة على مستوى الإمام عليه السلام ألا أنه ينبغي لنا نخاطب الناس بقدر عقولهم.

٥٣- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

وكان الأنبيـاء والمرسلون يخاطبون النـاس على قدر عقولهم، وحيث تأتي الرواية مـن هذا النـوع مدروسة مرضية المضمون لا بـد أن تطرحها بالشكل الذي يقرّب للناس قبولها.[٥٤]

أ- يطلـب مـن الخطباء الأعـزاء المحترمـين أن يتناولوا الموضوعـات الأخلاقية والاجتماعية والفكرية والسياسيـة الحية بالمعالجة الكفوءة، وعلى ضوء الإسلام ورؤيتـه الصائبـة، وأن لا يميلـوا إلى المصطلحـات المستـوردة بما هـي عليه من ضبابية وخـداع قد ينكشف بعد التسويق عن أضرار ثقافية بالغة، وهو مؤدٍّ حتمًا بدرجة وأخرى إلى غربة للغة القرآن والحديث والتاريخ.

وهذا لا يعني أن نتحدث مع النَّاس بما لا يفهمون، أو نعمل على فقد اللغة لحيويتها. وكيف يكون الرجوع إلى لغة القرآن والسنَّة فيه قضاء على اللغة العربية، والقرآنُ والسنةُ المرجعان الأمينان لهذه اللغة؟!

ب- لا بـد للإخوة الخطباء من انتقاء المقطوعة الشعريـة، واختيار ما كان جيدًا مـن حيث ما يثيره من فكـر وشعور، ويركز عليه من توجّهـات، واستبعاد الرديئ ممـا يعاني من تشويش فكري، أو خطأ في تصويـر القضايا، وأدوار الشخصيات الكربلائيـة، أو يثـير مشاعـر لا ترتقي والأفـق الرفيع للإسلام، وثـورة كربلاء ورموزها العالية.[٥٥]

٥٤- خطبة الجمعة (٥٢) ١٥محرم١٤٢٣ هـ، ٢٩-٣-٢٠٠٢ م.

٥٥- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

ثالثًا: ملاحظات للحسينيَّة والموكب

* الموكب لا يأخذ بغير رؤى الإسلام

يتشكّل الإسلام بعد عقيدته المتينة الصّلبة الضّاربة بجذورها في عقل الإنسان ووجدانه، وفي كلّ ذرّة من ذرّات الكون العريض، وبصورة جليّة صارخة وبعد منظومة لألاءة من القِيم الرّفيعة الأصيلة المترشِّحة عن شمس العقيدة من نسيج تشريعيّ متين واسع يغطّي مساحة النّشاط البشريّ، ويلبِّي حاجات الحياة في جانبيه الرّوح والبدن، ويعدّ الإنسان أتمّ إعداد لمواجهة المستقبل القريب والبعيد في حياته الدّنيا والآخرة، ويُعدّ النّظام العباديّ والشّعائر مكوّنًا أساسًا في هذا النّسيج، ونظامًا يعطي عناية كبرى لصلاح الرّوح، وتزكيتها، والارتفاع بالمستوى المعنويّ لحياة الأفراد والمجتمعات نتيجة ارتفاعه، في حين أنّ هذا النّظام يعالج بصورة مسهمة فعّالة ومؤثّرة مشكلات المادّة، ويثري الأوضاع المعيشيّة والخدميّة، ويضعها على خطّ الغاية الكبرى لحياة الإنسان في الأرض، والمنتهية في يوم من الأيام؛ لتكون بلا قِيمة بلا تلك الغاية، ومصيبة كبرى لمَن خسرها.

وقد أُحكم نظام العبادة والشّعائر المعتمدة إسلامًا إحكامًا دقيقًا وعميقًا وشاملًا ممّا يعبّر عن عظمة الإسلام وإنجازه، وجاءت العبادات والشّعائر توقيفيّة لا تدخّل لليد البشريّة فيها بشيء ابتداءً ولا استمرارًا حماية لها من العبث والتّلاعب والاجتهادات الكيفيّة، والاقتراحات البشريّة القاصرة.

أمّا الموكب الحسينيّ- والذي إذا أُخذ فيه بالضّوابط الشّرعيّة - كان أسلوبًا مباحًا ومؤثّرًا ومباركًا من أساليب إحياء الإسلام، وذكر أهل البيت عليهم السلام، والذي هو اللّبّ والغاية والمصحّح لكلّ ما يعنيه الموكب اليوم من جهد، وعناء، وبذل.

كما أنّ أمر الموكب متروك للضّوابط الشّرعيّة العامّة التي يعرفها فقهاء الإسلام وعلماء الفقه، ويتحمّلون مسؤوليّتها دون العامّة الذين يأخذون الرّأي في هذا المجال وغيره من الفقهاء والنقلة عنهم.

إنّ الموكب - وهو أسلوب مبتكر على طريق إحياء ذكرى عاشوراء، وإعطائها الحضور الشّعبي الواسع في حياة المجتمع المؤمن - لا يملك ما تملكه شعيرة مثل شعيرة الصّلاة، والحجّ، والصّوم من تحديد فقهيّ خاصّ انصبّت أحكامه على عنوان الصّلاة، والصّوم، أو الحجّ، وبحوث فقهيّة مكثّفة متخصّصة على أرفع المستويات العلميّة فيها.

وقد تُرك الموكب للعقليّة العاميّة تتصرّف فيه بمدى زمنيّ طويل، وحتى التّدخّلات الفقهيّة الاجتهاديّة التي يضطّرها الوضع؛ لمعالجة بعض المشكلات المختلف عليها لا تنجو من مشاغبة العقليّة العامية وتدخّلاتها، وضغوطها لما قد يشعر به الشّارع من ارتباطه العمليّ بهذه المسألة أكثر من ارتباط الفقهاء، وما قد يتصوّره من أنّ إذن الفقهاء في أصل الموكب إذن في كلّ التّفاصيل التي لا سابق تحديد لها خلاف ما جاءت به الشّريعة من عبادات وشعائر قد حُسم أمر جزئيّاتها، أو كليّاتها الخاصّة بها سلفًا.

وبتصوّر أنّك إذا أحببت كان لك أنْ تفعل ما تريد؛ تعبيرًا عن حبّك، ولعدم الالتفات إلى دقّة الشّريعة وشمولها، وأنّ لكلّ شيء حدًّا في دين الله تعالى، هذا التّسامح في العقليّة العاميّة يفتح الباب لاجتهادات مختلفة منها ما يضرّ بالدِّين كثيرًا.

والموكب وقد تُرك لاجتهادات الشّارع لمدى طويل لا بدّ أنْ يدخله التّشويه، والغريب، وغير الصّحيح؛ الذي يؤثّر على نقائه وصفائه الإسلاميّ، وينحرف به بدرجة وأخرى عن خطّ أهدافه، ويصيبه بالعلل المتراكمة، ويبقي أبوابه مفتوحة لاستغلاله استغلالاً سيّئًا من الجاهل، والمنافق، وحتى من العدو المجاهر.

فلا بدّ من إصلاح، ولا طريق له إلاّ بإشراف فقهيّ، وإخضاع للموكب بكامل وجوده، ونشاطه، وتكوينه، وملابساته لسلطان الفتوى الفقهيّة مع الدّفع به مضمونًا، وأداءً على طريق التّطوير الإيجابيّ المنشدّ إلى الحكم الشّرعيّ.
والموكب اليوم - وقد صار يمتلك الحضور الشّعبيّ الواسع، ويبلغ صوته إلى آفاق بعيدة، ويغطّي بامتداداته مساحات جغرافيّة واسعة من أرض الإسلام وغيرها، ويعدّ في النّظر العام معبّرًا عن الفكر الشّيعيّ، ويترك آثارًا عميقة في فكر وروح ونفسية شرائح شيعيّة واسعة، ويقبل عليه بأكثر من صورة جمهور شبابيّ كبير - لم يعد مناسبًا أبدًا أنْ يُهمل من جهة المثقّف الإسلاميّ النّابه، والعالم الدّيني الغيور، والفقيه المتخصّص المخلص، وأنْ يترك لاجتهادات الشّارع المتضاربة، وإضافاته المفتوحة في صورة من الابتسار.

وإذا وُضعت مسائل الموكب في إطار البحث العلميّ الاجتهاديّ عند الفقهاء وإنْ تعرّض بها للخلاف، وشدّ فيها رأي هنا أو هناك أحيانًا إلا أنّ ذلك هو السّائد في مجال الحكم الاجتهاديّ في كلّ المساحة الفقهيّة، والمتعيّن الأخذ به في قبال فوضى الآراء غير المتخصّصة، على أنّ الأخذ بما عليه الاتّفاق - في نظريّ القاصر - في هذه المسألة الدينيّة الاجتماعيّة الواسعة والتي يستتبع الخلاف العمليّ والانقسامات الفئويّة فيها ممارسة متضاربة على الأرض تضرّ بالواقع الدّينيّ والمؤمنين أيّما ضرر.

ولا تفريط في دين الله تعالى على الإطلاق إذا لم يتعامل مع هذا الأسلوب بخصوصه من الأساليب التي يجري حولها الخلاف في مسألة الموكب في ضوء وجود البدائل، ولا ضير أبدًا خاصّة إذا جاء ذلك مراعاة للمصلحة الدّينيّة ووحدة المؤمنين، على أنّه في كلّ الأحوال لا ينبغي أنْ يفرّقنا هذا الاجتهاد، أو ذلك الاجتهاد في مثل هذه المسألة.

ينبغي في الأصل أنْ نأخذ بما يكون التّوافق عليه، لأنّنا لم نفرّط هنا، ولم نضحِّ بواجب من الواجبات، ولا بسنّة مفروغ منها- بعيدة عن دائرة النّقاش، والأخذ، والرّد-، إلا أنّه إذا أراد المكلّف أنْ يتمسّك بما عليه اجتهاد فقيهه، فليس لنا أنْ نحدث خلافًا في السّاحة على هذا الأساس.

وماذا على الموكب أنْ يطرح، ويعالج؟

الموكب لا يأخذ بغير رؤى الإسلام، ولا تكون معالجاته للقضايا خارج أحكامه، ولا ينسى أنْ يؤصّل في فكر النّاس ونفوسهم مفاهيمه، وقِيمه وأحكامه، ولا يهمل ما يدور في معترك السّاحات المؤثّرة القريبة والبعيدة ممّا يمكن طرحه، وممّا يمكن معالجته، وممّا يؤثّر على إسلام المسلم، واستقامته فكرًا وسلوكًا، ووعيًا وموضوعيّةً، ونصرةً وخذلانًا للإسلام.

إنّ الموكب يشارك المنبر، والمسجد، وسائر وسائل الإعلام الإسلاميّ، والشّعائر الإسلاميّة في تثبيت الإسلام، والتّوعية على أهدافه وقِيمه وتعاليمه، والذّود عنه، وتصحيح الأوضاع الفكريّة والنّفسيّة والعمليّة على ضوئه وهداه، والأخذ بإنسانه على طريق رقيّه وسعادته، وليس من طريق لذلك إلا طريق العبوديّة للرّبّ تبارك وتعالى في كلّ مساحة الحياة، والتّمسّك بمنهجه المنقذ من كلّ المنزلقات، والمنحدرات، والخسائر، والمنتج للحياة الرّغيدة، والآخرة السّعيدة.

مقترحان:

عمليًّا تحضرني محاولتان لإحداث بعض الإصلاح في الموكب، ويمكن أنْ تخضع لدراسة المجلس والمهتمين بهذا الأمر، وليس من الضروريّ أنْ تكون المحاولتان موفّقتين:

أوّلًا: أنْ يُشكّل جهاز واعٍ ومتوفّر على قدرة التّأثير من بعض العناصر المؤمنة الكفوءة بالتّعاون ولو مع البعض القليل من المواكب الفنيّة بالعناصر الواعية والمؤمنة بالتّغيير؛ من أجل الاقتراب بدرجة أكبر بالموكب في شكله ومضمونه من الصّورة الإسلاميّة المشعّة البريئة من الجهالات، ومن كلّ ما لا يليق.

ثانيًا: أنْ يُصمّم لموكب مستحدث بحيث يكون قدوة من ناحية النّقاء والصّفاء والجديّة والالتزام الإسلاميّ والجاذبيّة والتّأثير العمليّ النّافع، وليكن ذلك ولو في قرية صغيرة ابتداءً، ولو في أوقات غير الأوقات التي يشغلها الموكب المعتاد.

ويملك المنشئون لقصيدة الموكب، والمنشدون فرصة كبيرة للأخذ بالموكب من هذه الناحية في الاتّجاه الصحيح، ويتحمّلون مسؤوليّة دينيّة ثقيلة في هذا المجال، ولا بدّ من إشراف علمائيّ دقيق على هذه الزّاوية من النّشاط المنسوب للدِّين والمؤثّر على الواقع الدِّيني بدرجة عالية.

أحيّيكم ثانية، وأبارك لكم جدّيتكم الإسلاميّة، وتوجّهكم؛ لإنقاذ الإسلام من كلّ دخيل وغريب.[٥٦]

٥٦- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسة لمؤتمر عاشوراء الرابع: (الموكب .. الواقع والطموح)، بتاريخ: ١ ذي القعدة ١٤٣٠هـ-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩ م- مأتم السنابس.

* الإصرار على استمرارية بقاء الحسينيات والمواكب

الكلمة للمؤمنين وقد قرُب موسم عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام أن يبقوا على عهدهم مع أبي عبد الله وأن يفوا بهذا العهد الوثيق الذي هو من عهد الله العظيم؛ فيحيوا أمر الحسين عليه السلام والحسينيّة والموكب بكلّ جدٍّ واجتهاد، وبكلّ إخلاص ووفاء، بعيدًا عن السمعة والرّياء، وإنّما عبادة خالصة لوجه الله الكريم، وأن لا يتخلف متخلف عن الحسينية والموكب، بل يلتحق بقافلة الحسين عليه السلام ولو حبوًا وعلى الرُّكَب.

وإنّ مصيبتنا بفقد حسينيّة أو موكب لمن مصيبتنا بالحسين عليه السلام.
إذًا فلا نرضى، ولن نرضى بأن نفقد مأتمًا واحدًا، أو موكبًا واحدًا.
ولو كان هذا الكلام من تحديَّات أهل الدّنيا لما استسغْتُ أن أقوله، ولكنّه من التزامات المؤمنين، ولا يسع المؤمنين التّنصل عن التزاماتهم.[٥٧]

من جهة أخرى قد قرب موسم المحرَّم، فلنسأل كيف نتعامل مع هذا الموسم؟
وقبل الدخول في الإجابة على هذا السؤال علينا أولًا إذا أردنا أن نحيي هذا الموسم بما يليق به أن نضع الحسين المعصوم عليه السلام وعيَه، هدفه، فدائيته، تضحيته، أخلاقيته، إخلاصه، شفقته على العباد، حرصه على وحدة المؤمنين والمسلمين، مثاليته، واقعيته، عفته، تنزهه، غيرته، تمسكه بالعبادة، تقديمه للأهم على المهم، سياسته، حكمته، إصلاحه، حواراته، إعلامه، سمو أساليبه، صبره، صموده، رباطة جأشه، همّه الكبير، نظره البعيد، نصب أعيننا لنتحرك على هداه، وننسجم معه في كل خطواتنا.

٥٧- من برقية لسماحة الشيخ في ٢٠ ذي الحجة ١٤١٧هـ.

ويمكن لإحياء عاشوراء على خط الإمام الحسين عليه السلام أن نلتزم الآتي:

١- أن نتخذ الخطابة والموكب فرصة للتوعية الإسلامية، ورفع المستوى الخلقي والتربية الإيمانية الشاملة، وأن تكون المسيرات العزائية لعرض الأفكار النقية، وطرح الشعارات المربية، والتوجهات المبدئية الصادقة، والتوجيهات العملية الهادية، لا أن تكون للطبل والموسيقى والصخب المؤذي، والاستعراض الفارغ من الأهداف الكريمة والمعاني النبيلة الجليلة.[٥٨]

٢- خلق تجمعات إيمانية ضخمة في الحسينية والموكب؛ من أجل إيجاد حالة اجتماعية تتحرك في إطار الإسلام، والامتداد بالإسلام إلى البعد الاجتماعي إضافة إلى البعد الشخصي.

وليس المطلوب أن نبكيَ الحسين عليه السلام في بيوتنا، أو ننشدَّ إليه في حياتنا الشخصية فحسب، إنما علينا أن نبكي الحسين عليه السلام في الوسط الاجتماعي كذلك، ونحقق حالة اجتماعية حسينية، ونُعطي للحسين عليه السلام حضوره الفاعل في المجتمع، وذلك لا يتمُّ إلا بأن يكون إحياء عاشوراء إحياءً موجَّهًا، وفي صورة تجمعات بشرية ضخمةٍ تؤكد على الحالة الاجتماعية الحسينية.

* لا بدَّ من الحضور، ولا تكفي مشاهدة التلفاز

أؤكد لكم أن الإحياء الذي يريده الحسين عليه السلام وينسجم مع أهدافه الكبيرة لا يتأدى بالإحياء الفردي، ولا يبلغ غايته إلا بأن يكون إحياء في صورة اجتماعية مكثّفة.

إذًا لا يكفي أبدًا في إحياء عاشوراء أن نبقى عند التلفاز، أو أي قناة أخرى من قنوات البثِّ والتوصيل؛ لنستمع الخطيب، أو المحاضر الحسيني، أو نشاهد صورة

٥٨- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

عن الموكب العزائي في البلد أو في بلد آخر.
إنه لا بد من الحضور المكثَّف في الحسينية والموكب؛ ليتم الإحياء بصورته المطلوبة، فينبغي الحرص على ذلك.
وأشدِّدُ مرة بعد أخرى على هذا المطلب المهم الضروري.[٥٩]

٣- يتطلب الدورُ المشارك في الموكب إظهارَ التحزّن، الرزانة، الانضباط، الوقار، والجديَّة، وليس المطلوب أن يُعنَفَ بالجسد أو يعذّب.
واللطم المتعقل إنما هو لإظهار الحزن، أو التحزُّن والانفعال بالمناسبة، وما نذكِّر به أنفسنا والآخرين من مآسٍ حلَّت بالإسلام والمسلمين، وعلى رأسهم بيت النبوة والرسالة.[٦٠]

٤- المواكب المركزيَّة عليها أن لا تدخل في حالة من التنافس البغيض غير الرسالي لكون ذلك من عبادة الشيطان، ولأنه سينهي حتمًا قضية المركزية بسبب ما قد يحدث من تسابق من البعض على هذا العنوان وأمثاله طلبًا للأغراض الدنيوية.[٦١]

٥- ينبغي لرؤساء الحسينيَّات وإداراتها الابتعاد عن التفرُّد بالرأي، وترك المشورة فيما يتصل بأمر الحسينية والخطيب والموكب، والتحلي بروح التفاهم، والتشاور والصبر سدًّا لباب التمزقات، وتوصلاً إلى ما هو أنفع في القرارات المتخذة، والمواقف المتبناة.[٦٢]

٥٩- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.
٦٠- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.
٦١- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.
٦٢- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

رابعًا: ملاحظات للشُّعراء والرَّواديد

* مناشدة للشُّعراء والرَّواديد

فـإنّ لي مناشدة سريعة جـدًّا للإخوة شعراء المنبر الحسينـيّ، أو شعراء الموكب الحسينيّ ورواديده.

١- المطلـوب مقطوعـات رساليّـة، المطلوب للموكـب مقطوعات رساليّـة، واعية، تراعـي الناحية الموضوعيّة، وتكون مفهومة للسامـع من غير أنْ تؤول بالسامع في متاهات لا يكاد يبصر طريقه فيه.

٢- أنْ لا يكـون الاشتغال ببعد واحد من أبعـاد الشخصيّة الرساليّة على المستوى الفـرديّ، وعلى المستوى الاجتماعيّ، وأنْ تعالج المقطوعـات الشعريّة جميع أبعاد الشخصيّة الرساليّة ما أمكن.

٣- الـرادود ينبغي أنْ يشارك أداؤه في العمليـة التبليغيّة، وفي صناعة الشخصيّة الرساليّة القويّة، الرادود يجب أنْ يكون أداؤه ناهضًا بمستوى الشجاعة والشهامة والرجولة، وأنْ يكون أداؤه بعيدًا جدًّا عن حالة الاسترخاء، وحالة الذوبان، وحالة التميع.

محتاجـون إلى وعي، ومحتاجون إلى إرادة، ومحتاجون إلى قدرة مواجهة للوضع السيئ في النفس، وفي الخارج.[٦٣]

٦٣- كلمـة سماحـة آيـة الله الشيـخ عيسـى أحمد قاسـم (حفظه الله) في افتتـاح الجلسة الرئيسـة لمؤتمر عاشـوراء الثاني: (المنبر الحسيني .. المسؤوليات والتحديات)، بتاريخ: ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ - ٨ نوفمبر ٢٠٠٧ م - مأتم السنابس.

٤- شعـراء الموكـب ينبغـي لهم أن يعطـوا اهتمامًا كبـيرًا للإنتـاج الجيد شكلًا ومضمونًا، والبعيدِ عـن السطحية والغموض معًا، الغنيّ بالمضمون الثّرّ والوضوح جميعًـا، ومن المناسـب أن يكون هناك إشـراف فكري وفني علـى الناتج في هذا الحقل من النخبة من أبنائه، وغيرهم.[٦٤]

٥- الإخوة المحترمون المخرجون صوتيًّـا للمدائح والأناشيد والمردَّدات الحسينيَّة ممـن أخذوا في الأوساط العامة اسم الرواديد يُطلـب لهم أن يَظهر على أدائهم الجدّيَّةُ والتأثر بالمأساة، وأن يتزيّنوا كما هو حال عدد منهم - بارك الله فيهم - بـروح الرجولـة والرساليّـة، وأن ينأوا عن الحالـة الغنائية، والتشبـه في أدائهم بألحان أهل الفسق والفجور؛ ليكونوا دعاة حسينيين بحق.[٦٥]

٦٤- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

٦٥- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

خامسًا: ملاحظات حول المشاكل الخُلقية

المشكلة الأخلاقية التي تتوسع وتفسد الأجواء الروحانية المباركة في عاشوراء، وأجواء الحماس والرجولة والإرادة الحيَّة تمثل أزمة حقيقة وتحدِّيًا كبيرًا لكل المؤمنين والحلول موجودة، وكلما يتطلب الحل هو إرادة جدية في هذا المجال.
يطلب من كل الإخوة أن يقدموا اقتراحاتهم؛ لإصلاح وضع الموكب، ومعالجة المسألة الأخلاقية، فيه والمجلس العلمائي مستعد؛ لتلقي كل هذه الاقتراحات.
وخطوة أخرى أنه يطلب من كل المؤسسات الحسينية، وخاصة في العاصمة أن تتساند وتتعاون بعد تدارس الحل، وبعد الوصول إلى حل مرضي في هذا المجال؛ تتساند وتتعاون مشتركة في تطبيق الاقتراح المتبني.

ما لم نتحرَّك اليوم يصعب علينا أنْ نتحرك غدًا ونحن بلا شك معاقبون أمام الله مادام يوجد منكر أمام أعيننا ونحن نقف مكتوفي اليد أمامه.
وإذا كانت هناك منكرات كبيرة يدنا قاصرة عن تصحيحها وعن إلغائها فمثل هذا المنكر لا يستحيل على المعفيين في هذا البلد أن يتخلصوا منه.[٦٦]

* مسؤولية الجميع

تقع على عاتق الجميع مواجهة ظاهرة التبذل والتفسخ الخُلقي التي تتحرك بقوة؛ لتشويه الموسم، وتخريب أجوائه، وانتزاعه من يد الحسين عليه السلام، واستغلاله لأغراض شيطانية ساقطة.
وهذا أمر محوريٌّ جدًّا التفريط به لا يفرِّغ الموسم من أهدافه العالية فقط، بل

٦٦- خطبة الجمعة (٢٧٠) ١٣ محرم الحرام ١٤٢٨هـ، ٢ فبراير ٢٠٠٧ م.

يحوِّلها إلى البديل المناهض.[٦٧]
إذا تميعت في الموكب ستثبت أمام المحنة الكبيرة! إذا تركنا لصبي وصبية مائعين، إذا تركنا لسفيه وسفيهة أن يصبغا مواكبنا بما يريدان أو يشتهيان ويحلمان سنبقى أقوياء؟!

إذا لم نستطع ان نردّ هذا المنكر البسيط سنقف بقوة أمام المنكرات الكبيرة.
أستحي ان أقول بأني أطالب بإجراء ينهي هذه المشكلة الاخلاقية لأني لست واثقًا من أن هذه المطالبة ستجد تطبيقًا على الأرض.
قد يكبر المجتمع في أبعاد، قد يناهض في مساحات، قد يملك الشجاعة والجرأة في ميادين، ولكنه يجبن في بيته أمام زوجته وولده، وقد يجبن أمام عرف فاسد أخذ امتداده في الناس.

شجاعة الإيمان لا تعمل في مساحة دون أخرى، ولا تظهر في ميدان دون آخر.
أنا أقول: عليّ إذا أردت ان أطمئن بمقدار إلى البقاء على خط الاسلام أن أغير من واقعي للاشتغال بإعداد أكثر جدًا وأكبر صرامة؛ من أجل يوم الطوفان، والذي لا ندري متى يأتي.
الظاهرة اللاأخلاقية التي نشتكي منها ولا نعالجها!، التي نأنّ منها، ولا نثور عليها ولا نواجهها!

هذه المشكلة اللاأخلاقية فيها سرقة، سرقة لمجاهيد المؤمنين كلها في هذا الموسم، للملايين التي تبذلونها، لهذه الوقت الذي تصرفونه، لهذا الثواب الذي تطلبونه، كل ذلك تحصده سفيهة وسفيه وحالم وحالمة.

٦٧- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

كل ذلـك يضيع حين تغزو نفسيتك ابتسامة كاذبة، أصباغ كاذبة، حين تستدرج؛ لتشتغل عن الحسين بالنظرة المحرمة.

الحسينيـات مطالبة، العلماء مطالبـون، المثقفون مطالبون بإنهـاء المشكلة، وأن الموسم القادم يجب أن ينظف من هذه الظاهرة جذريًّا.

والحلول ليست معدومة، وإنما تحتاج إلى إرادة.[٦٨]

* نداء إلى الشباب الغيارى

وعلينـا مسؤولية الحفـاظ على الجانب الخلقـي في المواكب وتنقيـة أجوائها من الشوائب الشيطانية، وتنزيهها عن عبث العابثين وسقوط الساقطين، وهذا يتطلّب الإشـراف والمراقبة بالدرجة الكافية لما قد يحـدث من مخالفات غير لائقة تؤثر على أجواء الطهر والفضيلة والشرف والعفاف التي يجب أن تتمتع بها المواكب.

ولهـذا الغرض ينبغي للشباب المؤمـن من مختلف المناطق أن يشـارك في الهيئة الأخلاقيـة للمواكـب في المنامة بما يسدُّ حاجة الهيئـة للتغطية البشرية المطلوبة؛ لمعالجـة الوضـع الخلقـي في مواكـب العاصمة، لقلـة العناصر المطلوبـة عن حدّ الحاجة في هذا المجال.

نداءٌ كم يسعدني أن يأخذ تفعيله على أيدي الشباب الغيارى.[٦٩]

* مسؤولية وتكليف شرعي

ولنحمي مواكبنا من عبث العابثين، وتصيُّد المتصيدين، ومحاولات حرف المسيرة الطاهـرة عن طريقهـا الإلهي اللاحب. فلنكن كلنا جنـدًا في سبيل تأكيد الحالة الأخلاقية الرائعة الراقية في الموكب، وليس اعتمادنا على هيئة رسمية في ذلك.

٦٨- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى احمد قاسم (حفظه الله) في ليلة العاشر من محرم الحرام ١٤٢٨ هـ.

٦٩- خطبة الجمعة (٢٣٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٦هـ، ٢٧ يناير ٢٠٠٦ م.

تُشكر الهيئة الرسمية لمواكب العزاء في المنامة إذ أدّت واجبها في هذا الاتجاه، لكن هي شريحة من شرائح المجتمع، وتتحمل مسؤولياتها من خلال موقعها الإيماني قبل أن تتحمل مسؤولياتها من خلال موقعها الرسمي، والكل يشاركها في المسؤولية الإيمانية والتكليف الشرعي.

فليس لأحد أن يضع قيدًا على المطالبة بالتزام الأخلاق، وبرعاية الحكم الشرعي في الموكب إذا لم يكن هذا المتحرك رسميًا.
شرط الرسمية غير موجود في قاموسنا إطلاقًا، إطلاقًا لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأطلب من الإخوة الشباب وغير الشباب، وحسنٌ أن يكون هناك شيبٌ أيضًا يُعطي الجميع جهدا مضاعفًا مباركًا في سبيل تنقية الحالة الأخلاقية في كل المواكب العزائية في البحرين، وعلى الأخص في العاصمة.
أريد ألا يكون أحدٌ من الجماهير، ولا من النخبة، ولا من صغار السن، ولا من كبار السن، من الرجال، ولا من النساء بعيدًا عن تحمُّل دورٍ ملحوظ في حركة الإمام الحسين عليه السلام وإحياء أيام عاشوراء. [٧٠]

٧٠- http://albayan.org/modules.php?name=News&file=article&sid=108.

سادسًا: ملاحظات حول الشعارات

نحتاج إلى شعارات مدروسة غير عشوائية، وغير مستعارة من خارج الفهم الإسلامي، ومن خارج الرؤية الإسلامية.

وشعارات كربلاء شعارات معبرة، شعارات ملهمة، لافتات تؤكد على الهدف، تشع بروح المنطلق، تحدد المسار، تغنى بالدروس التي كانت من أجلها كربلاء.

وكربلاء من أجل التصحيح، كربلاء، من أجل أن تكون المسيرة إيمانية، كربلاء، من أجل إرادةٍ إيمانيةٍ قوية.

كربلاء من أجل الصعود إلى الله (عزَّ وجلَّ).

كربلاء من أجل مواجهة الباطل.

كربلاء من أجل تركيز الحق، يقول الشعار:

واللهِ إن قطعتموا يميني إني أحامي أبدًا عن ديني

وعن إمام صادق اليقينِ نجل النبي الطاهر الأمينِ[٧١]

هذا الشعار، وأمثاله شعار حي.

ماذا سنكتب من لافتات في عاشوراء، أي شعارات سنكتب؟

الديمقراطية أسلوب نرضاه في الصراع الحاضر، وأسلوب نرضاه في التوصل إلى الحقوق، ونحن نجتنب العنف كلَّ الاجتناب، ونؤكد على ذلك، ولكن هل الديمقراطية هي الإسلام والإسلام هو الديمقراطية؟ يجب عدم الخلط، وأن الإسلام لا تقاس به ديمقراطية، ولا غير ديمقراطية الإسلام أكبر من ذلك، الإسلام فيه شورى، والإسلام يقدر الشعوب، الإسلام لا يسلبك إرادتك ولكن

٧١- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٤، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

الإسلام ليس هو الديمقراطية والديمقراطية ليست هي الإسلام.

علينا أن نكون دقيقين في كتابة شعاراتنا، وما نختاره من لافتات، في محرم وعلى مدار السنة.[٧٢]

* تدقيق الشّعارات

عاشوراء ليس مسرح الشعارات التي لم يتم تدقيقها من ناحية إسلامية، بل هو فرصة لطرح المفهوم الإسلامي النقي، والرؤية الإسلامية الصافية، وهو للارتفاع بالمستوى الخلقي لكل من الرجل والمرأة، ولمزيد من العفة والطهارة الروحية والتزكية، ويجانب هذه الوظيفة أي أسلوب يؤدي إلى لون من الانحطاط الخلقي، والتسيّب في السلوك والتميّع في المشاعر.

محرّم للوعي الإسلامي والنضج العاطفي، للجدية والرجولة، للشهامة والكرامة، للعزّة والإباء، لروح التضحية والفداء، للاجتماع على موائد التقوى والفضيلة، لتصحيح الإرادة ونهوضها، لكل ما يبني الشخصية الإسلامية القويمة.[٧٣]

٧٢- كلمة ألقاها سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في مأتم بن سلوم - المنامة، بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ - الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٥ م.

٧٣- خطبة الجمعة (٥٠) الأول من المحرم ١٤٢٣هـ، الموافق ١٥-٣-٢٠٠٢ م.

سابعًا: ملاحظات حول البذل وموائد عاشوراء

* ترشيد الإنفاق

شكر الله، سعي المؤمنين أن بذلوا ويبذلون جهودًا كبيرة جبَّارة في إحياء هذه الشعيرة شعيرة يوم الطف.

كل ما بذل من جهود، ومن أموال، ومن أوقات لا يستكثر على أبي عبد الله عليه السلام، ولا أحد على الإطلاق يطالب بتقليل الجهد أو البذل وإنما يطالب بالترشيد، وأن تكون النتائج متوازية مع كل هذا الجهد وكل هذا البذل.

العطاء على المستوى الشكلي، وعلى المستوى الحقيقي كثير لكن النتائج والاستفادة والاقتباس والاستنارة من دروس كربلاء شيئ قليل لا يوازي كل ذلك البذل.[٧٤]

* الموائد

والمعني من الموائد هنا ما يُقدّم من طعام وشراب في أيام عاشوراء.

هل نحن معها؟، أو ضدّها؟، أو موقفنا حياديٌّ منها؟

أرى أن هذا البذل والإطعام مقوِّمٌ من مقوّمات عملية الإحياء، وأنّه قد ساهم كثيرًا في الحفاظ على عملية الإحياء في الطبقات العادية، وعلى مستوى الناشئة والصبية، وأنّه مقدّمة عملية تسهِّل أن يُفيق الناشئ من بعد حين على قضية الحسين عليه السلام في أبعادها المعنوية الكبيرة، وأن يتعلّم العطاء والبذل منذ نعومة أظفاره في هذا السبيل.

وليتفرغ أكبر عدد ممكن من الناس للمجالس الحسينية ولحضور المواكب، وللإسهام في التظاهرة الكبرى الإيمانية في عاشوراء، وعلينا أن نسهّل مسألة الطعام والشراب في الأماكن العزائية العامَّة.

٧٤- خطبة الجمعة (٢٧٠) ١٣ محرم الحرام ١٤٢٨هـ، ٢ فبراير ٢٠٠٧ م.

إنَّ هـذه الموائـد تجتـذب بعض المستويـات التي لم يتـح لها العمـر أن تتنضّج في ضميرها، وفي وعيها قضية الحسـين عليه السلام بأبعادها الإيمانية والثورية والمعنوية الكبرى.

وبَذْلُكَ في هذا السبيل يختلف عن بذلك لفقير، فقد يكون في بذلك للفقير التفات إلى الأمـر الشرعـي، ولكن قد يكـون للعاطفة العاديَّة موقع في هـذا البذل، وهي عاطفـة حميدة مشكورة، وهي ذات لون خاص، أما العاطفة التي تجعلك تبذل في سبيـل عاشوراء، وتطعـم فهي عاطفة ذات لون ولائي لأهـل البيت عليهم السلام، وبعدها بعد رسالي.

قـد يأتـي اقتراح بوضع هذا المال المبذول في عاشـوراء في بدائل اقتصادية تعالج بعض المشكلات المعيشية والاقتصادية والثقافية، وغيرها، هذا الأمر يُناقش:
نحن لسنا أمام خيارين فحسب، إما أن نبذل في عاشوراء، أو في المجالات الأخرى، إذ لا يضيق المال على المستوى الشعبي العام عن أن يقوم بالوظيفتين.
المجـالات الأخرى لا تعيش حالة شلـل، وإن كانت تعاني من نقص بلا ريب، ولكن حالة الفراغ التي سيُخلّفها التخلّي عن البذل في عاشوراء ضارّة جدا، وربما أثرت سلبًا على عملية الإحياء، بل هو المظنون جدًّا.

والـذي يُحرّك عملية البذل في هذا الموسم هو العنصر الولائي لأهل البيت عليهم السلام، وبالبذل من منطلق هذا العنصر يزداد سَعَةً، وتركّزًا، وحيوية، ونشاطًا.
أما الاعتذار بحالة الفقر، فهو اعتذار في غير مكانه: العراق عاش ظروفًا صعبة، إيـران عاشت ظروفًا صعبة في وقت الحرب، باكستان بلد فقير، الهند بلد فقير، وكل الشيعة في هذه الأقطار يرتفع مستوى بذلهم بشكل ملحوظ جدًّا، وسخيٌّ جدًّا

في موسم عاشوراء، والبحرين ليست الأفقر من تلك الشعوب.
فلنتحدث عن تمويل المشاريع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من الأموال الضائعة بالإسراف في الزواج، والحفلات الأخرى، والإسراف في اللباس، وفي مناح كثيرة من مناحي الحياة.

نُضيف إلى ذلك بأن مشكلة الفقر، والمشكلة الثقافية، ومشكلة البعثات، المشاريع الاجتماعية هذه نستطيع أن نحمِّلّ مسؤوليتها الحكومة.
أما عاشوراء فهو من مسؤوليتنا، ولا نرضى أن يتحمّلها عنّا أحد.
ووصيتي أن يتجنّب الإسراف في الطعام والشراب الذي يتجاوز حاجة الإحياء، وأن يبقى البذل سخيًّا، والطَّعام والشراب كافيًا في هذا الموسم، وأن لا يتنازل عن ذلك على الإطلاق.

وموسم عاشوراء يجب أن نحترس له كثيرًا، وأن نتجنب أي ثغرة تضعف هذا الموسم.
ونلتفت إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة:٩)، ترك البيع لساعتين، أو ثلاث ساعات من الأمَّة الإسلامية بكاملها، وترك كل الأشغال غير الضرورية كم من مليون، كم من بليون يذهب بها، وتتنازل عنها الأمة من أجل صلاة الجمعة؟!
إلا أن صلاة الجمعة، إلا أن ذكر الله، إلا أن التربية الإسلامية، إلا أن تركّز القيم يحفظ على الأمَّة حتى من الناحية المادية أكثر مما بذلت بكثير.
يُخرّج لنا حكّامًا، وزراء، مدراء، موظّفين، عمّالاً بضمائر حية، وبروح جدّيّة،

ويقدّم لنا أهل أمانة كبرى، والمجال ليس مجال شرح مستوف للنقطة.[٧٥] الإطعام في الموسم فعل جميل وله أثره الطيب على أن يبتعد عن ظاهرة السرف وإلقاء الأطعمة لزيادتها، أو التساهل في طريقة إعدادها.[٧٦]

أخيرًا: اهتمامات أخرى

يأتي في إحياء عاشوراء ذكر المسألة البيئية والصحية، ونحن نعرف أن الإسلام من أجل الإنسان، من أجل البيئة، من أجل الصحة؛ صحة الروح، صحة البدن، صحة كل الأوضاع.

والمجتمع من أجل أن يقوى لا بد أن يحافظ على سلامة البيئة، وعلى سلامة الصحة، ونحن مسؤولون دينًا عن إصلاح البيئة، وعن توفير الصحة، ومن الفساد الذي يظهر في الأرض بما كسبت أيدي الناس هو فساد البيئة، وفساد الصحة، والذي يسببه الانحراف عن خط الله سبحانه وتعالى، نحن نعرف كل ذلك ونريد وعيًا بيئيًا، ونريد وعيًا صحيًّا، ونؤكد على ذلك.

وهناك لونان من الاهتمام بالبيئة والصحة في محرّم؛ هناك الأنشطة العملية التي تحافظ على سلامة البيئة وسلامة الصحة، وتكثيف هذه الأنشطة نظرًا للاجتماعات الحاشدة التي قد تتسبب مخلّفاتها في تلويث البيئة، وفي الإضرار بالصحة، هذه الأنشطة يجب أن تتكثّف وتتركّز في عشرة عاشوراء، ويجب أن تنال اهتمام الجميع.

٧٥- خطبة الجمعة (٢٢٩) ١٩ ذي الحجة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦/١/٢٠ م.

٧٦- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

أمـا مشاريع التثقيف والتوعية والشرح اللفظـي أو استعمال الإيضاحات الأخرى لأهمية المسألة، فيجب أن يسبق عاشوراء، ولا ينتزع من جماهير عاشوراء كما هو غيره من الأنشطة اللاحقة عددًا يضعف حالة الموكب وحالة المأتم.

* التّوصية الأساس

الهـدف الذي يجب أن يكـون حاضرا بقوة جدًّا، ولا يضايقه أي هدف هو إحضار الإسلام في واعية الإنسان المسلم المؤمن وشعوره وعمله.

عاشـوراء هو أولًا وبالذات من أجـل شدّ الأمَّة إلى إسلامها، شد الأمَّة إلى الوعي الإسلامي، إلى الهمّ الإسلامي، إلى التفكير الإسلامي، إلى تطبيق الإسلام.

عاشوراء وعلى مستوى هدفه الأول كان من أجل الإسلام، وكل شيئ سينصلح إذا انشدّت الأمَّة إلى إسلامها.

المسلم بوعيه الإسلامي، وبهمه الإسلامي، وبرشده الإسلامي لا يفرّط بالصحة، ولا يفرّط بالبيئة، ولا يفرّط بالاقتصاد، ولا يفرّط بأي شيء آخر مما ينفع النَّاس.

موسـم يجب أن يُركّز على العـودة بالأمة إلى إسلامها، إلى صلابتها الإسلامية، إلى نقائهـا الإسلامـي، إلى اعتزازها بهويتها الإسلاميـة، إلى رشدها في مسألة الإمامـة، وأنّ الفاسق لا يكـون إمامًا، وأن الجاهل لا يكـون إمامًا، وأن الإمام في الإسلام له مواصفاته الخاصة.

كانـت ثـورة كربلاء ثورة إسـلام وإيمان، ثـورة لتركيز الوعـي الإسلامي العام، ولتركيز الوعي بأهمية وضرورة الإمامة الرشيدة.

إنه ليست لنا حياة بحق، وعزّة بحق، وتقدم بحق، وشموخ بحق إلا بالإسلام.

والإحياء مستويات، وكلها قيمة من مستوى المحيين.

كلمـا تقدم وعي الإنسان المسلم، التزامه، تقواه، اتّزانه، رشده، وكان الذي يحيي الشعـيرة من شعائر الإسـلام كلما كان الإحياء أقـرب إلى الحقيقة، وأقرب إلى المستـوى المطلوب، وكلما هبط مستوانا، وضلّـت رؤانا، وانتكست نفسيتنا، وبعدنا عن قيم كربلاء، كلّما كان إحياؤنا أقرب إلى الشكل، والشكل الذي قد يضرّ أكثر مما قد ينفع.

لا بـدّ من موقـف قوي يشارك فيه الجميـع؛ من أجل حمايـة أخلاقيات المواكب، ويجـب أن لا نقبل منذ اليـوم أن تشوّه صورة هذه الشعيرة المباركة؛ شعيرة إحياء يوم الحسين عليه السلام.[٧٧]

٧٧- خطبة الجمعة (٣٠٨) ٩ محرم الحرام ١٤٢٩هـ، ١٨ يناير ٢٠٠٨ م.

الباب التّاسع

الفتن واستهداف الإحياء العاشورائي

أولًا: الفتنة الطائفية

* لماذا هذا الرَّبط؟

تعمل الصحافة الرسمية عندنا بقوة واستمرار ومنذ عامين على الأقل على الربط المفتعل والمتعمّد بين هذه القضية وتلك القضية، وبين ما يمسّ هذه الساحة، ويمس تلك الساحة، وتخلط الأمور خلطًا عجيبًا، وتتعدّى من أمرٍ إلى أمر، وكل ذلك في حياكة محكمة تريد أن تتوصل من خلالها إلى أغراض سيئة خبيثة:

أ- نجد ربطًا تُصرُّ عليه الصحافة بين إقامة العزاء والخطابة الحسينية في عاشوراء والتنديد بقبائح يزيد في حكمه، وبين كون هذه الممارسات استفزازًا للإخوة السُّنة، وأنها تعني رميهم بأنهم يزيديون، وأنهم يعادون الحسين عليه السلام.

نعم تصرّ الصحافة على تحميل هذه الممارسات هذه الدلالات البعيدة عنها.

أسأل: لِكَم سنة أحيا الشيعة في البحرين عاشوراء؟

لكم من عشرات السنين أحيا الشيعة موسم عاشوراء ولم يفهم الإخوة السنة هذه الدلالة في هذه الممارسات على الإطلاق؟، ولم يدر في خَلَد الشيعة شيئ من هذه الدلالات؟، وكانت تحصل مظاهر من مظاهر الاشتراك في إحياء مواسم عاشوراء سابقًا بين بعض الإخوة السنة والشيعة.

* ماذا يعني هذا الربط؟

يعني تحريضًا يتصاعد يومًا بعد يوم ضدّ العزاء والتعزية، يعني خلق حالة رفض وسخط من الإخوة السنة لموسم عاشوراء، ولهم الحق في ذلك إذا كان العزاء

يعني فصلهم عن أهل البيت عليهم السلام.

إذا كان إحياء عاشوراء يعني اتهامهم بأنهم ممن يبغضون أهل البيت عليهم السلام، فمن حقّهم أن ينهاضوا هذه الشعيرة بكل فاعلياتها.

تريد الصحافة أن تقول: يا سُنّة أنتم مستهدفون من هذا العزاء والتعزية، فثوروا ضد العزاء والتعزية.

وتجدون إصرارًا من جريدة الوطن على تركيز هذا الحس.

ب- نجد أي حدث سياسي كبيرًا كان أو صغيرًا ولو كان متعلّقًا بشخص واحد لا بدَّ أن يحمل على الطائفية والمذهبية.

كلمة يقولها شخص، قد يخطئ خطيب في كلمة، قد يكون حدث سياسي مطلبي في مسألة من المسائل؛ لا يحدث شيئ من ذلك إلا ويكون هناك إصرار وإلحاح على أن هذا الحدث ظاهره سياسي أما باطنه فطائفية ومذهبية ومعاداة للإخوة السنّة.

تحفيز دائم، إثارة دائمة، صب زيت لإشعال روح الفتنة بين أهل الدين الواحد، والوطن الواحد، واللحمة الواحدة.

حالة استنفار دائم للإخوة السنة من هذه الصحافة؛ للتخندق المذهبي، وخوض الصراع بين أهل القبلة الواحدة، والمصير المشترك.

والمقصود من هذا التخندق المذهبي هو غرض سياسي ترمي إليه هذه الصحافة.

ج- نجد صورة أخرى، أي نزاع في الخارج فيه شمّة طائفية يربط بحالة الخلاف السياسي الداخلي، وتحوّل القضية إلى قضية خلاف مذهبي طائفي في الداخل.

بعض الملفات السياسية أقدم من بعض الفتن في الساحة الإسلامية، وعندما

تتحدث عن واحد منها يكون حديثك قائمًا على التنسيق مع الخارج، مع لبنان، مع العراق، مع، مع، وقائمًا على التآمر على الإخوة السنة في الداخل.
هذا عمل صحافي الإخوة السنة بريئون منه، هذه هي ممارسة الصحافة السياسية.

* واجبنا في التّصدّي للفتنة الطّائفيّة

يُطلب منا اليقظة الكبيرة، أن لا نندفع وراء ما تريد الصحافة من استدراجنا له من معاداة الإخوة السنة. وعلى الإخوة السنة من جهتهم، على الشارع السني من جهته أن يعي اللعبة السياسية، وأن نحتفظ جميعًا بالإخوّة الإسلامية قبل الأخوّة الوطنية على لزومها.
وعلى الجميع أن يرفضوا حالة الانجرار لما تخطط له الصحافة السيئة من حالة التصادم والاحتراب.

ويراد من الإخوة العلماء والمثقفين السُّنة أن يقولوا للناس كلمةً تحميهم من الوقوع في فخّ التأسيس لعداوات مذهبية طائفية متأصلة في هذا الوطن العزيز.
الدور الذي تمارسه جريدة الوطن بصورة مكشوفة ومركّزة ومنذ نشأتها الأولى، دور لا أقول عنه أنه مشبوه، وإنما هو دور تخريبي سافر، وقد استهدفت المجلس الإسلامي العلمائي من أول تأسيسه، وهي بمناسبة وغير مناسبة تنظّم حملاتها ضد هذه المؤسسة، على أن المجلس الإسلامي العلمائي جاء استهدافه في تقرير من تقريري البندر، وعلى الوطن أن تكشف لنا العلاقة بين ما في تقرير البندر من استهداف المجلس الإسلامي العلمائي، وبين استهدافها الخاص المركّز لهذه المؤسسة.

ثانيًا: استهداف السّواد واللافتات العاشورائية

الأعلام السوداء في موسم عاشوراء دلالتها واضحة، وكانت منذ قديم، هي شعار حزن وأسى لمصيبة أبي عبدالله عليه السلام، وكلمات الإمام الحسين عليه السلام كلمات لغرس العزَّة والكرامة في نفوس الأمَّة، ولإعطائها حالة الصحوة واليقظة ضدّ الانحرافات الداخلية فيها، وحشد همّتها في مواجهة الفساد، وعبارات الرسول صلى الله عليه وآله ليست عبارات الحسين عليه السلام إلا شيئ منها.

ولم يكن دفع الحسين عليه السلام؛ لإنكار المنكر والأمر بالمعروف أكبر من دفع رسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام على مثاليتهم، ونموذجيتهم التي لا تُلحق إنما هم تلامذة رسول الله صلى الله عليه وآله، والحسين عليه السلام لا يتحدث لخصوص الشيعة، ولا يتحدث عن خصوص السنة، إنه أبٌ من آباء هذه الأمَّة، إنَّه إمام الأمَّة، ويتحدث لكل الأمَّة، وكل الأمَّة أبناؤه عليه السلام.

هذه الكلمات لماذا تُعادَى؟

لماذا تُطارَد؟

لماذا تُشن معارك شديدة في الآونة الأخيرة، ومنذ سنتين أو أكثر، ضدّ علم أسود يدل على التفجّع على حادثة كربلاء، وضد عبارة لإمام مشهود له مسلّم الإمامة بين المسلمين جميعًا؟!

نسأل: أو نحن نعادي العزَّة التي يريد غرسها الحسين عليه السلام في نفوس الأمَّة، نخاف من كلمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نريد لهذا الشعب أن يكون ذليلاً، نريد لهذا الشعب أن يكون خانعًا، نريد لهذا الشعب أن لا يحمل حسًّا حقوقيًّا، أن لا يطالب بحقوقه، تلك مآرب سياسية لا يمكن أن يتمشّى معها مطلب الدِّين.

كلمات الحسين عليه السلام تُطارد، الكلمات الدينية الأخرى التي تقتبس شيئًا من نور كلمات الحسين عليه السلام تُطارد، الأعلام السوداء، اللافتات السوداء تُمزّق، أو تنزع من مواضعها، وصور العاريات تتربّع أمامك في كل شارع، وفي كل منعطف!!

أقول: إنه ليجب على هذا الشعب الكريم أن يتمسّك بما هو من شعائر الإسلام والإيمان، بعيدًا عن حالات الاستعراض، وحالات الاستفزاز، وحالات التحدي، وهذا أمر مفصول عن حساسية السياسة، ولا يمكن لنا أن نراعي حساسية السياسة، والملابسات السياسية التي تجيئ وتذهب، وتهدأ وتثور على حساب دين الله والحكم الشرعي.[٧٨]

ثالثًا: الاستهداف الإعلامي

في أكثر من موسم من مواسم عاشوراء وبصورة ملفتة للنظر تثير الصحافة الرسمية مشكلة مفتعلة تربطها بالموسم، ولنا شكوك وتساؤلات ترتبط بمثل هذه الإثارات المختلقة والمؤقّتة توقيتًا خاصًّا يرتبط بعاشوراء، فهل هناك نية سوداء على المستوى الرسمي ترتبط بالموسم ذاته؟

ولماذا نُسيء الظن وإن كانت أسباب إساءة الظن متوافرة؟![٧٩]

* عاشوراء مستهدف بالتشكيك

لا بدّ من إعطاء عاشوراء الجهد الكافي، من أجل أن يبقى فاعلًا في الأمة وفاعلًا في الإنسانية على خطّ الحسين عليه السلام.

الحسين الذي يكفر بالحدود الجغرافية، ويكفر بالحدود الفئوية، ويكفر بالحدود القوميَّة، وبكل حدود أرضية.

٧٨- خطبة الجمعة (٢٧١) ٢٠ محرم الحرام ١٤٢٨هـ، ٩ فبراير ٢٠٠٧ م.

٧٩- خطبة الجمعة (٣١٠) ٢٣ محرم الحرام ١٤٢٩هـ، ١ فبراير ٢٠٠٨ م.

الحسين الإنسان الكامل، ومن أجل الإنسان كلّه.
على خطّ الحسين عليه السلام يجب أن نندفع بقوة وبإخلاص؛ من أجل إحياء عاشوراء، ومن أجل أن نكون بمستوى عاشوراء، عطاء وقدرة على الدفع الفكري والنفسي والعملي لمستوى الأمَّة والإنسانية.

عاشوراء مستهدف بالتشكيك، وإثارة الغبار من الناحية الشرعية، ومسؤولية أهل عاشوراء أن يزيحوا الغبار عن كل عين مخدوعة، وعن كل فكر واقع في الشبهة، وعاشوراء أيضا يثار عنه، لأنه وإن كان قضية كبرى إلا أن الفاصلة الزمنية الواسعة ينبغي أن تدخل في الحساب، وأن يفتر التفاعل الحار الذي يدفع بأهل عاشوراء إلى أن يعطوا وقتًا أكبر وقت، وأموالا طائلة جدًّا، وأن يعطوا من امكاناتهم ما يعطونه الآن ويدخلوا في موسم يستهلك منهم ما يستهلك من الطاقات ومن الأموال ومن الجهود.

هذه الفاصلة الزمنية يجب أن تنعكس على التفاعل مع عاشوراء بشيئ من الفتور، بشيئ من عدم الحماس الشديد وكأن الحق يتقادم، وكأن الحق يفقد من صورته الناصعة ومن جماله الأخاذ، ومن ضرورته في الأرض، كل ذلك ليس بصحيح وعاشوراء يجب أن تبقى، وأن يشتد التفاعل معها وإن تقادم الزمن بعد الزمن.[٨٠]

٨٠- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في افتتاح الجلسة الرئيسة لمؤتمر عاشوراء الأول: (الممارسات العاشورائية .. نقدًا ومعالجة)، بتاريخ: ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ - ١٠ يناير ٢٠٠٧ م- مأتم السنابس.

الباب العاشر

موسم عاشوراء وقضايا المجتمع والسّياسة

أمـا بعد أيّهـا المؤمنون والمؤمنات، فـإن لكربلاء حديثًا لا ينقضـي للأجيال، وإن دروسهـا الكريمـة لتغطي مساحة هائلة من الحياة، وهـي مع النظر تزداد عطاء على الأيام.

وهذا من حديث كربلاء في بعض ما تقدمه من دروس:

١. في مقدّمة ما تقدّمه كربلاء للأمّة المسلمة من دروس: التأكيد على التزام خط الإمامة الشرعية.

مـا كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام لسبب أكبر من سبب الانحراف عن الإمامة الشرعية، وهو مستتبع لكل الانحرافات في واقع الأمّة.

ما كانـت ثورة الإمام الحسين عليه السلام لمعالجة الناحية الاقتصادية أو قضايا آنيّة، وإن كان عـلاج كل القضايـا فيمـا استهدفه الإمام الحسـين عليه السلام من تصحيح مسار الأمّة، والعودة بها إلى خطّ الله.

مـن أراد أن يعالـج كل قضايا الأمّة وأزماتها في العمق، فليعمل على العودة بالأمّة إلى الخـطّ الإسلامـي الصحيـح، وإن كانت المعالجـة لأي قضية مـن قضاياها بدرجة وأخرى مما لا يصح التفريط فيه.

كربـلاء تحميل التأكيد على التزام خط الإمامـة الشرعية، والقيادة الشرعية في الحيـاة الفردية والاجتماعية بـكل أبعادها الثقافية والسياسيـة وغيرها التزامًا غير مشروط بخياراتنا الشخصية.

الإمـام الحسين عليه السلام ثورته دعوة إلى مبايعة الخطّ الشرعي، القيادة الشرعية، والاستنكاف والاستعلاء عن مبايعة أي يد جاهلية.

وكل رايـة لا تدخل تحت راية القرآن، ولا تتقيـد بالشرعية الإلهية هي في المنظور الإسلامي راية جاهلية.

والقيـادة الشرعية هي قيـادة الأطروحة الشرعية والإمـام الشرعي الذي يعينه الإسـلام شخصًـا، أو يدل عليه وصفًا، -لا تقل بأنـك إسلامي وأنت تستكبر على القيـادة التـي دلّ عليها الإسلام، أنت مسلم، ولكـن أن تكون إسلاميا بالمصطلح السائد الآن وأنك تحمل راية الإسلام ودعوتك له، وأنك رمز من رموزه، ومثل من أمثلتـه فذلـك ليس صحيحاً ما لم تُذعن للقيادة الشرعيـة التي دلّ عليها القرآن والسنة-.

نعـم لا ريب تنكر كربلاء على الأمَّـة أن تعطي الاعتراف الشرعي - وأضع خطين تحـت كلمة الشرعي - للأطروحات الأرضية، وقيادات أهل الأرض المستغنية عن اعتراف الشريعة بها.

وإنّ رفض الظلـم بأي عنـوان كان، وتحـت أي شعار، والعمل علـى رفعه ودفعه، وتصحيح الواقع المنحرف، وترسيخ هُوية الأمَّة، وانتمائها الرسالي عقلًا وضميرًا وعملًا، وحماية هذه الهُوية والانتماء في مقدّمة أهداف كربلاء العظيمة.[٨١]

٢. إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى أكبر الكوارث.

قتل الإمام الحسين عليه السلام، تسيير الفاطميات مسبيات كان نتيجة لإهمال وتمهّل في قضيـة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما إن تتأخّر عملية الأمر بالمعروف

٨١- خطبة الجمعة (٣٠٦) ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٨هـ، ٤ يناير ٢٠٠٨ م.

والنهـي عن المنكر إلا ويكبر المنكر في الأمَّـة، ويضمر المعروف، وكلما كبر المنكر، وضمـر المعروف كان الناس في كارثة ليست على مستوى الدِّين فقط، وإنما أيضًا على مستوى الدنيا.

الحـرب التـي نراهـا الآن، واستئساد الكفـر على الإسـلام هو مـن تأخّر الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر في أوساط المسلمين، فلو كان أمر بمعروف ونهي عن منكر لاشتد عود الأمَّة، وإذا اشتد عود الأمَّة وقامت على ساق لم تستهدفها الأمم بمثل ما تستهدف الوجود الضعيف.
لـو كان أمـر بمعروف ونهي عن منكـر في هذه الأمَّة لكانت رائـدة الأمم كما هي مؤهلة إلى ذلك بإسلامها وتراثها وقادتها.

٣. لا تعويل على الـولاء الهش، والولاء العاطفي السطحي، فما أغنى الولاء الهش والولاء العاطفي السطحي عند أهل الكوفة عن أن يقاتلوا سيدهم الحسين عليه السلام، والإمام الذي يرونه في الحق إمامًا.

٤. خطورة الإعلام؛ الإعـلام الأموي المضلل قتل الإمام الحسين عليه السلام، الإعلام بالترهيب، والإعلام بالترغيب؛ جاءت جيوش الشام، سيضاعف عطاؤكم.
مثـل هـذا الإعلام قادر علـى أن يقتل أكبر رمـوز الأمَّة، وأن يوقـع الأمَّة في أكبر مأساة.
فإذا لم يكن الحس الواعي، وإذا لم تكن الحصانة الداخلية، وكانت جماهير الأمَّة مأسـورة لكلمة الضلال، فإنها لا بدَّ أن تضل، والإعـلام الصادق المسؤول أعطى لقضيته عليه السلام الامتداد، وساهم بحق في صناعة النصر، فهذان إعلامان، إعلام قتل الحسين عليه السلام، وإعلام آخر أحيا الإمام الحسين عليه السلام .. أحيا قضيته.

٥. إذا قال السيف هنا قتل وتصفيات، قال الدم الزاكي حيث يكون إسلام هنا تضحية مرسومة وفداء مخطط.
ولا يكفي أن تكون هناك تضحية، ولا يكفي أن يكون هناك فداء، فلا بد أن تكون التضحية دربها مرسومًا، ولا بد أن يكون الفداء مخططًا له.

٦. كن جونًا المؤمنَ العبدَ - ذلك الإنسان الذي يسميه القانون الشرعي عبدًا - الحر في مشاعره، القوي أمام الدنيا بإيمانه، ولا تكن عُمَر بن سعد الفاسق الظاهر في شهرته، الحر في القانون، المأسورَ للدنيا في داخله، المهزومَ أمام رغبته.
مصيبتك أن تهزم أمام رغباتك.
أذل ذليلٍ هو من هُزم أمام شهواته ورغباته، ولن تكون حرًّا ما لم تكن سيد نفسك.

٧. لا تحتجوا على الدِّين بمَن يحمل شيئًا من علومه، ولكن قيّموا الدِّين بمَن يحمل شيئًا من روحه.
المتدين الذي يُحتج به على الدِّين وللدِّين هو من يحمل شيئًا من روح الدِّين، وليس من يُحتج به للدِّين وعلى الدِّين هو من يحمل شيئًا من علوم الدِّين كما تقول قصة شريح، وكما تقول قصة جون، وكما تقول قصة زهير بن القين.

٨. على الأمَّة أن تتعلم كيف تنتصر حتى لو لم يكن لها سلاح إلا التضحية.
يمكن الانتصار بالتضحية حيث يكون التخطيط، وحيث تكون الدراسة الميدانية، وحيث توضع التضحية موضعها، فكر السيد الشهيد الصدر (أعلى الله مقامه) أن يخطو خطوة مصغرة على منوال موقف أبي عبدالله الحسين عليه السلام، كان

يفكر أن يخطب خطبة جهنمية في الحرم الحيدري - حرم الإمام علي عليه السلام - ضد البعث، هو وصفوة من طلابه، كالسيد الحائري، والسيد الهاشمي، ومن إلى ذلك، فكر في هذا ليحدث زلزالاً في ضمير الأمَّة، لأنه سيستشهد على أثر الواقعة، فكّر، وقدّر، واستشار، ثم توقف.

٩. معركة الدِّين في وجه الباطل بأنواعه وألوانه تقع على كاهل كل من الرجل والمرأة مع تقسيم الأدوار والمسؤوليات بحسب النظرة الشرعية للرجل، والنظرة الشرعية للمرأة في الإسلام، وكربلاء خير شاهد.

١٠. وعاظ السلاطين لا يتورعون حتى عن قتل أولاد الأنبياء.
هذا القول: خرج الحسين عن حده فقتل بسيف جده (صلَّى الله على محمد وآل محمد)، وتطمين على حياة هانئ بن عروة من قصر الأمارة في الكوفة، يتحمل مسؤوليته واعظ من وعاظ السلاطين.

١١. الحكم على الأفراد والجهات والسُّلطات إنما هو بالأفعال لا الأقوال، فمتى يكشف المخادعون عن أنفسهم بالقول الصريح؟!
ما من دولة من دول العالم إلا وتتحدث عن العدالة، بوش في حملته المحتملة يقول: إنما يشن الحرب من أجل الأخلاق، ومن أجل الديمقراطية التي تنقذ الشعوب. الأقوال كلها تتجه للتبرير، كلها تتجه؛ لتلميع شخصية الفرد، شخصية الجهة، شخصية الدولة، والحكم للأفعال.

الحكم على عمر بن سعد بعد أقواله الإسلامية لموقفه لا لأقواله.
يزيد ما كان يتكلم كلامًا غير إسلامي في الغالب، إذا كان يتكلم كلمة غير

إسلاميـة ففي حدود بطانته، أما على العلن إعلامـه كله يعلي من شأن يزيد من ناحية إسلامية.
فعلينـا أن لا نصـوغ شخصية أي دولة، وأي جهـة في نفوسنا من خلال إعلامها، وإنما ننظر دائمًا إلى المشاريع إلى المواقف.

١٢. أخطار المتظاهرين بالإيمان كذبًا على الأمَّة المؤمنة أخطار كوارثية هائلة.
كان هنـاك مفصـل من مفاصل حركة الحسين عليه السلام، وثورتـه المباركة قد سبب الخلـل فيـه كارثة عظيمة، ذلك مـن خلال دور معقلٍ في دخولـه على مسلم، وما دخل إلا بوجهٍ يقول عنه بأنه مخلص، وبأنه مؤمن، وبأنه حريص على الإسلام.
ليس كل من في الصفوف في المساجد مؤمنًا حقًّا، وعمليَّة الاختراق عملية خطيرة جدًّا، وعلى المؤمنين في كل عصر أن يكونوا على نباهة كافية بالنسبة لهذه المسألة الخطيرة.

١٣. بقاء الدين برساليه.
الدِّيـن يحتـاج دائمًا إلى رساليـين، وحيث لا يوجد رساليُّـون لا يوجد دين، فعلى الأمَّة دائمًا أن تخلق الظروف لوجودهم، فماذا لولا الإمام الحسين عليه السلام؟
ماذا لولا أهل البصائر وقرّاء المصر، والمرأة الصالحة العالمة الصابرة ممن كان مع الحسين عليه السلام؟!
لـو لم يكـن الحسين عليه السلام سيـد أهل البصائـر، ومن معه من أهـل البصائر لما وصلكم إسلام.

١٤. معركـة الدِّين مع أعدائه معركة الأمة كلهـا، وليست معركة فئة خاصة، هي فئة المثقفين، أو فئة العلماء، هل من ناصر ينصرنا؟

هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

إذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد قال هذه الكلمات، إذا استغاث هذه الاستغاثة، إذا أطلق هذا النداء، فهو لا يقول: تعالوا دافعوا عنّي وعن أهلي، وإنما نداؤه تعالوا دافعوا عن قضيتكم، لأن أول من يحمل قضيتكم هو الحسين عليه السلام، لأن الذين يحملون قضيتكم بكفاءة وإخلاص هم أهل البيت عليهم السلام، وبعد أهل هذا البيت عليهم السلام لا مدافع عنكم، ولا يبقى لكم إسلام، تنتهون.

١٥. بيت النبوة هم أهل القيادة، فهو البيت الذي لم يتخل عن الدِّين والأمَّة في أي ظرف من الظروف القاسية، مرّ أحد عشر إمامًا كل إمام منهم كان له الدور المدافع عن الأمَّة، الصائن لكرامتها، وكان يخوض معركة ولو بنفسه، ما منهم إمام ولو كان مسجونًا، أو طريدًا قد تخلى عن دوره.

راجعوا بيوتات الإسلام كلَّها، لن تستطيعوا أن تعثروا على بيت واحد وقف مع الإسلام، وأخلص له وبصورة مستمرة دائمة غير هذا البيت الكريم الذي أعدّه الله لحماية الإسلام والذود عنه.

أنا لا أدري كيف يبحث المسلمون عن بيت آخر؟!!، ويزهدون في أهل بيت النبوة؟!! هناك خلفاء راشدون، هناك بيوت، أي بيت؟

أي خليفة أعقب نسلًا لا يفارق الإسلام، ويتحمل كاهله مؤونة الأمَّة، والدِّفاع عنها دائمًا وأبدًا؟!

لستم تجدون بيتًا آخر غير هذا البيت تحمل المسؤولية الإسلامية على طول الخط وإلى اليوم غير هذا البيت.

١٦. الأمن في عزٍّ وشرف ودين، لا يقبل تجزئة بالنسبة للأمَّة وقيادتها، إذا كان الأمن الذي تطلبه هو أمن في عزّ وشرف ودين، فإنك لست قادرًا على أن تجده بلا قيادة مؤمنة، وبلا أمن لهذه القيادة، والقيادة المؤمنة لن تجد أمانًا لها وحدها من دون أن تأمن جماهيرها، فالقائد المؤمن الذي يبحث عن أمان يخصه دون الآخرين واهم، والجماهير التي تبحث عن أمان لها من هذا النوع - من النوع الذي فيه عزٍّ وشرف ودين - مفصولًا عن أمان قيادتها واهمة، وموقف العباس عليه السلام يريد أن يقول للأجيال هذا، وذلك حين رد أمان الشمر الذي نقله عن قيادته.

١٧. الحرب التي تتحول مدرسة للهدى، وللتصحيح، ولتخريج الأجيال الواعية الكريمة هي الحرب التي تنطلق من الإيمان والقيم، وتتمسك بالعنصر الأخلاقي والهدف النبيل في كل مراحلها حقَّقت نصرًا عسكريًّا، أو لحقتها الهزيمة.
رافق العنصر الخُلقي، رافقت روح الإيمان، رافق الحكم الشرعي وحدِّيته كل حروب الرسول صلى الله عليه وآله ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام، وموقف الإمام الحسن عليه السلام، وموقف الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء.

لا يخرج المعصوم عليه السلام عن الحكم الشرعي أبدًا، نعم، يوازن بين ما هو مهم وأهم، وقد يتخلى عن المهم إلى الأهم، وليس في هذا مفارقة للحكم الشرعي.
مَن أراد لثورته أن تبقى مدرسة للأجيال، وأن تصحح للأجيال دربها، وأن تكون مرجعا من مراجع التاريخ المركزية، فليبقَ على الخط الخُلقي والإيماني في كل مفردات ثورته وانتفاضته وإلا فهي ثورة لوقت، وانتفاضة ليوم، وتذهب من بعد ذلك هباء، أو تبقى لعنة على صاحبها.

١٨. إنَّ البشاعات التي ترتكبها بعض الأنظمة الطائشة لا بد أن تنتهي للقضاء عليها، وفي حين أنها تتخذها لإسكات الأصوات، تجدها أخيرًا أنها سبب للتفجير الخطير، وهكذا كانت بشاعات بني أمية.

١٩. لا بدَّ من تأريخ الأدوار الجهادية الصادقة حتى يكون هذا التاريخ مدرسة للأجيال، ووظيفة الإمام السجاد عليه السلام، والفاطميات، والأئمَّة عليهم السلام من بعد ذلك تصبّ في صالح هذا التنبيه.

٢٠. لا حدّ للبذل في الدين ما دام هو الأصلح لبقائه، وليس أعزّ من رأس الحسين عليه السلام رأس بعده، ولا أكرم من أهل بيته أهل بيت.

وما لاقى شهيد في الإسلام من أجله ما لاقاه الحسين عليه السلام قبل الشهادة وبعدها في سبيل الله، وما أوذي أهل بيت مختارين تضحية للدِّين كما أعقبته كربلاء من أذى لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام أطفالاً ونسوة وعليلاً.[٨٢]

* كل أرض كربلاء، كل يومٍ عاشوراء

السلام على الشهيد بكربلاء، السلام على محزوز الرأس من القفا، السلام على من علق القرآن من خلاله على القنا، السلام عليك يا أبا عبد الله، يا قائد مسيرةٍ لا تنتهي، يا زعيم الأبد، يا رجل التاريخ، يا ثورة لا يقف أمامها الاستكبار، يا ملهم العزة والصمود، هذيِّ الأفئدة المؤمنة لو سمعت إشارة من تلميذٍ من تلامذتك، من فقيه من فقهاء مدرستك، بأن تتقدم إلى الموت كما تقدم علي

٨٢- خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ، ١٤ مارس ٢٠٠٣ م.

الأكبر، كما تقدم العباس، كما تقدم جون، لتقدمت إلى الموت واثقة مطمئنة، واثقة بالدرب، مطمئنة بالربح، دربك يا أبا عبد الله دربٌ لا أربح منه، والشهادة تاج تبذل من أجله الأعمار، والثمن أرخص من المطلوب ... .

كل يوم كربلاء، كل يوم عاشوراء، حيث يكون حسين وحسينٌ لا يغيب وحيث يكون يزيد وللشيطان أتباعٌ وأحزاب؛ في أي موقع كان الحسين، وكان يزيد لا بد أن تكون كربلاء، ولا بد أن يكون عاشوراء، وأي أرض تخلو من حسين؟!، وأي أرض تخلو من يزيد؟!

حسين يتجاوز حدود الأمَّة، فكل صوتٍ ينادي بالعدل كل صوتٍ ينادي بالكرامة، كل صوتٍ ينادي بالحرية في شرقٍ أو غرب هو من صوت الامام الحسين عليه السلام، وهو تلميذٌ من تلامذة أبي عبدالله عليه السلام على هذا الخط.

حين يكون حسينٌ وحده تكون الدنيا من لون، وحين يكون يزيدٌ وحده تكون الدنيا من لونٍ آخر، الدنيا مصنوعةً من الإمام الحسين عليه السلام دنيا رخاء، دنيا سلام، دنيا هداية، دنيا تقوى، دنيا أخلاق، دنيا عزَّة وكرامة وشموخًا، دنيا مزرعة للآخرة، أما حيث تكون الدنيا من صنع يزيد، فهي شقاءٌ ينتج الشقاء وهي اضطراب، وقلق، وطبقية، ومأساة، وانقسام، انقسام يصل حتى النفس الواحدة، وفوضى ومواجهاتٌ ساخنة، وسرقات، واغتيالات، وعنف، وارهاب مستكبرٍ، بالنسبة إلى مستضعف الدنيا من صناعة يزيد القبر خير منها، والدنيا من صناعة الإمام الحسين عليه السلام دنيا المحراب، ودنيا الذِّكر ودنيا الصلاة، جنةٍ من أرقى ما في الجنة.

* معارك ظاهرة، وأخطر منها المعارك الخفيّة!

كل أرضٍ كربلاء، كل يوم عاشوراء؛ معارك متنوعة؛ معركة عسكرية في هذه الأرضٍ، أو في تلك الأرضٍ، معركة ثقافية في أرض، معركة اقتصادية في أرضٍ أخرى؛ أنواع من المعارك قد تجتمع وقد تتفرق، ولكن لا يمكن أن تخلو منها الدنيا حين لا تكون الأمور بيد الحسين عليه السلام.

حين يكون الحسين عليه السلام، ومن موقعه الشعبي تكون المواجهة، وتكون الحركة، ويكون الصدام حتى يُنتهى إلى الحق وموت الباطل، وحيث يكون الحسين وحدَه، ويكون قراره هو النافذ تكون الدنيا بتلك الصورة الرائعة الراقية، وحيث يكون يزيد وحدَه وبيده الأمور وله الطاعة تكون الدنيا شقاءً ومقدّمة لشقاء الأبد.

المعركة متنوعة وبعض المعارك تلتف إليها الجماهير، وبعض المعارك يمكن أن تخفى على الجماهير، والمعارك التي لا تظهر للعيان أخطر على مستقبل الأمَّة والإنسان والدِّين من معركة مكشوفة.

الآن تتحفز المشاعر، الآن تغلى النفوس، الآن يتوق الناس للشهادة، لأنَّ هناك قرعَ طبولٍ للحرب.

هذه الحرب المكشوفة تستثير ملايين الناس، تحشد همم الناس على طريق المواجهة، أما المعركة غير المرئية كالمعركة الثقافية، الغزو السلوكي، الغزو الفكري، الغزو المفاهيمي، الغزو الذي يحول العادات بصورة غير مرئية، هذا الغزو لا يواجه إلا من النخب، من النخب الأكثر وعيًا، من النخب الأشد إصرارًا على متابعة الساحة وقرائتها قراءةً مبكرة، العيون التي تكتشف مخاطر المعارك الهادئة غير المكشوفه عيونٌ قليلة وبصائر قليلة، أما الحرب المكشوفة، فلا يحتاج التعرف عليها إلى عناء.

* احذروا الغزو الثقافي

المطلوب من جماهير الأمَّة أن تكون حاضرةً وعيًا، أن تكون مرهفةً حسًّا، أن يكون شعورها حاضرًا فاعـلاً، وأن يكون لها مقياس دقيق يعطي إنذارًا مبكرًا بالنسبة للمعارك الأكـثر خطرًا، المعارك الخفيَّة، معارك الثقافة، ومعارك التغيير النافذ للعقول والنفوس والأرواح.

معركة أمريكا، معركة الغرب، معركة الطُّغاة في كل العالم، معركة الكفر العالمي، معركـة يوميةٌ مع كل من يحاول أن يجد موطئ قدم على درب الاستقامة، معركةٌ مستمـرة طـوال الوقت تواجهـك بالكلمة المسمومـة، بالمشهد المسمـوم، بالفكرة المسمومـة، بالتقليد الجديد الـذي يسلخك عن هُويتك، تواجهـك بهذا، وتصب علـى رأسك، وفي روحك كلَّ ضر وخبُث أربعًا وعشرين ساعة عليك أنت، وولدك، وابنتك، وأخيك الصغير.

وفي الأغلـب لا يلتفت ملايـين الناس إلى مثل هذه المعركة، ومـا المعارك الدموية العسكرية إلا مقدمة؛ لتهيئ لمعارك أكبر وهي من النوع الفكري والثقافي والروحي.

* معاداة أمريكا ومصالحتها

أيُّها الإخوة الكرام، لا تعادوا أمريكا يومًا وتصالوحها دهرًا!

ونحن نفعل ذلك!

نحـن نعادي أمريكا يومَ أن تشهر أمامنـا السيف، ويوم أن تتحدانا بالقنبلة، أما يـوم أن تصـدِّر لنا أفكارها الساقطـة، وأخلاقياتها المهترئـة، فنحن نفتح باعنا نستقبلها بكل سرورٍ وبكل ترحيب.

إنه موقفٌ خطأ.

إنه موقفٌ ساذج.

إنه موقفٌ أبله.

من المؤسف أنْ ترتكبه الأمَّة، وأن تقع في مستنقعة.
نريد مواجهةً دائمًا مستمرةً لأمريكا.
مقاطعة سلع، مقاطعة فكر، مقاطعة تقاليد، مقاطعة موضات.
إنَّه عدو لا يصدر لك إلا السيئ المكشوف، أو السيئ المبطن، فاحذر أمريكا، احذر اسرائيل، تكن أقرب إلى خط الحسين الأمين النظيف الصادق.
كربلاء، عاشوراء، قادة كربلاء، إمام كربلاء، إمام عاشوراء، الحسين من جهة ويزيد من جهة، مسألة تاريخية مستمرة.

الكفر يقاتل، والإيمان يقاتل، الكفر يخوض معركته مع الإيمان، والإيمان يخوض معركته مع الكفر، لكن المختلف هو منطلق المعركة.
منطلق المعركة عند الكفر أن يتمتعوا كما تتمتع الأنعام، وأنْ تُحرق الأرض، وأنْ يُحرق الإنسان، ومنطلق المعركة عند الإيمان أنْ تحيا الأرضَ، أن يحيَا الإنسان وإن كان الثمن أغلى رأس، رأس الحسين عليه السلام.

هذا هو الفرق الجوهري، والمعركة مستمرة، ولو ساد الإيمان، وكانت الأمَّة المسلمة موقعها المادي هو موقع أمريكا، وكانت الأمَّة الأولى في الأرض عسكريًّا واقتصاديًّا، لبقيت معركة الإيمان والكفر، ولكن القيادة الإيمانية كما تخوض المعركة من موقعها الشعبي من منطلق إحياء الأرض والإنسان تبقى على منطلقها الكريم البنَّاء، وهي في أعلى درجات القوَّة، وأعلى درجات السيطرة.

لم يتغير خط رسول الله صلى الله عليه وآله بين يوميه، بين يوم فقرهِ ويوم غناه، يوم ضعفه، ويوم قوَّته، يوم أن كان الطريد، ويوم أن كان الحاكم، لقد استمسك بالحق لا يغادره أي لحظة من لحظات العمر.

لـو كانت أمريـكا مؤمنة لكانـت أيضًا تواجه، لكنهـا تواجه الانحـراف، وتواجه الظلم، وتواجه الطبقية، وتواجه عبودية الإنسان للإنسان، أما أمريكا بأخلاقيتها النفعيـة، فهـي إنما تواجه الإيمـان، تواجه الصحـوة، وتواجه العـزة والكرامة، وتواجه روح الشموخ، وتواجه روح الحرية، ولا تسعى في الأرض إلا فسادًا.

* معركة أمّة

إنَّنـا نقدم على معركة أمَّة، وليس على معركةٍ خاصةٍ بالعراق، الرأس المطلوب في المعركة لأمريكا هو رأس الأمَّة، قرانها، كعبتها، فقهاؤها، رموزها الفاعلة.

مطلـوب أمريكا ليـس الأرض فقط، وليس الثروة النفطيـة، ولا الثروة الزراعية، ولا الموقـع الاستراتيجـي فقط، كل ذلك من أجـل أن تكون أمريـكا هي الإله من غـير حـقٍّ وهـي الشيطـان الأكبر بدرجـة أكـبر، ولتنهـي كلمـة الله في الأرض، ﴿يُرِيـدُونَ أَن يُطْفِـؤُواْ نُـورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِـمْ وَيَأْبَـى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِـمَّ نُـورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢)، وإذا كانت المعركة معركة أمَّة، فجماهير الأمَّة لا يمكن عزلهـا وتعطيـل دورها، ومن الحرام بـيّن الحرمة أن يُعطـل دور جماهير الأمَّة، وأن يزجَّ أصحاب المظاهرات والمسيرات في السجون، وأن تواجههم الأنظمة حتى بالرصاص الحي في بعض البلدان والحالات.

أيُّها الإخـوة الكرام، القضية قضية أمَّة، والأمَّة في جماهيرها العريضة قد عطل دورهـا القتالي منذ بعيد، وسلبت الروح القتاليـة، وروح المواجهة الصارمة، لولا كلمة الحسين عليه السلام، وروحه الجهادية التي هي من روح رسول الله، من روح أمير المؤمنين عليه السلام، ومن عطاء الكتاب الكريم.

وحـين نتحـدث عـن روح الحسـين عليه السلام، فإنمـا هـي قبسـة مـن روح جـدِّه الاعظم صلى الله عليه وآله.

بمواكبكم، بحسينياتكم، بمساجد الأمَّة، بمدارسها الأمينة، تبقى روح النضال، وتبقى روح العزة، وتبقى روح التضحية، ولا يمكن في أي عصرٍ من العصور، ولا في أي لحظة من اللحظات أن يضحى بروح التضحية.

يجب الحفاظ على روح التضحية، وعلى روح الفداء في كل اللحظات، فإنه حين تموت روح التضحية تكون الأمَّة قد ماتت.
لا نرضى أبدًا أن تموت في نفوس الشباب، وفي نفوس الأجيال روح العزَّة والكرامة، وروح الانتماء الأصيل، وروح التضحية؛ من أجل المبدأ على خط الإمام الحسين عليه السلام.

* معركة مفتوحة

ونحن - أعني جماهير الأمَّة الإسلامية في أكثرها - بحسب واقعنا الفعلي لا نجيد أن نحمل السلاح، ولم نتوفر من خلال التربيات الرسمية العامة في الأمَّة على روح المواجهة القتالية الفعلية، لكن يبقى للأمَّة دورٌ آخر في المواجهة، سعيًا لامتلاك القدرة الفعلية على المواجهة في كل الميادين.
تمتلكون الآن روح المواجهة الثقافية، روح المواجهة الفكرية، روح العناد والمكابرة لكل ما هو أمريكيٌّ ضار، ولكل ما هو مستورد مغلّف بالألوان الزاهية، ومغلف بالعناوين الراقية من فكر أمريكا، ومن تقاليد أمريكا، وعادات أمريكا.

إنّكم لو انهزمتم عسكريًّا، وصمدتم ثقافيًّا، واستطعتم تحقيق الغلبة على أمريكا في المجال الثقافي لسقط الهدف، هدف الهجوم العسكري على الأمّة.
وهذه معركة مفتوحة، معركةُ المواجهة الثقافيّة معركة مفتوحة، العجوز فيها جنديّ، والصبي فيها جندي والشاب فيها جندي والشابة فيها جندي.

إذا كانت المعركة العسكريّة لا يخوضها بكفاءة إلا الشاب المفتول العضل، المدرّب على السلاح، فإنّ المعركة الثقافيّة يستطيع أن يخوضها كل أبناء الأمّة، وكل بنات الأمّة، وهذه المسيرات، وهذه الاحتجاجات لونٌ من المواجهة، ولونٌ من إسقاط الهدف الأمريكي.

الدنيا اليوم تتظاهر لتسفّه فكر أمريكا، ولتسقط شخصيّة بوش من خلال إسقاط فكرته، ومن خلال إسقاط قيمة نواياه، ومن خلال إسقاط مشروعه.
حين يسقط مشروع بوش في العقول والأفئدة - ولو من خلال المظاهرة -، فإنّ هذا يعني سقوط، الخطّ الماديّ، خطّ الطغيان، خطّ الاستكبار، خطّ الظلم، ونحن نستطيع أن نسهم كثيرًا في إسقاط خطّ الظلم وخطّ الفساد في الأرض من خلال هذه الصرخات، ومن خلال هذه النداءات، ومن خلال هذه المواجهات.
يا جماهير أمتنا المؤمنة، يا سنّة يا شيعة، يا مسلم في كلّ مكان، يا مسلم في كلّ زاوية، واجهوا أمريكا بوعي الحسين عليه السلام بصموده، بإرادته، بروحه التضحويّة، بعناده، بصبره، بإصراره، واجهوا المشروع الأمريكيّ الغازي للأمّة بكلكم، بكل مشاعركم، بكلّ ما تستطيعون.

يا جماهير أمتنا المؤمنة، لا يمكن الاستسلام للغزو، لا يمكن الاستكانة أمام مَن يريد أن يذبح الأمّة.
نداءٌ من الحسين عليه السلام: قولوا للجيوش الغازية لن تهزموا الحسين.
نداءٌ من الحسين عليه السلام، يقول لأمّة جدّه صلى الله عليه وآله كلها قولوا للجيوش الغازية: (لن تهزموا الحسين).
قولوا لهم من خلال وعيكم، من خلال صمودكم، من خلال عزيمتكم، من خلال معركةٍ طويلة الأمد مع الجيوش الأمريكيّة المهاجمة، ومع الثقافة الأمريكيّة، ومع

كلَّ مستوردٍ أمريكيّ.
قولوا لهم: لن تقتلوا الإباء، لن تطفئوا الهدى، لن نستكين، لا نقلّد، ولا نميع، سننتصر للإسلام، وسننتصر به.

قولوا للدنيا: لسنا مع النظام العراقيّ الذي قتل الفقهاء والعلماء، والذي يتّم مئات الألوف، وشرّد الملايين، وطغى وظلم، وقولوا للدنيا لسنا مع الظالمين الأمريكان، ولسنا من الظالمين من أوروبّا، لسنا مع هذه الحرب العدوانيّة التي لا تستهدف النظام العراقيّ، إنّما تستهدف مزيدًا من الإذلال للشعب العراقيّ وسحقه واستنزاف خيراته، وتستهدف في الأخير رأس الأمّة، كتاب ربّها وسنّة نبيّها صلى الله عليه وآله.

قولوا: نحن مع الحق، نحن ضدّ أيّ ظلم.
وإنكم سينتصر بكم الإسلام حين يكون نفسكم طويلاً، وحين لا تفترون أبدًا عن طلب مزيدٍ من الوعي، ومن الثقافة الإسلاميّة، والالتصاق بالقرآن والانشداد إلى محمّد، إلى عليّ، إلى فاطمة، إلى الحسن، إلى الحسين عليهم السلام، وإلى الرموز الإسلامية على خط محمد (عليه وآله السلام).[٨٣]

* نحتاجك

يوم عاشوراء هو يوم للحسين عليه السلام، ويوم ليزيد.
ومن حيث هو يوم للحسين عليه السلام فهو: يوم الإيمان الصادق، والدين الناطق، والحق الصِّرف، والعزّ والكرامة والشموخ، والإمامة الرشيدة المعصومة، والصلابة، والصبر، والإباء، وكبرياء الحقّ، والصمود.

٨٣- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في ليلة العاشر من محرم الحرام ١٤٢٤هـ بمسجد الخواجة في المنامة.

ومـن حيث هو يوم ليزيد، فهو: شاهد جاهليَّـة مقيتة، وقسوة قلب، وجفاف روح، وانغـلاق عقل، وبهيمية نفـس، وسوء تدبير، وموت ضمير، وقصـور رؤية، وخسّة شعـور، وغلبة هوى، وانحدار أمّـة، ونسيان دين، وسقوط خلـق، وشيوع فساد في الأرض عظيم.

* يوم عاشوراء الحسين عليه السلام، لا يزيد

نحتاجـك إيمانًا ورشدًا وهدى ونورًا، وخلقًا كريمًـا وطُهرًا، وإرادة صلبة وعزمًا، وصمـودًا ومضاء، وصدق دين، وسلامة نيّة؛ نحتاجـك لوعينا، لإيماننا، لعزّتنا، لكرامتنـا، لهدانا، لتصحيح رؤيتنا، لانتشـال إرادتنا، للإباء، للصمود، للشموخ، للوقوف كل حياتنا مع الحقّ.

وإنَّ عزَّ أهله في مواجهة الباطل، وإن كثر ناصره، وكثر النَّاعقون به، نحتاجك في كل موقع ومنعطف يا مدرسة الأجيال، ويا معلّم الأمم.[٨٤]
تحتاجـك كلّ ساحاتنا، وكل أمّتنا، والإنسانية كلّها تحتاجـك روحًا وعقلًا، وقلبًا ومنهجًـا، ونحتاجك ثورة على الذات منّا على خطك تحقق لنا النصر، وننال بها في الآخرة الفوز والنجاة.

وتحتاجـك غـزّة المحاصـرة المضطهـدة المحروقة لمزيـد من الصـبر والصمود والمقاومة، وتحمّل الهول العظيم، والتضحيات الجسيمة، والعذابات المؤلمة.[٨٥]
وتحتاجـك أمَّة المليار، ومئات الملايين بأن تستثير غَيرتها، وغضبتها، وتبعث فيها الإرادة؛ لتقـف الموقـف المسـؤول المشرِّف من محنـة غـزّة، ومأساتها ومحرقتها وآلامهـا وعذاباتها، وأن لا تسجّل هذه الأمَّة على نفسها الذلّ والهوان والاستكانة

٨٤- هتاف جموع المصلين بـ(لبيك يا حسين).
٨٥ - هتاف جموع المصلين بـ(الموت لإسرائيل).

أمـام غطرسة الصهاينة اللئـام، ولا تبرهن بأكثر أنظمتهـا العربية والإسلامية على شلـل الإرادة وخورها، أو التبعية الذليلة للاستكبـار العالمي وسوئها، أو على الاشـتراك في المؤامرة السوداء على الدِّين والأمَّـة، والأصالة وتنفيذها، وحتى لا نثبـت أقطارًا وشعوبًا أننا غثاء كغثاء السيل هذا برغم ما هنا وهناك من وقفات وثّابة لبعض الشعوب المقهورة لأنظمة النار والحديد.[٨٦]

أننا محتاجون لكل ما في عاشوراء، وأن في عاشوراء كل ما نحتاجه.
عاشوراء فيها الوعي الرسالي النقي، والقيادة الإلهية المرضية، وإخلاص القائد للديـن والأمَّة والإنسانية، وضرب المثل الأعلى للعطاء المفتوح على كل التضحيات السخيـة الشريفـة من قبـل القيادة، والسمـو الأخلاقي في المحنـة، والمضي على الدرب المختار برشد إلى النَّفَسِ الأخير، والقرار الحديدي المدروس والقائم على التقـوى، وفيها بصيرة المواجهة السياسية والعسكريـة، وفنّ اختيار التضحية في وقتها ومختلف ظروفها المناسبة.

وفي عاشوراء حنان القيادة وشفقتها، وعشق النخبة والقاعدة وإن كانت صغيرة، وذوبـان الجميع في الهدف، وتنوّع المضحـين، واجتماع ألوان التضحيات، ووضوح الهُوية الإسلامية النقية في الكلمة والموقف عند الكبير والصغير.

والدخـول في معركة لا يرجى فيهـا نصر عسكري، لا عن تهوّر وانفعال، وإنما من منطلـق البصيرة الدينية المحكمة، والـرأي السياسي الدقيق، والرؤية المستقبلية الصادقة، كلّ ذلك وغيره الكثير الكثير في كربلاء، وكل ذلك نحتاجه في صحراء هـذه الحياة، وفي ظـروف محرقة القيم، وقتـل الرجولة وتخويـف الأمَّة، وتمييع

٨٦- خطبة الجمعة (٣٥٠) ٥ محرم الحرام ١٤٣٠هـ، يناير ٢٠٠٩ م.-

إرادتها، وشلّ عزيمتها، وإسقاط ثقتها بنفسها، هذه المحرقة التي تُشعلها حضارة المادة، والتخريب الذي يُمارس من خارج الأمة وداخلها.[٨٧]

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أصحاب الحسين، السلام على كل المؤمنين في الأرض.

إنه لإمام لا اختلاف عليه بين مسلم ومسلم، لا يسعني أن أفترض أن هناك مسلمًا يقف متشككًا في إمامة الحسين عليه السلام مترددًا في أخذ دينه عنه.

لا أجرؤ أن أتهم مسلمًا بألّا في كلمة الحسين عليه السلام حجَّة، أو في موقفه حجَّة، أو في إقراره حجة.

إذًا نحن أمام كلمة، موقف من أمام لا اختلاف عليه بين المسلمين.

وإمام ذاك شأنه نحتاج أن نتعلم على يديه، وأن تنقطع نزاعاتنا عنده، وأن نستريح مطمئنين إلى كل كلمة من كلماته، إلى كل موقف من مواقفه.

كربلاء للأمس، كربلاء لليوم، كربلاء للغد.

كربلاء في كل زمن لإنتاج أمَّة القرآن، لإنتاج أمَّة إسلامية على الأرض، لتصحيح كل المسارات، لتعليم كل الدنيا، لقيادة كل المستويات، لإمامة كل الصفوف المتّجهة لله.

كربلاء للزمن كله، قادرة على تموينه، على إمداده بكل ما يحتاجه من عزَّة، من كرامة، من حرية، من إنسانية كريمة كبيرة عملاقة.

خرج الحسين عليه السلام في ليلة ظلماء شديدة الرعد والبرق، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يمضِ على هجرة الرسول صلى الله عليه وآله إلا ستون عامًا.

٨٧- خطبة الجمعة (٥١) ٩ محرم١٤٢٣ هـ الموافق ٢٢-٣-٢٠٠٢م.

ومـن أين؟ من حاضنة الإسلام الأولى، من المدينة التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وآله وزنًا ليس لغيرها إلا مكة من حاضرة العالم كله، من منطلق النور الإلهي الكبير، مـن ربوع الدولة، دولة الأمن والسلام، دولـة المهاجرين والأنصار صناعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والحسـين مع الفواطم، مع الصبايا والصبيـة، بلى لقد خرج الحسين من مدينة جـدّه خائفًا، مُلاحَقًـا من السيف الأموي، من بطش الحكـم الظالم، أين سيوف المهاجرين والأنصار؟

تقـف بنـا المناسبة أمام درس كبير، الحكم الظـالم يغيّر كل طيـب إلى خبيث، ويتراجع بمستوى الأمّة إلى الخلف، ويأسر إرادة الإنسان، ويصادر حريته، ويقبر في داخله أبعاد إنسانيته الحيّة الفاعلة.

تبـدأ الانحرافة صغيرة، ويبدأ الإهمـال أوليًّا حتى يكبر ويعـمّ الفساد، وتتسارع الخطى إلى الانحراف.

لعب البيت الأموي وقبل أن يحكم دوره في حرف الأمّة، ودخلت القيم المادية على المسلمـين، وتغيرت العقلية، وانحطت الرؤية، وسفهـت الأحلام، وتلكأت الإرادة، وصار المسلم يرى الحق فلا يأخذ به، ويرى الباطل فيقيم حياته على قاعدته.

الأنصار والمهاجرون يخرج من بين ظهرانيهم سبط النبي صلى الله عليه وآله طريدًا خائفًا، ولا ناصر له!!

كيـف تسمح المدينة للإمام الذي لا تختلف عليه، ولا تشكّ فيه أن يتركها في حالة من ذعر بناته وحريمه؟!

الفاصلـة الزمنية ليست بالطويلـة ولكن المسيرة تحتاج دائمًـا إلى حراسة فكر،

وحراسة نفسية وإرادة وشعور، تحتاج الى رجالات مبدئيين يتقدمون القافلة، وتكون لهم الكلمة وإلا فإن النتائج - جدًّا - وخيمة.
باختصار، قالت كربلاء دروسها، وحفرتها في قلب الزمن بالدم، بالأشلاء، بالآهات، بالأنّات، بالجراح، بالنزف، بكل ما يكبر على النفوس من ألم وعلى كل المستويات.

قالت دروسها ومن هذه الدروس:
إنَّ دينًا يحتضن الظلم ليس بدين.
إنَّ دينًا يسكت على الظلم وقت أن يسعه ردّ الظلم ليس بدين.
الإمام الحجة الحسين عليه السلام قال بلسان عملي قاطع، ومن خلال فصل رأسه الشريف عن جسده الطاهر: بأن الدِّين لا يمكن أن يسكت على الظلم، وأنَّ حكومة الظلم يجب ألا يقرّ بها قرار في دار الإسلام إذا وجد المسلمون حقًّا.

وقال درسًا آخر، بين الإسلام وبين الذل أبعد ما بين السماء والأرض، وأن الذل إذا شرّق غرّب الاسلام، وإذا غرّب الذل شرّق الاسلام، وأن الذلة ليس لها موقع في قلب مؤمن.

نعم لا ذلّ مع الإيمان، وإذا وجدنا في أنفسنا ذلة، فمِن تربية جاهلية، إذا وجدنا في نفوسنا ذلة فمِن تخلُّف واقعي عن الاسلام، حتى الذين لا يملكون وعيًا كاملًا بالإسلام لكنهم منشدون إليه نفسيًّا لا تدخلهم الذلَّة. هذه الذلَّة التي نعاني منها هي من زرع الجاهليات، من زرع الطغاة، من زرع مناهج الأرض، من زرع الشهوة، من زرع الانكباب على الأرض.

وإن قتيل الطفّ من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلّتِ

يـوم ان أسقطـت الأمَّـة جانية علـى نفسهـا وزن الإمام الحسـين عليه السلام لم تبقَ لشخصية مـن شخصيات حاضرها يومـذاك، ولا لشخصية من شخصياتها في المستقبـل الممتد أيّ وزن عند كلّ الطغـاة، والطغاة أول ما يقصدون من الرؤوس، الرؤوس الكبيرة.

صـدام قصد رأس الصدر؛ ليبـقَ العراق من بعد الصدر بلا صدر، ولكن يد الله فوق أيديهم، وإرادة الله فوق ما يقدرون.
رأسـ الحسين عليه السلام أذلّ المسلمين حيث سمحت الأمَّة بذلك بأن يحكم يزيد، ثم ليمتد حكم يزيد لمدى زمني طويل، وكلما حكم يزيد ذلّت رؤوس المسلمين.
وستبقى رؤوس المسلمين ذليلة ولو من ناحية الخارج في قبال أن تذل النفس، وأن يسقط الضمير، وأن يدخل الهوان على القلوب.

نعـم ستـذل النفوس دائمًا في ظل حكم يزيد، ولن ينتهـي هذا الذل إلا أن ينتهي حكم يزيد في بلاد الاسلام.
ولولا الحسين عليه السلام، لولا الحسين الفاعل الى اليوم وإلى الغد، لولا الحسين عليه السلام الحاضـر في الساحـة بقوة، لولا هـذا الزخم والدفع الكبـير من الحسين عليه السلام لأبناء الأمَّة لسطا الذلُّ على قلوب المسلمين كل المسلمين تقريبًا.

إنهـم وإن قرأوا القرآن وفي القـرآن الكفاية، وإن قرأوا السنة وفي السنة الكفاية، لكن خطأ الفهم، لكن تبرير الحكم الظالم من داخل الأمَّة، وباسم الإسلام يسع أن يشـوّه كل المفاهيـم، وأن يتراجـع بتقدمية كل المفاهيـم، وأن يجفف كل منابع العزَّة والكرامة والسمو والصمود في أبناء الأمَّة.
حكم ظالم باسم الاسلام يمتلك بطانة من علماء البلاط يمكن لهم أن يتراجعوا

بالأمَّـة عن إسلامها، عن قِيم الاسلام، عن كل معطياته في الفكر والعقل والقلب والنفس.

الحسـين عليه السلام قال يومـه العظيم: إنَّ أمام الإنسان دائمًـا طوفان يتحداه، أمام الأمَّة ظروف طوفانيَّة.

إنَّ أمـام الأمَّة محيط هائج من الفتن، حياة الناس لا تبقى ريحها دائمًا ساكنة، الظروف لا تبقى على وتيرة واحدة «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم».[٨٨]

... نفـس تكـبر أمالها في الدنيا، تبحث دائمًا عن رغدهـا، لا تتحمل أن تعيش إلا النعيـم الدنيوي، نفـس مترفة ليست مـن النفوس الرساليـة، ولا يقوم عليها في الأرض إسلام.

اعـدوا أنفسهم للطوفان، ولا نـدري متى يأتي الطوفـان، وإذا كانت موجة عالية بدرجـة بسيطـة تتراجـع بي عـن إسلامـي مسافات، فكيـف بي أمـام الطوفان الجارف؟!

تخسـر المـال، وتخسر الصحـة، وتخسر الولـد، وتخسر الأمـن، وتخسر الجاه، وتخسر كل ما تعتز به في هذه الحياة من شيئ من أشياء الدنيا والإسلام يطالبك أن تثبت، وأن تجالد، وأن تتقدم بخطى ثابتة في اتجاه الله!

الأمر صعب، وليس بالسهل وجدّ وليس بالهزل.

الأمر يتطلب تربية عالية قاسية، «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم».

ثـورة كربلاء، وكل موقف من مواقـف أهل العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعـين) لها مصبٌّ واحـد، وهدفٌ واحد؛ هو أن يعيش قلـب الإنسان، ذِكر الله

٨٨- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى احمد قاسم (حفظه الله) في ليلة العاشر من محرم الحرام ١٤٢٨ هـ.

، أن ترتفع روح الإنسان تنشدَّ إلى الله، أن ينفتح عقل الإنسان على شيئ من عظمة الله، أن يكون دليل الإنسان في حياته رضوان الله تعالى؛ يقوده على الدرب الصعب الطويل؛ ليأمن العثار والخسار.

الإمام الحسين (أرواحنا له الفداء، وعليه أفضل الصلاة والسلام) ضحَّى؛ ليوقف نزيف الدم في الأرض، ويبدّل خوف الناس أمنًا، وشقاءهم سعادة، وطريقه إلى ذلك أن يُحترم الإنسان، أن يعترف بكرامة الإنسان، وبإنسانيه الإنسان، وبمستوى الإنسان اللائق به، وكلما تنكرت الأرض في جهة من جهات القوة فيها لكرامة الإنسان، ولمستوى الإنسان كلما فقد الإنسان كل إنسان أمنه وسعادته وبغيته، البغية التي تنادي بها فطرته، وتتناسب مع مخزون كينونته.
المطلوب عند الإمام الحسين عليه السلام ليس الحرب.

أساسًا المطلوب في الإسلام السلام، والإسلام دين السلام، والإسلام أول ما يرفع راية السلام، ولكنه في نفس الوقت يقدّر أن السلام في الأرض لا يقوم على هدر كرامة الإنسان، ولا على استغلال الإنسان، ولا على التنكر لحاجات بدن الإنسان، ولا لحاجات روحه.

أي تنكرٍ في المجتمع لحاجات البدن عند الإنسان يخلق مشكلة، ويقوّض الأمن، وينسف الإنجازات الحضارية العملاقة التي تبنيها القرون، وتكون من جهد الملايين على مر التاريخ، وأي تنكرٍ لحاجات الروح - أيضًا - هو نفسه ينسف ما بنته يد الإنسان على الدرب التاريخي الطويل، وعبر جهد مضنٍ من قوافل بشرية تتواصل وتتوالى في هذه الأرض طويلًا طويلًا.
المطلوب في الأرض الأمن، القرآن، الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أهل بيته، المدرسة

الامتداديَّة لأهل البيت عليهم السلام هذا هو هدفها: أن تنشر الأمن، ودعوتها السلام، وهي تعلم في نفس الوقت أن السلام يتطلب أرضية، أن أمن الأرض كلها يقوم على قاعدة، ما هي هذه القاعدة؟ ما تلك الأرضية؟

أن يُعترف بالإنسان في بعده الروحي، وفي بعده المادي، أن ينظر إليه الإنسانَ الذي كرمهُ الله (عزَّ وجلَّ) وفضّله على كثير من خلقه.

* ثورة الرُّوح والقِيم

أكثر الحروب في العالم، نعم ربما كان أكثر الحروب في العالم وراءها خلفية من تنكر روحي، من هدر القيم، من الاستخفاف بقيمة الإنسان.

الثورات التي يفجرها ألم البطن، ألم الجوع، جوعة المعدة، خواء المعدة ربما كانت في التاريخ أقل.

الإمام الحسين عليه السلام لا فصل عنده بين الأمن والاستقرار، والعزة والكرامة.

وإذ تتَّجه الأمَّة الإسلامية كاملةً إلى إيجاد مناخات أمنية مستقرة، ومستمرة، عليها أن لا تنسى القاعدة التي يقوم عليها هذا الأمن، والقاعدة التي يقوم عليها هذا الأمن الاعتراف الضروري بقيمة الإنسان، بكرامة الإنسان، بالحرية المقدسة البنَّاءة الإيجابية الشريفة التي تتناسب مع إنسانية الإنسان، وهي حريةٌ تقابل الحرية الحيوانية، حرية الفحشاء والمنكر.

محتاجة هي الأمَّة أن تؤسِّس لأمنها الطويل، وأن ترسخ قاعدة هذا الأمن.

وقاعدة هذا الأمن هو الاعتراف بهذا الإنسان كاملًا.

أما أن تعترف بحيوانيتي، وتتنكر لإنسانيتي، تتنكر لما به شرفي واعتزازي، لروحي التي شَرَّفتني، لنفخة الروح التي نُسبت إلى الله (عزَّ وجلَّ) تشريفًا وتكريمًا

وعنايــة بها ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَــخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْــعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة:٩).

هذه الروح إذا تنكرت لها لم تفعل شيئًا أبدًا بالنسبة لي.

وأنــا أحب دائمًا أن أتفلت من قوقعة الأرض الصغيرة، ومن إطار الوطن الضيق، إلى الأفق الإنساني الكبير والممتد... كيف؟

أنــا أفهم القضية هكذا: إســلام يتجذر في العقل، في الوجدان، في القلب، يشدك إلى الله، فتتســع الرؤيــة، يمتد الشعــور، ينطلق الطموح، تكــبر الشخصية، تأبى الحدود.

حينئذٍ أحب الرحم لكن لا ليقوعقني، أحب الجار، لكن لا ليقزمني، أحب الوطن، لكن لا ليحبسني، أحب كل إنسانٍ حتى العدو.

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يبكي في المعركة على قتلى من أعدائه.

لكن حبِّي هذا هو حب أهل الرسالات.

نعم إذا كنت مسلمًا، فحبي حب أهل الرسالات، أهل القِيم الذين يحبون للآخرين أن تكتمــل إنسانيتهم، الذين يحبون للآخرين أن يعيشوا الهدى الذي يعيشه ذلك الإنسان المؤمن العامر قلبه بحب الله وحب الناس.

* دعوة الآل عيش بنقاء، وبعد عن شقاء

الإســلام هو الأطروحة، هو المبدأ الوحيد القــادر أن يفتح أفقك النفسي على كل العالم، أن يغذيك بروح الحب لكل إنسان، أن يمدك بالرغبة؛ لإيصال الخير لكل من على ظهر الأرض.

الإســلام هو المبدأ الوحيد الــذي ينقلنا من الجو الحشري الأناني الذاتي الخانق الضيــق، إلى الجو الإنساني الوسيع، أنا لا أبغضــ في أعدائي أشخاصهم، أبغض

في أعدائي ضلالهم، وأتمنى لهم الهداية، أبغض في الكافر انحدارته، وأحب له أن يسمو، وأن يتطلع إلى الأفق البعيد، أحب له روحًا سامقة، ونفسًا قويمة، وأن يعيش الخير في داخله، ويحب الخير لكل الآخرين.

وهكذا كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام، هكذا هو خط أهل البيت عليهم السلام، هكذا هم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لا يحملون حقدًا على أحياء، ولا على جماد. يأتيهم الأذى من الشخص، ثم لا يتمنون له إلا الخير، ولا يريدون له إلا الهداية، ولا يسعون إلا ليقدموا له البصيرة، ولينقذوه من شقاء الأبد، وينقلوه إلى خط السعادة الأبدية، هذه هي القلوب المؤمنة.

* الأمن والعزّة معطيات عاشوريّة

فمحرم في يومنا هو محرم في يوم كربلاء هدفًا وإن اختلف عنه وسيله، عاشورانا تتحد مع كربلاء هدفًا إذ السعي أمس واليوم هو للأمن في عزّة، وللعزة في أمن لي؟، لأخي فقط؟، للقريبين مني فقط؟.
لا، هو للعالم كله.

عاشوراء اليوم تريد أمنًا لجميع العالم، في عزة لجميع العالم، وتريد عزةً لجميع العالم في أمن لجميع العالم، شيئ يصير أو لا يصير؟
المنهج الإسلامي يقول: يصير ومائة في المائة، ويملك أدوات تصيير هذا الأمر وصناعته، ولقد جربت الدنيا يومًا ما في ظروفٍ شحيحةٍ العطاء، وقبل أن يكبر الإنسان، فصنعت الإنسان الكبير، وصنعت له عزته، وارتفعت بكل مشاعره وطموحاته وآماله ورؤاه.

* أعظم فداء لأعظم منشود

أدوات كربلاء كانت دمًا، وأشلاءً، ويتامى، وثكالى وسبايا، ووؤوسًا على الرماح. العطاء في كربلاء كان أعز نفسٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض يوم ذاك، وأقدس روح في الأرض عند الله سبحانه وتعالى، وأجلّ إنسانٍ قدرًا، ، وأغنى إنسانٍ بكلمة الوحي، والهدى الذي تحتاجه الأرض، ويعتز به أهل السماء، كان العطاء رأس الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام).

الوسيلة اليوم الكلمة، الكلمة الهادية، الكلمة المؤلفة، الكلمة الآمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، كلمة الوحي مستقاةً من كتاب الله (جلّ وعلا)، ومن سنَّة نبيه صلى الله عليه وآله، وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، وشعور مفعم بالعزَّة الإيمانية وبالكرامة الإنسانية، روح مشفقة على الأمَّة، حريصة على وحدتها، تحمل الإخلاص والحب لكل إنسان.

المؤمن أسد لا يقبل الذل في وقتٍ من الأوقات، وقلبٌ رحيمٌ لا يحمل الحقد في وقتٍ من الأوقات، قلب طهور جسور، وروح تبحث دائمًا عن الوئام وعن الانسجام على درب الفضيلة، ودرب الخلق القويم، وحسب موازين القسط في الأرض.
فالمؤمن لا يكون في يوم من الأيام داعية فتنة، إنما وهو على خط أهل البيت عليهم السلام، دائمًا يعيش هذه القضية: إنَّ الأمن من الكرامة، وأن حفظ الكرامة بحفظ الأمن.
المؤمن داعية سلام وأمن، ويقدّر دائمًا، ويعلم دائمًا، ويحرص دائمًا، يشدد على هذه القضية، بأنّ الأمن والأمان يحتاج إلى اعترافٍ بإنسانية الإنسان، وكرامة الإنسان، وأن الإنسان مخلوقٌ كريمٌ عند الله سبحانه وتعالى، ولم يجوّز له دينه أن يتنكر لكرامته، وأن يقدّم على أمر الله أمرًا، أو على نهي الله نهيًا.

علينا في مساجدنا، وفي حسينياتنا، وفي مواكبنا، وفي حركتنا، وفي سكناتنا أن نكون دعاة أمنٍ وسلام، ونؤكد على أي فرصة في هذا العالم تعطي إنسان هذا العالم مناخات مناسبة لأن يفكر التفكير الصحيح، لأن يعمل العمل الصالح، لأن ينتج، لأن يبني وطنًا قويًّا مستقرًّ الأمن، يسوده الرخاء، تسوده المحبة، خطه التقدّم.

وهذه الدعوة دائمًا تتطلب التركيز على أساس هذا الأمن والاستقرار، وهو أن تقول لي: إنك إنسان، وأقول لك: إنك إنسان، وأن أحترم فيك إنسانيتك، وأن تحترم فيّ إنسانيتي.

فهل في هذا الطرح جور؟؟

ألا ينصفنا المنصفون؟؟

ألا من سامعٍ رشيدٍ في هذا العالم يقدّر لأهل الإيمان دعوتهم؟؟[٨٩]

* نحن وعاشوراء .. تعاطي الطَّرفين معنى التّعاطي

أن أتعاطى معك معناه: أن تعطيني، أن أعطيَك، أن تأخذ مني أن آخذ منك.

هذا التعاطي له منطلق، وراءه سر، منطلقه أنك تجد ما لا يجد الطرف الآخر، وأن يجد الطرف الآخر ما لا تجده، أن تغنى بشيئ يحتاجه، وأن يغنى بشيئ تحتاجه.

لماذا يأخذ منك؟

لأنَّه يحتاجك.

لماذا تأخذ منه؟

٨٩- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) حول عاشوراء، في ليلة السبت ٢٤/٣/ ٢٠٠١م - الدراز.

لأنَّك تحتاجه.

كيف تعطيه؟

لأنَّك تجد ما لا يجده.

كيف يعطيك؟

لأنَّه يجد ما لا تجده.

هل عاشوراء بحاجة لنا؟

حينما نفترض أن هناك تعاطيًا بيننا وبين عاشوراء، فمعنى ذلك أن عندنا شيئًا ليس عند عاشوراء، وأن عند عاشوراء شيئا ليس عندنا.

فرضُنا التعاطي بيننا وبين عاشوراء، أن عاشوراء بحاجة لنا، وأننا بحاجةٍ لعاشوراء، فهل الأمر كذلك؟ هذا ما يمكن أن يلقى عليه الضوء قادمًا.

* التَّجارب تغرينا في التَّعامل مع عاشوراء

كانت لنا تجارب على طول سنين في عملية التعامل والتفاعل والتعاطي مع عاشوراء، فهل تغرينا تلك التجارب في أن نستمر في هذا التفاعل، في هذا التعاطي؟

هل وجدنا من عاشوراء خيرًا يدفعنا إلى أن نلتحم به، نحتضنه، نذوب فيه، نعطيه الكثير؟

إنَّ وجداننا يستبطن صدق هذا الفرض، فرض أننا نستفيد، أننا نأخذ من عاشوراء، أننا نتغذى على عاشوراء، أننا نكبُر بعاشوراء، أننا نزدهر واقعًا بعاشوراء، وجداننا يستبطن صدق هذا الفرض وإلا لما عاودنا التجربة سنةً بعد سنة، واشتد حماسنا كلما يأتي موسمٌ جديدٌ من مواسم عاشوراء؛ لنتعبأ، ونتهيأ له.

* التّعاطي على مستويات

صحيح كل الصحة أن التعاطي يختلف مستواه، وأنا لا أستطيع أن أتعاطى مع كل المستويات.

لي مستوىً محدود يفرض عليَّ أن أتعاطى مع مستوىً معين للطرف الآخر.

حتى أتعاطى مع الكبار لا بد عليَّ، ولا بدَّ لي أن أتقدم بمستواي؛ حتى يقبلني الكبارُ في الدخول معهم في عمليه التعاطي.

الطفل يمكن أن يأخذ، ولكن الطفل غير مؤهل في أن يدخل في عملية تعاطٍ مستمرةٍ وجادةٍ مع فقهاء الأمَّة، مع فلاسفتها، مع علمائها الكبار.

من أجل أن يقبل علماء الأمَّة، وفقهاؤها، وفلاسفتها الدخول في تعاطٍ مع طرف لا بد أن يكون لذلك الطرف مستوىً يؤهله للدخول في عملية التعاطي معه، أليس كذلك؟

* علينا دائمًا أن نكبر؛ لكي نتعاطى مع عاشوراء

فضلًا عن الكبار، ما نحن من الحسين عليه السلام؟

ما نحن من زينب عليها السلام؟

ما نحن من أصحاب الحسين عليهم السلام الصِّغار؟

علينا دائمًا أن نكبُر بمعنى نعظُم، نتقدم مستوىً؛ من أجل أن نجيد عملية التعاطي مع عاشوراء، مع كربلاء، وكلما تقدم بنا المستوى وكنَّا أكثر نضجًا، كلما استطعنا أن نعطي كربلاء، وأن نأخذ منها.

* الوابل وفير ولكن مَن يستفيد منه؟

لكربلاء عطاء مفتوح لحد واسع، يغمر كل مستوانا، ويتجاوز مستوانا وزماننا، ولكن علينا نحن أن نتعلم أكثر، وأن نتقدم أكثر؛ من أجل أن تكون عملية التعاطي

عندنا مع عاشوراء أكثر عطاءً وأكثر إثراءً لوجودنا.

لا يكفـي أن يوجد مطـر غزير لأثرى بقسط وافر منـه إذا كان الإناءُ الذي أملكهُ إناءً ضيقًا.

من أجل أن أستفيد من غزارة المطر لا بد أن أمتلك إناءً واسعًا؛ ليستقبل مخزونًا أكـبر من عطائه، هاطل كربلاء، ووابل خيرها وفـير غزير، ولكن الاستفادة من هذا العطاء تعتمد على قدرة المستقبل، قدرة التطرف الآخر وهو يدخل في عملية تعاطٍ مع كربلاء.

* استفادة جديدة مع كل عاشوراء جديدة

جميلٌ في كربلاء أنها تعطي الطفل، وتعطي الكبير، وتعطي الأمِّيَّ، وتعطي المتقدم علميًّا، تعطي في البعد الفكري، في البعد الروحي، في كل الأبعاد.

جميـلٌ في كربـلاء أنها مدرسة حية ومعطاءة في كل جنبـات الحياة، وعلينا نحن أن نبنـي أنفسنـا، وأن ندخل تجربـة كل سنة مع عاشوراء بـإرادة التعلم، وإرادة الاستفـادة، وإرادة التتلمذ؛ من أجل نخرج بجديد من كل عاشوراء، ومن أجل أن يكون لنا بذلك إعداد أكبر لعاشوراء تليها.

* تكامل الفكر والإرادة .. كربلاء نموذجًا

دعونا نسأل أنفسنا: هل نحن بحاجة لعاشوراء؟

وهل تملك عاشوراء أن تقضي حاجتنا؟

لما نحن محتاجون؟

محتاجـون للكثـير، محتاجـون إلى فكـرٍ دقيقٍ لا يغيـب وقت العاصفـة، يكون له حضوره وقت الانفعال، ومحتاجون إلى إرادة لا تنام وقت هدوء الريح.

نحن إما أن تحكمنا درجة غليان وفوران عاطفي، نندفع معها بلا حسابات فكرية

دقيقة، أو نظل نفكر، ونتأمل، ونتردد، ثم نصل إلى قرار ولكن تنقصه الإرادة.
نريد أن نتخلص من فكرٍ بلا إرادة، ومن إرادة بلا فكر، وأن نتخلص من الاستعاضة بالفكر عن الإرادة، ومن الاستعاضة بالإرادة عن الفكر، وأن نجمع بين الفكر والإرادة.

الإرادة المندفعة بلا فكر هوى، وعاطفة وانفعال، وهو أمر مدمر، والفكر بلا إرادة قادرة وحية وفاعلة موتٌ وجمودٌ.
كربلاء تعطينا الفكر وتعطينا الإرادة.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت عن نظر، عن فكر، عن دراسة واعية ووافيه للواقع الخارجي، ولما صارت إليه الأمَّة، ولما عليه قوة يزيد من ناحيةٍ مادية، ولما عليه رصيد الإمام الحسين عليه السلام من الناحية نفسها، ولم يكن الحسين عليه السلام انفعاليًّا، وحب الحسين عليه السلام الشديد للإسلام لم يدفعه على غير خط الفكر، ولم يستبد بشعوره بحيث يُغيّب قدرة تفكيره، وإنما فكر وتدبر ودرس الواقع، وتأمل، ووازن، فوجد إما النصر المادي على فرض، وإما الشهادة الضرورية التي لا يسمح الوقت بتأخيرها فتحرك عليه السلام، وحين رأى وقرر لم تخنه الإرادة.

الفكر التام، والإرادة التامة هما مفتاح النجاح في الحركة، بلا أن يتقدم الفكر على مستوى الإرادة، وبلا أن تتخلف الإرادة عن مستوى الفكر.
نحن نحتاج إلى هذا، وكربلاء غنية وقادرة على سد هذه الحاجة، ولكن أن نسد حاجاتنا من كربلاء أمرٌ يحتاج إلى وعي، إلى انفتاح فكري على كربلاء، إلى انفتاح روحي، وإلى انفتاح من النفس في كل بعد من أبعادها الإنسانية عليها.

* الإنسانية التي لا تنفعل مع القرآن وكربلاء، تبقى آسنة

كربلاء نسخةٌ بمستوى من المستويات من القرآن الكريم، وليس أغنى من القرآن، ولكن القرآن القادر على العطاء عطاؤه مشروط بتتلمذ واعٍ، بتتلمذ تصحبه الإرادة الجدية والعزم الأكيد والنظر المتأمل.

القرآن جاء ليحيي الإنسانية بكاملها ولكن الإنسانية التي لا تحاول أن تنفعل به تبقى آسنة، وتبقى متخلفة.

القرآن موجود في الأرض، ولم تُحيا به أرض الإنسان به إلى حد الكفاية، وذلك لقصور في تعامل الإنسان مع القرآن.

وكربلاء موجودة فينا وهي قادرة على أن تحدث فينا النقلة التي نهواها، والتي نتطلع إليها ولكنَّ هذا الأمر مشروط بإرادتنا، مشروط بدرجة وعينا، مشروط بجدية إرادتنا.

* كربلاء الثورية وكربلاء الانضباط

إذا كنا محتاجين إلى ثورية وثورية منضبطة وليست ثورية مجنونة، فهي في كربلاء، في كربلاء الثورية وفي كربلاء الانضباط؛ انضباط الكلمة، وانضباط الموقف، وانضباط العلاقة، وانضباط التوقيت، وانضباط التخطيط، والانضباط في كل جنبة من الجنبات، محتاجون في حركتنا إلى وضوح هدف إلى إيمان بالقضية، ونجد هذا وذاك في كربلاء.

* الحسين عليه السلام كان يستهدف النصر المادي والمعنوي

تقول الكلمة عن أبي الشهداء صلوات الله وسلامه عليه: «مَن لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح»[٩٠]، الهدف واضح، هدفٌ أول هو

٩٠- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٤، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.

النصـر، مـع توفـر أسبابه التـي كان قد بـذل الإمام الحسـين عليه السلام في سبيل تجميعها كل ما يستطيع.

أولُ مـا كان يستهدفـه الإمـام الحسين عليه السلام ليـس هو الشهادة، إنمـا كان أولُ مـا يستهدفه هـو النصر الساحق المادي والمعنـوي، لأنَّ في نصره عليه السلام النصر، النصر العاجل والآجل للإسلام، وفي شهادته نصر آجل للإسلام.

كان المطلـوب الأول لأبي عبـد الله عليه السلام هو أن يحقق نصـرًا ساحقًا على جبهة يزيد، وأن يتولى إدارة شؤون الأمَّة، لأن إدارته لشؤون الأمَّة رحمة من الله، وحياة للإسـلام والمسلمين، وإنقاذ لوضع هـذه الأمَّة، ووضع دينها إنقـاذًا عاجلًا، أما إذا لم يمكـن تحقيق النصر على المستوى المـادي والمعنوي، فلا أقل من أن يحقق النصر على المستوى المعنوي، أو على المدى البعيد.

النصـر المادي للإمام الحسين عليه السلام يعني نصرًا معنويًّا أيضًا، وفي ذلك تحقيق للنصـر على المستوى القريب، والبعيد للإسـلام، وإنقاذٌ للمسلمين، وبناءٌ للكيان الإسلامي القوي العظيم، وفيه عزَّته وكرامته، وفي الشهادة إنقاذ للأمَّة بمستوى من المستويات على المدى البعيد.

وكانت مسؤولية عدم تحقق النصر المادي مسؤولية الأمَّة، ولم توجد ثلمة ولا خلل في خطط الإمام الحسين عليه السلام في طريقه لطلب النصر المادي على يزيد.

أقـول: كان الهدف واضحًا له (صلـوات الله وسلامه عليه)، ولم يكن مرتبكًا ولا قلقًـا، ولم يكن الهدف غائمًـا ولا ضبابيَّة تحول بين الإمـام الحسين عليه السلام وبين رؤيتـه، فـكان المرئيُّ لـه عليه السلام أن يطلب النصر العاجل والآجـل، وكان يقدر أن

الأسبـاب ليست كافية لكن هذا لا يعفيه عن أن يطلب الأسباب بالصورة الجدية الكافية.

* لا يمكن تأخير الحركة

وكان يـرى أن تأخير الحركة غير ممكن بحيث إن زمـن السوء كان سباقًا جدًّا، بحيـث لـو تأخـرت الحركة لما أمكن لها حـين تأتي بعد حـين أن تحقق ما تحققه وقتها، وأنه كان يمكن للدولة الأمويَّة لو أعطيت الزمن الكافي أن تمحق الإسلام، وأن تنخلـق أمَّـةٌ بفكر جديد، وتوجُّهٍ جديـد، وشعورٍ جديد غريـب على الإسلام بالكامل.

ومـن وضوح الهدف، ووضوح النتيجـة أن كان يقول عليه السلام كما في الكلمة المنقولة عنـه: «من لحق بـي استشهد، ومن تخلَّـف لم يبلغ مبلغ الفتـح»[٩١] فكان يرى في الشهـادة فتحًـا مبينًـا، وكان يـرى في النتائـج الإيجابيـة الكبـيرة المترتبة على شهادته، وعلى شهادة أصحابه الميامين نصرًا كبيرًا.[٩٢]

* كربلاء ودرس التنظيم: الانضباط، وطاعة القيادة

في كربـلاء تنظيم، ونحن نحتاج إلى تنظيـم، في كربلاء انضباط، ونحن نحتاج إلى انضبـاط، في كربـلاء طاعة، لا يخرج أحدهم للمقاتلـة والمبارزة إلى بعد أن يستـأذن الإمـام عليه السلام، والكيانات الاجتماعية لا يمكن أن تقـوى، أن تنهض، أن تستمـر أن تتقـدم من غير انضباط، ومن غير طاعة للقيـادة، وليست كل قيادة، قيادة المعصوم عليه السلام، وما يكون شعاعًا لتلك القيادة.

٩١- نفس المصدر.

٩٢- كلمة ألقاها سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في مأتم بن سلوم - المنامة، بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٥ م.

فكريًا تقول الكلمة عن الحسين عليه السلام: «ومقالة جُلّكم - وهو يخاطب أهل الكوفة - أنه ليس علينا إمام فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى»[٩٣]، ليس المطلوبُ أيَّ إمام، ليس المطلوبُ أيَّ قيادة، حتى القيادة التي تحقق لنا مكاسب مادية آنية وهي تريد لنا أن نسلك طريقًا آخر غير خط الحق ليست قيادتنا «لعل الله أن يجمعنا بك على الحق»، فنحن دائمًا نتطلع إلى القيادة، ونبحث عن القيادة ونلتف بالقيادة، ولكن أي قيادة التي نتوقع فيها أن تجمعنا على درجة من الهدى والحق؟، إن لم تجمعنا على الهدى والحق على الإطلاق، فلا أقل أن تجمعنا على الهدى والحق بأكبر ما يمكن، ففي عصر الغَيبة القيادة التي تجمع الناس على الحق والهدى بأكبر ما يمكن هي قيادة الفقهاء العدول الورعين، وليست قيادة الجاهل، ولا قيادة الفاسق، وفي زمن حضور المعصوم عليه السلام هناك قيادة تجمع على الهدى والحق على الإطلاق بشكل مطلق، فتتعين.

* مقاييس الإمام عليه السلام للقيادة

ويقول في الكلمة الأخرى عليه السلام: «فلعمري، ما لإمام إلا الحاكم بالكتاب»[٩٤]، هذه مقاييس الإمام، ومقاييس القيادة، فمرة أحصل على مَن يعمل بالكتاب بشكل دقيق كامل، وهذا في زمن حضور الإمام المعصوم عليه السلام، ومرة يكون مَن يعمل بالكتاب بقدر علمه وهو أعلم من يعلم في الحاضرين بالكتاب، فيكون هو إمامي: «فلعمري ما لإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك لله تبارك وتعالى».

تحدثت بعض الشيئ وبصورة موجزة عن فعل وعطاء طرف كربلاء .. وطرف عاشوراء.

٩٣- الكتاب: العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، المؤلف: الشيخ عبد الله البحراني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع)، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٣٦٥ ش، المطبعة: أمير - قم، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عج) بالحوزة العلمية - قم المقدسة.

٩٤- نفس المصدر.

* ماذا نعطي كربلاء؟

ولكـن ماذا نملك نحـن أن نعطي كربـلاء حتى نطلق علـى العمليـة بأنها عملية تعاطي؟

واضـح أن الأمَّـة تعيش حالـة من الخلل الكبـير في الواقع، وتعيش حالة قدرات معطلة وهي تحتاج إلى كربلاء، ولكن ما حاجة كربلاء إليها؟

الثورات الكبرى التي تنعطف بالتاريخ كانعطافة كربلاء لا تمثل محطات تموينية لجيلٍ أو جيلين، ولا تتكرر هذه الثورات حتى على رأس كل قرن.

مضـت قرون مـن كربلاء إلى الآن، وكانـت ثورات بعد كربلاء، لكـن ثورة بتأثير كربلاء، وبحجم كربلاء، وبالرموز الكربلائية وعلى رأسها الإمام المعصوم عليه السلام لم تحدث.

ولكن لو كانت كربلاء بلا إعلام، وكانت كربلاء بلا مجالس إحياء، وبلا مواكب، وبـلا علماء وفقهاء نزلـوا إلى لساحة، وأعطـوا اهتمامًا بالقضيـة، وشاركوا في إيصال صوتها للملاين، هل كانت كربلاء ستعطي كل هذا العطاء؟

طبعًا: لا.

كربـلاء محتاجـة لنـا في أن نستقبـل منهـا، في أن نحمـل رايتهـا، في أن ننطـق برسالتهـا، في أن ننفعـل بدروسهـا هذه حاجـة كربلاء، وحاجة كربـلاء لنا هي بالضبـط حاجتنا إليها، أهـل كربلاء في ثوابهم ليسوا محتاجين لنا، أهل كربلاء في أدائهـم لرسالتهـم ليسوا محتاجين لنا، نحن محتاجـون إلى الإمام الحسين، محتاجون إلى الطفل الرضيع محتاجون إلى علي الأكبر، إلى زينب، والفاطميات الأخريـات هـذه الحاجة تفرض علينـا أن نحمل راية كربـلاء، وأن ننطق بلسان

كربـلاء، وأن نعيش رسالـة كربـلاء، وأن نعيش لهـا، وفي هذا تفعيـل لكربلاء، واستمرار لعطائها.[٩٥]

* كربـلاء الثـورة الأم، وثورة الإمام الخمينـي (قدس) الثورة الشعاع

حدثـت ثـورات بعـد كربلاء، وآخر ثـورة هي ثـورة الإمام الخمينـي (أعلى الله مقامـه) وهي كثيرة العطـاء، وفيرة الخير، غنيَّة بالـبركات، ولكنها فيما عبرت عنـه في بحـث «ثـورةٌ أمٌّ، وثورةٌ شعاع»، ثـورة الإمام الخميني ثـورة شعاع، وثورة الإمام الحسين هي الثورة الأم.

هذه الثورة بقدرتها الهائلة على العطاء والتي برهنت على ذلك من خلال استقاء، وتغـذي أربعة عشـر قرنًا تقريبًـا، وراء هذا الحسـن الإسلامـي الواضح عندكم كشريحـة من شرائـح الأمَّة واسعة، والحب الإلهي، والـروح الفدائية، الاستعداد للعطـاء الذي تعيشونـه، كانت كربلاء وراء ثورة الإمـام الخميني، ووراء الثورات القريبـة التـي تلتها، ووراء انتصار جنوب لبنان، وحـزب الله، ووراء هذا الشعور الكريم اللاهـب والذوبان في الإسـلام والحضور الفدائـي في انتخابات العراق، وراء روح العزة والكرامة التي بدت تسري في الأمَّة.

كربـلاء تشارك القـرآن الكريم والسنَّـة المطهَّرة في إحياء الأمَّـة لكل هذا المدى الزمني الطويل.[٩٦]

٩٥- كلمة ألقاها سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في مأتم بن سلوم- المنامة، بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٥ م.

٩٦- كلمة ألقاها سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في مأتم بن سلوم - المنامة، بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٥ م.

* نحو أسرة حسينيّة ملتزمة

في هـذا الموسم الإيمـاني الكريم، وأجوائه المشبّعة بـروح التقوى والإخلاص لله، والتضحيـات الطاهرة الهائلة؛ مـن أجل دينه يرفع المجلسُ الإسلاميُّ العلمائيُّ شعـار: «نحو أسرة حسينيـة ملتزمة»؛ ليكون شعارًا مفعّلًا بقـوة واهتمام بالغ ما بـين هذا المحـرم والمحرم القـادم على المؤمنين بخـير إنشـاء الله، ليتبعه شعار إسلامـي آخر يلتقي معـه، ويواصل عطاءه، فالإسلام كله متـلاقٍ متشابك يُمهد بعضه لبعض، ويتناصر فيما بين وحداته ومكوِّناته، وكله دعوة إلى الهدى والخير والصلاح.

وهذا الشعار؛ من أجل:

أ. أن نشـترك جميعًـا في الدعوة الحارة؛ لتكوين الأسـرة التي يرتضاها الحسين وتسرّ الحسين عليه السلام.

ب. أن نفعـل هذه الأسـرة، ونخرج بأسرنا من الظلمـات إلى النور، ومن الأجواء والأخلاق اليزيدية إلى الأجواء والأخلاق الحسينية.

ج. أن تُساهـم كل النشاطات الفكرية والثقافية والمالية في التمهيد والإعداد لهذا النوع من الأسرة.

د. أن تساهـم كلُّ حسينيـة، وكل موكـب في رفع هـذا الشعار، وتركيـزه، وتثبيته بالملصقات واللافتات والنداءات، وغيرها.

هـ. من أجل أن نواجه حملات التغريب للمرأة، للأسرة، للمجتمع المسلم.

و. من أجل أن نكون على خطِّ ثورة كربلاء بجدّ وحق.[٩٧]

٩٧- خطبة الجمعة (١٨٦) ٢ محرم١٤٢٦ هـ، ١١ فبراير ٢٠٠٥ م.

الباب الحادي عشر

تساؤلات حول إحياء عاشوراء

(١): لماذا نركّز على واقعة كربلاء؟

وهنا سؤال: نحن نعرف أن أئمة الهدى من أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كلهم طرق مؤدية إلى الله تبارك وتعالى، وأن الأخذ بحجزة أي إمام من الأئمة المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام) أخذ بطريق النجاة، وبلوغ إلى الجنة، فلماذا هذا التركيز على استشهاد أبي عبد الله (صلوات الله وسلامه عليه)، وعلى واقعة الطّفّ دون غيرها من مناسبات ومظلوميات أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)؟

الجواب: في أكثر من نقطة:

النقطة الأولى: إن تركيز أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) على هذه المناسبة، وإلفات نظرهم بشكل مبكّر لهذه الفاجعة كان أكثر من غيره، فهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) قد أعطوا اهتمامًا بالغًا جدًّا لهذه المناسبة قبل أن تحدث، وبعد أن حدثت.

النقطة الثانية: إن يوم الحسين عليه السلام هو يوم رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم أمير المؤمنين عليه السلام، يوم فاطمة عليها السلام، يوم الحسن عليه السلام، اليوم مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، اليوم ماتت أمي فاطمة، زينب عليها السلام، اليوم قُتل أبي علي بن أبي طالب، اليوم سُمَّ أخي الحسن.

ندري كلّنا أن أهل الكساء خمسة، خامسهم الإمام الحسين عليه السلام، فبقاؤه يعني بقاء النبي صلى الله عليه وآله، وبقاء مَن كان معه تحت الكساء، ويعني بركة السماء في الأرض، بقاء النور الإلهي المشع على هذه البسيطة.

بقاء الإمام الحسين عليه السلام ليس بقاء علم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فقط، وحكمته ورسالته، بل هو بقاء ملامحه الشخصية، وتجسُّد معنى الأربعة، وشخصياتهم في هذه الشخصية الفذة، وارتباط شخصياتهم بهذه الشخصية الفذة، في ذاكرة المسلمين، وبقاء واحد من أهل الكساء، الذي كان يعني بقاء معنويًّا جدًا للجميع، وسلوة للمسلمين عن الجميع، يجعل استشهاده استشهادا للجميع، وأنّ مفارقة الأمَّة له مفارقة للجميع مرة واحدة، وتعني الجرأة عليه الجرأة على المجموع كذلك.

النقطة الثالثة: إن عدد الانتهاكات، ونوعية الانتهاكات التي تجمعت يوم الطف كانت تعكس صور جميع الانتهاكات التي جاءت متفرقة في تاريخ الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، تشهد القيم الإسلامية التي تعرضت للتمزيق يوم الطف، ومن بداية خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة، شريدًا، ثم خروجه من مكة خائفًا لا يأمن في حرم جدِّه، ولا في حرم الله سبحانه وتعالى، إلى انتهاك حرمته الشريفة بالقتل الشنيع، إلى التعدّي على الطفولة البريئة، والصبا الغض، إلى مدّ يد الإثم لأكرم حُرَم وهنَّ بالنهب والسلب، إلى حرق البيوت على أصحابها الآمنين، إلى السبي لخفرات الرسالة، تشهد أنها لم تتعرض في تاريخ الإسلام قبل لمثل هذه الصورة الهستيرية، والخروج الفاضح على الإسلام بالشكل الصارخ العلني، والذي يهدِّد بفناء خط الرسالة كما كان على يد الحكم الأموي في واقعة كربلاء.

إنَّ كثافة هذه المظلوميات عددًا ونوعية تعطي مائزًا ليوم الإمام الحسين عليه السلام، وتحكي مظلومية أهل البيت عليهم السلام في كل أدوارها في مشهد واحد يعجُّ بالمأساة، وهدر القيم الإسلامية والإنسانية النبيلة.

النقطة الرابعة: إن التركيز على واقعة كربلاء يعني التركيز على أفضح موقف من مواقف الأمويِّين، من مواقف هذا الخط، من جذوره إلى امتداده.
والتركيز على المواقف الفاضحة العلنية التي يصعب التستر عليها للحكم الظالم هو الأكثر فائدة؛ لخدمة الإعلام الإسلامي، لخدمة قضية الحق.
فإن التركيز على النقاط التي ربما تخضع إلى تأوّل، ويمكن بالنسبة إليها الالتفاف، قد يضع الجهود المؤمنة في مهب الرياح، بينما التركيز على النقاط الفاضحة الواضحة، والمظلوميات الشنيعة المكشوفة من شأنه أن يهزم الباطل.
فالمواقف الظالمة تعني مادة خصبة؛ لفضح الحكم الظالم المعادي لضمير الأمَّة، والمتستر بأقنعة تحجب حقيقته عن الرأي العام الإسلامي، بما في الرأي العام من نقاط ضعف يمكن أن تستغل بالأساليب الإعلامية المضللة.

وإن من فائدة الأمَّة كثيرًا أن تركز بالخصوص على النقاط التي يتعرى فيها الحكم الظالم، ويظهر على حقيقته، وينكشف بها زيفه، وتسقط كل أقنعته أمام الرأي العام.
فمن أجل أن لا ينسى الرأي العام، ومن أجل أن تبقى القضية حيّةً غضة طرية، ومن أجل أن يبقى الحق حقًّا، والباطل باطلًا، ومن أجل أن يبقى ضمير الأمَّة رافضًا دائمًا لمثل هذا الخط، من المفيد والمجدي للأمَّة أن تركز على مثل هذه المناسبات، وتبقيها دائمًا حيَّة، وتبقيها دائمًا قائمة في ضمير الأمَّة الإسلامية يشمئز منها، وينفر من قبح وجهها.

النقطة الخامسة: لم يكن هناك ردّ دموي صارخ، أشدّ وأعنف في مواجهة الانحراف الداخلي في الأمَّة، ومن موقع الحكم كما كان هو الردّ الذي جرى يوم الطف من موقع زعامة الدين.

وإن الارتباط بهذه المناسبة وإبقاءها حيَّة قائمة في ضمير الأمَّة مشهودة للأجيال، يعني قضية سياسية مهمَّة تهم الإسلام كثيرًا، يعني أن الإسلام في رموزه التي لا يشك فيها، ولا غبار عليها، في قدواته المجسدة له مائة في المائة، يرفض انحرافة الحكم، ويرفض أن يمارس الظلم في هذه الأمَّة، ويتحول الظلم فيها شريعة مقبولة عند ضميرها، وفي عرفها.

إن إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، والتركيز عليها يعني أن الدين يأمر بأقصى درجات التضحية في سبيل أن يبقى الخط الإسلامي نقيًّا وصافيًا، وأنه إذا استوجب الأمر فإن على الأمَّة أن تضع كل إمكاناتها، وتدفع بخيرة أبنائها ضحايا في سبيل الله سبحانه وتعالى؛ من أجل إحقاق الحق، وإزهاق الباطل.

فالموقف العسكري العنيف المضحي للإمام الحسين عليه السلام، كان من لون آخر غير مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنه موقف القاعدة، وزعامتها الحقيقيَّة التي يريد الحكم أن يقهرها، يريد أن يفرض عليها حياة الذل والهوان باسم الإسلام زورًا وبهتانًا.

تعني ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ورده الحاسم، وتضحيته السخيّة عدم الاستسلام لمَن بيده إمكانات الأمَّة، وطاقاتها على حساب الرسالة.

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان دوره دور مقارعة إيمانٍ صريح، لشركٍ صريح، ودور الإمام علي عليه السلام دور مقارعة إيمان لنفاق، أحيانًا على مستوى المواجهة الساخنة، وأحيانًا على مستوى المواجهة الهادئة الباردة.

أمَّـا الإمام الحسين عليه السلام، وفي إطار من المظلومية الواضحة التي يدركها ضمير الأمَّـة كان دوره (صلوات الله وسلامه عليـه) يمثّل دور مقارعة الإيمان الصريح للانحراف الصريح في داخل الأمَّة، وهذا الانحراف الصريح، أو نصف الصريح الـذي يمارس دوره في إذلال الأمَّة وقهرها أراد الإمـام الحسين عليه السلام أن يخط الدرب اللاحب، والدرب الصعـب والشاق لمواجهته، فيزيد من نوعية أخرى غير نوعية معاوية.

الإمام الحسـين عليه السلام واجه نظامًا غير شرعي، وممارسـةً حاكمة غير شريعة، وشخصًا مهترئًا.

كان شخصـ الحاكـم يمثّل انحرافًـا، نظام الحكم يمثـل انحرافًـا، والممارسة العمليـة للحكم كانت تمثّل انحرافًـا، معاوية كان يمكن أن يلبس قناع الإسلام، لأنه وإن كان مكشوفًا وبشكل واضح جدا للنخبة، إلا أنه لم يكن مكشوفًا بالمستوى المطلـوب للقاعدة العريضة، أما يزيـد فيمارس الحكم، يتولى زمام الخلافة عن رسـول الله صلى الله عليه وآله، وهو المعروف بخمرتـه، وهو المعروف بموبقاته، هذا لون آخر في التحـدي للرسالة، وواقعه يعني بداية خط جديد، فيه تهيئة لكل فاسق وفاجر يعلن فسقه وفجوره أن يتولى موقع القيادة في الأمَّة الإسلامية.

لهذه النقاط، ولغيرها كان التركيز الأكثر على واقعة كربلاء، وطبيعي أن التركيز علـى يـوم واحد من أيـام الأئمـة (صلـوات الله وسلامه عليهـم أجمعين) يعني التركيـز على أيامهم جميعًا، وإحياء أمـر الإمام الحسين عليه السلام يعني إحياء أمر الأئمة، هي أطروحة إما أن تقوم بالإمام الحسين عليه السلام، وإما أن تسقط.

حقّانية الإمام الحسين عليه السلام تعني حقانية كل إمام من أئمة الهدى (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

بـل تعنـي أكثر من ذلـك، تعني حقانيـة خطهم الامتـدادي القائـم في عصرنا الحاضر، وتعني بطلان القول بالطاعة لأولي الأمر وإن فسقوا وفجروا، وجدَّوا في هدم الإسلام، ما لم يعلنوا كلمة الكفر الصريح![٩٨]

(٢): ويتساءل متسائلون ثانية: لماذا التركيز على الإمام الحسين عليه السلام، وعاشوراء، والرسل كثيرون، وكلهم مدارس عملاقة، والأولياء متعددون وكلهم عطاء؟

وعلـى هؤلاء المتسائلين أن يلتفتـوا إلى الوجوه التالية لهذا التركيز على خصوص الحسين عليه السلام، وخصوص عاشوراء:

أولًا: عاشوراء حلقة لوصول بين الماضي والمستقبل

الثـورة الحسينيـة هي خاتمـة الثـورات المعصومة في تاريـخ الأنبيـاء والمرسلين (عليهـم أفضل الصلاة والسلام)، وهي الحلقـة الواصلة بين ثورات هذا الخط سابقًا، وثورة الإمام المنتظر (عجَّل الله فَرَجَه) المرتقبة من الثورات التي فجّرها، ويفجّرها المعصومون عليهم السلام، ويتولون قيادتها.

وهـذا يعطيها ومن خلال تجسيدها لكل سابقاتها مـن ثورات هذا الخط الكريم هدفًـا وأخلاقية وإخلاصًا، وصدقًا وثباتًا وقِيمًا أهمية في ذاكرة الحاضر، وفيما يعنيه الاهتمام بالمستقبل.

الالتحام بكربلاء التحامٌ بكل ثورات الرسل والأنبياء.

الاسترفـاد بكربـلاء التي تتضمّـن كل الدروس لثـورات الأنبيـاء، وتحافظ على ميراث الأنبياء استرفاد من كل الرسل والأنبياء.

الارتبـاط بكربلاء ارتبـاط بآخر حلقة من حلقات الرسالـة المتنزلة من السماء، وبآخر كلمة وحي تنزّلت على رسول الله صلى الله عليه وآله.

٩٨- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم في ليلة السبت ١٤٠٨/١/٤هـ.

الارتبـاط بهذا امتداد لخـط الأنبياء، كربلاء تتمثل قيـم كل الرسالات، وتتمثل ثـورات الأنبياء كُلّها، وبذلك يكون البقاء لكربلاء هـو بقاء لتاريخ الإسلام الذي جـاء على يد آدم، وامتدّ حتى رسـول الله صلى الله عليه وآله، وإنك حين تقف بالرسالة عند النبـي صلى الله عليه وآله بعطاءات الوحي، بمدرسـة الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وآله، أو حتى عند أمير المؤمنين عليه السلام تبقى ثلمة - سيأتي ذكر هذه الثلمة -.

الإسـلام كاملًا نستطيع أن نتوفر عليـه بالارتباط بمسيرة الأنبياء من أوّلهم إلى آخرهم حتى نصل إلى الإمام السبط أبي عبد الله عليه السلام، ونرتبط به.

ثانيًا: عاشوراء بقاء للتشريع، وحفظ لصفوه

هـذه الملحمـة الكـبرى توّجت جهاد أمـير المؤمنين عليه السلام؛ لحمايـة الإسلام من التحريـف السياسـي الداخلـي المستتبـع للتحريـف الشامل، وسحبـت البساط مـن تحت الشرعيـات المزعومة كذبًا علـى الشريعة، نلتفت هنـا، وإذا كان أمير المؤمنـين عليه السلام قـد أعطى الدرس الخالد في مقاتلـة البُغاة، فقـد أعطت ثورة كربلاء الدرس الآخـر الخالد الذي يحتاج التشريع إلى أن يغنى به عمليًّا، ليبقى حجَّة لا تنكر وهو مقاتلة الطغاة.

فهنـاك ثلاثـة ألوان مـن القتال لا بد أن يضمّهـا التشريع بين دفّتيـه، إذا نقص التشريع لونًا من هذه الألوان الثلاثة كان مثلومًا.

فهنـاك ثلاثة ألوانٍ مـن القتال - وثلاثة ألوان من الحفاظ على رسالات السماء، ثلاث محطات إذا أُغفلت محطة واحدة منها ضاعت كل رسالات السماء، إحدى المحطـات الثلاثة هي محطة كربـلاء -، قتال على التنزيل، قاد مهماته الضخمة رسـول الله صلى الله عليه وآله في وجـه الوثنية، والكفـر، والشرك المناهضـ لأصل الإيمان والتوحيد، وهذا لا ينكره المسلمون، ويأخذون به، ويبنون عليه.

وقتال على التأويل منه قسم تحمّل مهماته الصعبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وجه البغاة الذين تمرّدوا على الشرعية الحقيقية، وحرفوا مفاهيم الكتاب وأحكامه ومعانيه، وهو القتال الذي قام به الإمام الحسن عليه السلام كذلك من موقع الحكم، ومن خلال مركز السلطة، وهذا القسم - أيضًا - يبني عليه المسلمون، ولا ينكرونه، بل تستفيد منه الأنظمة الفاسدة؛ استفادة فيها تزوير!

أما القسم الآخر، فهو قتال الطغات كيزيد بن معاوية الذي فرض نفسه على الأمَّة بقوة الحديد والنار من غير أي اعتبار لإرادة الأمَّة وإسلامها، وهو لون من القتال يحتاجه خط الرسالات للإبقاء على نقائه، وحماية له من التحريف من موقع القوة التي تحكم باسمه، وتخطط ضدّه هذا التحريف الذي بقي إلى اليوم يهدد الإسلام في أصل كيانه، وقد أوجد الحكم الأموي والعباسي رأيًا فقهيًّا بحرمة الخروج على السلطان الجائر الذي لا يستمد شرعيته إلا من تغلّبه بالقوة، وفرض سلطانه بالبطش، بلا رجوع منه لدين الأمَّة، ولا رأيها.

مسألة مواجهة الحكم اليزيدي، الحكم الأموي والعباسي تحمّل مهماتها الإمام الحسين عليه السلام بكل كفاءة وجدارة، وهو درس لم يعطه الإسلام قبل عمليًّا، لم يتأكد هذا التشريع على يد معصوم قبل الإمام الحسين عليه السلام، فكان لا بد أن يتأكّد.

وهذه المحطة، وهذا التحدّي؛ تحدي الإسلام من موقع السلطة الجائرة هو التحدي الذي سيستمر مع الإسلام دائمًا وأبدًا حتى يأتي القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، تجدون أن مواجهة الكفر غير منكرة عند المسلمين، وفقهاء المسلمين، وحكام المسلمين ولو

نظريًّا، وأن مواجهة البغاة أمر معروف - أيضًا - عند كل المسلمين، أما مواجهة الحكم غير الشرعي كالحكم الأموي والعباسي، فهي محل اختلاف، وإنكار برغم ما سجّله دم الإمام الحسين عليه السلام من حجَّة شرعية بالغة لا ينكرها من استسلم الإسلام، وسَلُمَ قلبُه.

إلا أنه لا يمكن له أن يصمَّد إلى الأخير، وصار يذوب شيئًا فشيئًا أمام المثل الحي الصارخ لهذا اللون من الجهاد الذي مارسه الإمام الحسين عليه السلام، وأجاد ممارسته على أكمل وجه، وأوضح صورة الشيئ الذي - نلتفت هنا - لا نعرف له مثالًا في تاريخ الرسالات وإن وُجد له مثل فهو نادر جدًّا.

وإنّ إحياء ذكرى عاشوراء بالدرجة القوية، والنشاط الديني الملوّن المكثّف بالصورة الملفتة للنظر يحتاجها بقاء التشريع الذي أكّده الإمام الحسين المعصوم عليه السلام - نقول هذا ونحن نردّ على المتسائلين عن التركيز على ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وإحيائها - بِكَمٍّ هائل من التضحيات، والمواجهة العنيدة نظرًا لحساسية هذا التشريع من ناحية عملية، ولاجتماع مصالح الطغاة من خارج الأمَّة وداخلها على تزويره وتغييبه.

ثالثًا: الحسين قدّم كلّه، فخلد

كربلاء تبرز لنا لونًا خاصًّا من الدفاع المقدس، وهو الدفاع الذي لا يُرتقب له أن يُحقق نصرًا عسكريًّا عاجلًا، وإنما يقوم على يقين الشهادة والتضحية بالنفس والأهل؛ لإيقاظ إرادة الأمَّة، وبعث فاعليتها، وقد كاد الشهيد الصدر (أعلى الله مقامه) أن يمارس هذا اللون من الكفاح بالخروج بشعب العراق من حالة الركود في وقت كاد الإسلام هناك أن يُغيَّبَ تمامًا من الساحة وهو (رحمه الله) بعد أن

عـدل عن هـذا الأسلوب في صورته الصارخة إلا أنّه قد أخذ به نفسه بصورة أقلّ بروزًا وظهورًا وصخبًا، وكان ذلك منه اقتداءً بالإمام المعصوم عليه السلام.

رابعًا: عاشوراء صون لخط الإمامة والنبوة

النصوص والسيرة العملية لأكثر من معصوم التي ركّزت على إحياء ذكرى عاشوراء دون غيرها، وأعطتها قيمة خاصّة، ولعل ذلك بلحاظ أن الخطر الأكبر الذي كان سيواجه الإسلام في مسيرته التاريخية الطويلة في مستقبل الأجيال إنما هو من الانحراف عن خط الإمامة الصحيح، وكثرة التزوير، وتزوير الشرعية السياسية، أو المخالَفة الصريحة لهذه الشرعية من قبل الوضع السياسي في الأمَّة، وأن خط الأنبياء والرسالات السماوية إنما يتهدده في مسيرته الطويلة هذا التحريف في مسألة الإمامة من الداخل بما لا يتهدده غيره، وذلك لاجتماع الدواعي والأطماع الدنيوية على اقتضائه، ولم تسلم حتى عصمة الأنبياء والعدل الإلهي عن الإنكار بانحراف خط الإمامة.

ثم إنه ليُعجب من الاستياء والتبري من التحزّن بمصارع أولياء الله على أيد أعداء الله، واتخاذ أيام من أيام ذكريات فجائعهم موسمًا؛ لإظهار السخط على الظلم والعدوان على الدين، ولشد الناس لخط الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله، وتركيز حبه وحب آله المعصومين عليهم السلام، واستنهاض الإرادة الإيمانية، واستثارت الضمير الصالح؛ لتقريب الناس إلى الفضيلة، والبعد بهم عن الرذيلة، وهو موسم وإن كان باسم الإمام الحسين عليه السلام إلا أنه يحاول أن يغطّي ما يمكن من جنبات الإسلام المتعددة، ويستنير في طرحه بثقافة القرآن والسنَّة، وتعاليم الرسالة على يد الأنبياء والرسل من غير استثناء، وهي ثقافة تتجلى واضحة في مواقف الإمام الحسين عليه السلام، وكلماته.

إنّ هذه الغيرة على الأنبياء والرسل التي يثيرها إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام عند البعض يبرأ منها كل الأنبياء والرسل الذين يسرّهم إحياء خطهم الكريم في موسم ديني حافل يعقد باسم ريحانة رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله، وأحد سبطيه وحبيبيه، ومحيي أمره.

والأعجب أن يأتي الاستياء من إحياء ذكرى الحسين عليه السلام بما يعنيه من إحياء الإسلام بصورة واضحة من بعض العلماء الذين يأخذون بالقياس والاستحسان، وهما - أي القياس، والاستحسان - دليلان إذا صحّا أدّيا حتمًا لتأكيد هذا الإحياء لما فيه من العوائد الكبرى على الإسلام.[٩٩]

(٣): هل أنَّ إحياء عاشوراء هو إحياء للإرهاب، ولغة السَّيف؟

أولًا: إحياء محرم إنما هو لرد الناس إلى الدين - أعني بالناس هنا كل المسلمين من شيعة وسنة -، وهو هداية لغير المسلمين إلى الدين.

طولَ العام ونحن بين اقتراب وابتعاد عن الإسلام، والتربية المادية السائدة تجعل الأمَّة في كل عام - في أكثر شرائحها - أبعد عن دين الله، وتُغرق الساحة بكثير من الباطل؛ فيأتي شهر رمضان المبارك؛ ليغسل بعض الأدران، وليعطي إراءة وإنارة، وليهدي قابلًا للهداية، وينضم إليه محرم؛ ليعطي هذا العطاء الخيّر المبارك.

وكل مناسباتنا الدينية إنما هي من أجل العودة بالأمَّة إلى خط ربها سبحانه وتعالى، ومن أجل خطابٍ إلهي يتوجه لهذه الأمَّة، وللعالم كله.

٩٩- خطبة الجمعة (٥١) ٩ محرم١٤٢٣ هـ، الموافق ٢٢-٣-٢٠٠٢ م.

يقترب بهذا العالم الشقي إلى شاطئ الرحمة، والأمان، والفيض الإلهي.

محرم لهذا، ولجمع كلمة المسلمين، وهو إنما يجمع كلمة المسلمين على التقوى.

والحسينُ عليه السلام إمامُ أمَّةٍ، وليس إمامَ فرقة، وهو إمام اتحادٍ، وليس إمام شتات.

هذا محرم، فكيف يعامَل؟

وكيف تعامَل كربلاء؟

وكيف يعامَل الإمام الحسين عليه السلام بما يعامَل به الكفر الذي لا يمكن أن يستجيب إلى إيمان؟!!

الإسلام لا يحارب الكفار ابتداءً.

الإسلام يومَ أن كان يحارب الكفار، ويفرض الجهاد الابتدائي ما كان يسبق السيفُ عنده الكلمة، وكان الخطابُ خطابُ الهداية دائمًا هو الأول في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام.[١٠٠]

(٤): هناك سؤال هل أن بعض الاختلافات والنزاعات التي تحصل في هذا الموسم منشأها فقهي - إن جاز التعبير -، فمسألة التطبير، وما هو رأيكم في التعامل مع هذه المشكلة؟

الجواب: التطبير لا يرقى بحسب الفتوى عن حد الاستحباب على أحسن التقادير، وهل يستطيع أحد أن يأتي بفتوى فيها وجوب التطبير؟

وهذا الاستحباب لا يملك أحد من الفقهاء قاطبة دليلًا عليه بعنوانه الخاص - يعني بعنوان أنه تطبير - لا يوجد فقيه واحد يمكن أن يدعي أن له دليلًا على هذا الاستحباب بعنوانه الخاص، دعواه بعنوان إحياء الشعيرة، وتعظيم شعائر الله، هذا شيئ، الشيئ الآخر لو سلمنا بالاستحباب وهو على هذا المستوى هل يمكن أن يُواجه شبهة التحريم؟

١٠٠- خطبة الجمعة رقم (١٤٤) ١٣ محرم ١٤٢٥ هـ، ٥ مارس ٢٠٠٤ م.

المورد مورد الاحتياط، هناك عدد يقول بالتحريم وعدد يقول بالاستحباب.
الـذي يريد الاحتياط أن يترك التطبير لو تركت شيئًا مستحبًا، فليس علي عقوبة قطعًـا، أمّـا لو فعلت هـذا المستحب الظاهـري، وكان في الواقـع محرمًا، خالفت الواقـع، خالفت ما يرضي الله سبحانه وتعـالى واقعًا، وخالفت مصلحة الإسلام والمسلمين.

لو كان حرامًا كان معناه، أن فيه مفسدة، لا مصلحة.
الاحتياط في ترك التطبير بلا شك.
ثم يأتي عنوان ثانوي آخر، يتمثل في احتمال إحداث الفتنة، فما أجدر بالمؤمن أن يتنـازل عن مستحب ممارسته ستحدث فتنة، هـذا ملخص القول في هذا الأمر، والله المسدد للجميع.
وعلى كل تقدير إذا كان شيئ من هذا، فلا تحدثنّ فتنة، فيجب أن لا تحدث فتنة أبدًا.[١٠١]
مسألـة التطبير لا ينبغي أن تكون مثار فتنة بين المؤمنين، فبرغم أني لستُ معها، وأنصح بعدمها إلا أنه من غير الصحيح أبدًا أن يتخذها المؤمنون الرافضون لها مبرر انقسامات خطيرة أثرها السيئ يفوق ما يراد تلافيه من إيقافها.
وكذلك ليس صحيحًا أبدًا أن يتخذها الإخوة المؤمنـون ممَّن يرضونها، ضرورة دينيـة تبيح مواجهـة من يرفضهـا، أو يحرِّمها من الفقهـاء، وغيرهم من سائر المؤمنين.
فالمؤمنـون من مؤيدٍ ومعارضٍ يتحملون مسؤوليـة محتَّمة في الحفاظ على الأُخوَّة الإيمانية، وعدم التسبب لتصدُّع الصف، وبعثرة الوجود.[١٠٢]

١٠١- كلمة لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)، ألقيت في منطقة رأس رمان ١٤٢٢هـ.
١٠٢- خطبة الجمعة (١٠٠) ٢٦ ذي الحجة ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م.

(٥): ذكرتم أن هناك مَن يتخذ من هذا الموسم، موسمًا للقبيلة، أو موسمًا للمنطقة، أو موسمًا للحزب، وهذا الواقع موجود ولربما لا أبالغ عندما أقول: إنَّه لا تخلو منه منطقة، فالبعض يتساءل إذا كان هناك من يريد أن يتخذ هذا موسمًا لشخصيته، لتعزيز شخصيته، أو موسمًا لتعزيز حزبه، وهناك أبناء المنطقة يريدون التعامل مع هذا الشخص، أو مع هذه الفئة تعاملًا عمليًا، فكيف يعيدون هذا الموسم، ويستفيدون منه كما تفضلتم به من توجيهات. فما هي المواقف العملية؟

الجواب: أرى: تختلف الظروف والموارد، وعلى كل تقادير يجب أن يوازن بين ما هو مهم وما هو أهم، ويُرجع في ذلك في التشخيص في هذه الموازنة لأهل الاختصاص، في كل مورد على حياده، كل مورد لوحده تجري له الموازنة.

هناك بعض الأخطاء لكنّ تصحيح هذا الخطأ قد يؤدي إلى خطأٍ أكبر.

هناك خطر ولكن دفع هذا الخطر قد يؤدي إلى خطر أكبر.

هناك منكر ولكن دفع هذا المنكر قد يؤدي إلى منكر أكبر.

هنا ماذا؟

يحرم عليّ أن أدفع المنكر بالدفع الذي يؤدي إلى منكر أكبر، والموازنة بين المنكرات وبين المهم والأهم يحتاج إلى اختصاص.

(٦): هناك بعض الممارسات الخاطئة من بينها مثلًا: إطلاق أصوات الميكروفونات في خارج المحيط الذي فيه المأتم، ما هو توجيهكم لهؤلاء الذين يعملون هذا العمل؟

الجواب: نحن نحتاج إلى استعمال مكبرات الصوت في محرم، وعلينا أن نقدر الضرورات بقدرها.

نحن محتاجون لاستعمال مكبرات الصوت في محرم، ولكن علينا أن لا نستعملها

في خارج الحاجة، لوجود أحكام شرعية في المقام تمنع من هذا، تمنع من استعمال مكبرات الصوت خارج الحاجة لما يحدث من مضار، ومن تعطيل أعمال وإزعاج مرضى، وما إلى ذلك، فعلينا أن نقدر الضرورات بقدرها.

(٧): هل لديكم شعار لموسم عاشوراء في هذا العام؟، وما هو البرنامج الذي يجب أن نسير عليه حتى نحقق شيئًا من بعض الأهداف التي من أجلها نحيي هذه الذكرى؟

الجواب: أنا لي شعار دائم لكل عاشوراء، ولكل موسم وهو كل شيئ الإسلام، كل شيئ من أجل الإسلام، وطبعًا برنامج شهر محرم مفتوح، وعلى الحسينيات والمواكب، ويطلب من المؤمنين (جزاهم الله خير الجزاء)، ومن عقل الشباب النيّر، ومن خبرة الكبار (أيدهم الله) العمل على دفع مستوى الممارسة العزائية إلى الأمام.

طبعًا نحن مسؤولون جدًّا أن نطور من أنفسنا، وشخصيًّا أفرح كثيرًا لعدد من الخطباء، ويوجد في بحريننا هذه على صغر حجمها، وضيق مساحتها، وقلة عددها نماذج شبابية تبشّر بخير جدًّا على خط الخطابة، ولكنها تفتقد الرعاية المطلوبة، ونحن دائمًا نشكو من ضعف بعض الخطباء، ولكن علينا أن نفكر كيف نوجد الكلية والمعهد الذي يخرج مبلّغين وخطباء أكثر كفاءة؟، وكخطوة عملية؛ لتطوير أساسي في مستوى الخطيب.

(٨): هناك مَن يقول: بعض الأمور لا يمكن أن تصحح إلا بتدخل مباشر للعلماء، لأنها إذا تركت للمتخاصمين، فإنّ هذا الخصام سيتزايد، وهو يتساءل: لماذا لا يتدخل العلماء في فكّ هذه الخصومات؟

الجـواب: أقـول كلمة قاسية: العلمـاء بعد لم يعرفوا وزنهـم، والمجتمع لا يريد أن يعرف للعلماء وزنهم.

العلماء أمامهم ظروف - طبعًا - صعبة، ومعادلات مانعة، وليست خارجية دائمًا، معادلات داخليـة وخارجية يمكن أن تمنعهم مـن أن يحققوا خطوات إصلاحية، لا يريـدون بها علـوًّا في الأرض، ولا فسادًا، وإنما يريـدون صلاحًا وإصلاحًا، ولا يريـدون فرقـة في هذا المجتمـع ولا اضطرابًا، عندهم صعوباتهـم ولكن أيضًا لا بـد أن يحمّلوا أنفسهم شيئًا مـن التقصير، المجتمع أيضًا يـرى العلماء مرجعية فيمـا يشتهي أن يجارى فيه، وإذا جاء رأي العلماء على خلاف ما يشتهي سقطت مرجعية العلماء عنده، وهذا واضح، وأرجو أن نصحح هذه الأمور كثيرًا.

(٩): العالم الإسلامي يمر بظرفين هذا العام الخاص يختلف عن الظروف التي مرت عليه في عصره الحاضر - القديم، فقضية فلسطين، وقضية ما يسمى بالحملة على الإرهاب العالم الإسلامي يمر بظرف هذا العام خاص، يختلف عن ظروف التي مرت عليه في عصره الحاضر - القديم، قضية فلسطين، وقضية ما يسمى الحملة على الإرهاب من جانب عدة دول تقودها أمريكا، وهناك الكثير ممَّا يعني المسلمين، فأين تكون هذه القضايا في موسم هذا العام؟

الجواب: من يغصّ بعظم يحاول أن يخرجه، ومن حرقته الجراح في داخلة مقهور على أن يعبّر عنها ولو التعبير يجب أن يكون حكيمًا وسديدًا.

(١٠): ما رأيكم سماحة الشيخ بالخطباء الذي يلتزمون ذكر السيرة فقط دون غيرها...؟

الجواب: (عمومًا) الإمام الحسين عليه السلام - أكرِّر - لم يستشهد؛ من أجل أن يكون قصة، وإنما من أجل أن يكون واقعًا حيًّا في الناس، السيرة تطرح وتربط بالواقع،

والسيرة التي تطرح وتبين معالمها وإيحاءاتها وما تقتضيه في مقام، لا تقدم سيرة محنطة.

يمكن لي أن أقدم سيرة محنطة مبهمة غامضة تكتنف ألف درس من غير أن يبرز درس واحد منها، ويمكن لي أن أقدم سيرة فاعلة حيّة تحرك المشاعر، وتحيي العقول وتدفع بالواقع للأمام.

الثاني هو المطلوب، لا الأول.

(١١): ما رأيكم بما تقوم به لجنة المواكب الحسينية في تنظيم مواقع للنساء على الطرقات؛ لمشاهدة المواكب الحسينية، وفصلها عن مواقع الرجال؟

الجواب: أقل ما ينبغي يجب أن تدعم جهود هذه اللجان، والتشجيع الكافي من سائر المؤمنين جزاكم الله خيرًا.[١٠٣]

(١٢): أمامي سؤال، أو تنبيه من أحد الإخوة يثير قضية الإسراف في ما تقدمه الحسينيات المباركة من أطعمة وأشربه إلى الحد الذي يتجاوز حاجة الحضور.

الجواب: طبعًا كلنا مع تقديم الطعام، ويؤدي الطعام دورًا في تربية الجيل الجديد، وشده إلى الحسينية، إنسان تغذى بالروح الرسالية يستغني عن الطعام، لكن طفلٌ على درب التكوين الرسالي، يحتاج إلى وسيلة الطعام، على أنه في حالات واضحٌة جدًّا أن اجتماع الناس، وانشغالهم في اليوم التاسع والعاشر من الصباح إلى الصباح شبه ٢٤ ساعة هم مشتغلون بخدمة أبي عبد الله (صلوات الله وسلامه عليه) في سبيل الله سبحانه وتعالى، وعليه لا يسعهم إعداد الطعام في المنازل، فالطبخ ضروري وله دوره المبارك، فقد ربَّى خلقًا كثيرًا، وأعطى أجيالًا

١٠٣- كلمة لسماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)، ألقيت في منطقة رأس رمان ١٤٢٢ هـ.

من أجيال الرسالة، وربط أناسًا كثيرين بالحسين منذ نعومة الأظفار.
قضيـة الإسـراف مرة يطبخ الطبخ الكثـير؛ من أجل المباهـاة - وأعوذ بالله من ذلك -، وهذا إن شاء الله لا يكون، لكن التقدير الدقيق لمجموعة لا يعلم تكثر، أو تقـل أمر ليس بالسهل، فيتوخى التقدير الدقيق ما امكن وإن كانت العملية صعبة الضبط.

(١٣): سماحة الشيخ، الملاحظ أن مواكبنا في الوقت الحالي قليلًا ما تحمل الطابع الروحي، كيف يمكننا خلق حالة روحية في المواكب الحسينية تسمو بموكبنا العزائي تماشيًا مع الأهداف الحسينية؟
الجـواب: لا شـك أن قيمـة الموكـب في مستوى التسامـي، وفي نوعيـة المشاركين، وقارهم، جديتهم نوع الطرح، مادة الطرح، نوع الأداء، ونوع الأداء في ميل الكثير ينبغـي أن يحمـل طابـع الرجولـة، وطابع الانضبـاط الفقهي، من غـير محاولة للتفتيش هنا أو هناك عـن فتوى شاذه بين الفقهاء، مثلًا فتـوى المقدَّس (رحمه الله)، الفيض الكاشاني.

علـى كل حال كلما استطعنا أن يأتـي الأداء متمشيًا مع روح الشريعة ومع أهداف الشريعة لزمنا ذلك ، ولا عذر في التساهل في هذا الأمر.
وينبغـي أن نسعى للتطوير بلا أدنى إشـكال، ونستفيد بأقصى درجة ممكنة؛ من أجـل التطوير من سماح الحكم الشرعي، من غـير أن نبرر لأنفسنا للخروج على الحكم الشرعـي، وجزى الله الإخوة المشتغلين بهذا خير الجـزاء، وليعلموا أنهم إما أن يكونوا قادة للناس إلى الجنة أو قادة الناس إلى النار، وإما أن يكونوا ركنًا لحركـة الوعـي الإسلامي، والـروح الإسلامية والشخصيـة الإسلامية والكرامة الإسلامية، وإما أن يكونوا عكس ذلك، ينتجون جزاهم الله خير الجزاء، ويتعبون

إن شاء الله لأجل الله.

الخوف كل الخوف أن يتجاوز المكلف حدود الخطاب المولوي الإلهي.

المقطوعة العزائية في مادتها يا أخي، دائمًا ينبغي أن تكون مشبعة بالفهم الإسلامي النقي، ودائما يكون تحركها على خط الإسلام، والبيت الجميل من الشعر الجذاب جدًّا أستغني عنه بكل شجاعة، أرمي به إذا كان فيه منفذ لالتواء في المفهوم الإسلامي.

نحن نصنع جيلًا، نصنع أمَّة، نصنع قوافل تنتظر قدوم الإمام القائم (عَجَّل الله فَرَجَه، وسهل مخرجه)، الإمام القائم يريد أناسًا يفهمونه، يفهمون اطروحته، يفهون أهدافه، يريد منك أنت الشاعر، ذاك الخطيب، ذاك المحاضر، جيلًا لا ينكر عليه معروفه، لا ينكر أمره بالمعروف، التزامه بالخط الإسلامي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله.

نعم نحن نصنع مستوى الموكب من خلال الطرح الملتزم، الأداء الملتزم، من خلال الترتيب، ضبط الموكب، وقاره، بعده عن المزاح والضحك ما إلى ذلك.

أنت في الموكب عليك أن تتصور نفسك في كربلاء، وأن تحمل في داخلك روح الإمام الحسين عليه السلام.

في مثل هذه المواقف هل الإمام الحسين عليه السلام وحاشاه؟

هل من أنصار الإمام الحسين عليه السلام مَنْ تستخفه الأمور، فيضحك ضحكة عابثة؟؟؟

إذا كان برير، أو صاحبه ابتسم، أو داعب أخاه المؤمن المجاهد بكلمة مؤدَّبة فإنما ليبرهن على نشوته الروحية، وعلى أن الظرف الصعب المزلزل، لا يمثل أمام روحة الإيمانية العالية شيئًا.

مسؤولـون نحن كلنـا أن نصنع موكبًا من لـون جديد، نقدم من خلالـه أنفسنا، ورسالتنا وخطنا للعالم، فلننظر كيف نصنع؟

(١٤): معظم شبابنا اليوم يتهافتون على المشاركة في الموكب الحسيني، ويتركون المآتم خالية منهم، والاستفادة بما هو ضروري جدًّا، فما رأيكم في ذلك؟

وبماذا تنصحون الشباب؟

الجـواب: نحن كلنا نعرف أن الإنسان المسلم وعـي وعاطفة، لا عاطفة بلا وعي، ولا وعـي بلا عاطفة، فمن الموكب نستمد العاطفة، ومن الخطيب نستمد العاطفة أيضًا، وبالإضافة إلى ما يقدمه الموكب من عاطفة، والخطيب من عاطفة لا بد أن يقدم الخطيب والموكب وعيًا.

الموكب يجب أن يكون مدرسة وعي، ومنبع عاطفة كريمة، والخطيب يجب أن يكون مدرسة وعى وعاطفة كريمة والعنصران عنصران متكاملان في خلق الشخصية التي يتوق إليها الإمام الحسين عليه السلام.

مـا يسع الخطيب من الطـرح التفصيلي، وبلورة الفكـرة، وتقديم البرهان عليها لا يسـع الموكب، وظيفـة الموكب تقتضي منـه شيئًا آخر يقدم وعيًـا ولكن بصورة إجماليـة في الغالـب، غـير مبرهنة، غير مفصلـة، ليست في الصـورة الدراسية للفكـرة، الصورة التقريرية يعني الموكب يهتم بتقديم فكرة جاهزة، أما الخطيب فيقـدم هذه الفكرة كفكرة مدروسة؛ ليصل مـن خلال دراستها إلى زرع القناعة في نفس السامع، فيبقى دور الخطيب محل الحاجة الشديدة، ونحن ككل الشعوب الواعية والراقية ينبغي أن نصبر على سماع المحاضرة، وخطبة الخطيب للساعة والساعتين.

(١٥): بالنسبة إلى بناء الكوادر، كيف نوصل المرأة إلى مستوى خطيب أكاديمي خاصة بعد فترة التغريب الطويل الذي مرَّت به هذه الأمَّة؟، علمًا بأن المستويات الحالية غالبًا ما تكون قائمة على جهد ذاتي غير موجه، كيف يمكن صياغة هذا الكادر؟؟

الجواب: الرجل والمرأة معًا سعيًا حثيثًا لتطوير نفسيهما.

من جهة عملية التطوير، مرة يقوم كما تفضل صاحب السؤال على الجهد الذاتي، ومرة تقوم مع ذلك على جهد وترتيب وتنسيق اجتماعي، والمجتمع مسؤول كل المسؤولية عن إيجاد المعاهد المختلفة، ومنها المعاهد التبليغية التي من وظيفتها أن تخرج الخطيب الناجح ذَكرًا كان أم أنثى، رجلًا كان أم امرأةً، فمطلوب من مجتمعنا أن يشدد على هذا الخط خط المعاهد العلمية المتخصصه حركة ونشاطًا في ظل القانون، وأن يتكفل المجتمع بتخريج الجيل القادر على حمل الكلمة، إيصال الكلمة، حفظ أمانة الكلمة، الوفاء لقيمة الكلمة الإيمانية، والارتفاع بمستوى الذات وفي مختلف ابعادها إلى مستوى تلك الكلمة.

(١٦): سماحة الشيخ الجليل، كما تفضلتم أن الأمن والسلام هو أساس الرسالات السماوية، وطلب الهداية للغير هو أساس التغيير، ولكن إذا هدد وجود أناس بكيانهم وفي شعائرهم، فهل يكون حل المواجهة هو الأسلوب الأخير لتغيير الوضع؟

الجواب: أرجو أن تودِّع الأمَّة الإسلامية بكاملها التفكير في المواجهات الداخلية أي في داخل أوطانها، وأن تستغني بدرجة من الرشد، ودرجة من الحكمة، ومن تقدير المصلحة من الطرفين: الدول الإسلامية، والشعوب الإسلامية عن التفكير في مثل هذا الطرح.

(١٧): ما الهدف الذي ينبغي أن يصل إليه الشاب المسلم من خلال عاشوراء الحسين؟

الجواب: هناك وظيفتان للإنسان المسلم: وظيفة صنع ذاته، وصنع مجتمعه، أن يصنع ذاته إسلاميًّا، وأن يصنع مجتمعه إسلاميًّا، والأول قبل الآخر.

وأضيف هنا أنه عندما أقول: إن الأول قبل الآخر ليس بمعنى وجود ترتب زماني بين أن أصنع نفسي، وأن أشارك في صنع المجتمع.

صناعة نفسي لا تتوقف طول حياتي.

عليّ أن أصنع نفسي طول حياتي، وألاحظ في النواقص، والأخطاء، والانتكاسات، وألاحقها بالتصحيح والتقويم، إذا جعلنا وجود ترتب زماني، وقلنا: ابنِ نفسك، ثم ابدأ مشاركتك في بناء غيرك، هذا الطرح ليس بموضوعي، ولا عملي، معنى هذا أن أصل إلى القبر، ولم أتحدث بكلمة مصلحة.

عندما نقول: الأول قبل الثاني، صناعة الذات قبل صناعة المجتمع صحيح على مستوى الترتب الرتبي، يعني علّة صناعتي للمجتمع، في صناعة نفسي.

كلما صنعت نفسي بعض الصنع، فعلى أن أنقل هذا الصنع الإيجابي للآخرين، ولم أستطيع أن أصنع الآخرين صالحين، وأنا أعاني في داخلي الفساد من الناحية نفسها.

(١٨): ماهي العزة التي نادى بها الحسين عليه السلام للإنسان؟

الجواب: هي عزّة الإيمان، وعزّة الإيمان مرتبطة بعزة الإنسانية .

أليس الإنسان يشعر قبل أن يتدين بدين إذا لم تمس فطرته بالتلويث، ولم يمسخ، ولم تمسه يد تربية منحرفة ولا قويمة بمستوى غير مستوى الحمار؟

يشعر أن له مستوى فوق مستوى الحمار وفوق مستوى الحشرات، يشعر أن الحمار حاجاته في أكله وشربه.

الضـرب يتألم منـه بدنيًّا فقط، حسًّا جسديًّا، لكن لا تهان كرامته، لا يوجد عنده شعور بالذاتية يخدش عندما يضرب، يشعر بألم الروح الحيوانية فقط، أما نحن فلدينا روحان، مرتبتان من الروح عندنا: مرتبة من الروح يشاركنا بها الحيوان، نضرب، فنتألم حسيًّا كما يتألم الحيوان.

ولكـن أحيانًـا قد لا تضربني، بل قد تقـدم لي هدية، ولكـن تخدشني كثيرًا ، في أثنـاء تقديمك للهدية أحيانا تريد سحق كرامتـي أمام الآخرين، تريد أن تريهم أني محتاج، وهنا يحدث نوع من الشعور الذي يخدش الكرامة، وهو شعور يتجاوز الإحساس البدني، وأن يستجيب لغير أمره ونهيه.

وهـذا قبل الدين، أما عند ما يجيئ الدين، ويرى الإنسان نفسه وقابليته، وهدفه الكبـير، ووظيفته المتمثلـة في الخلافة عن الله في الأرض، فإن ذات الإنسان تكبر في نظـره، ويتعمق ويشتـد شعوره بالكرامة، وتأبى نظرته هـذه أن يذل لغير الله، وأن يستجيب لغير أمره ونهيه، وفي ظل هذه النظرة من وحي الدين لا يرى المؤمن لنفسه ثمنًا دون مرضاة ربه العظيم.

الشعوب الإسلامية عندها قدر كبير من الشعور بالعزة.
ولا نقـول: إنـه غير موجـود في الشعوب الأخـرى بدرجة وأخرى، ولكـن الإسلام يتربـى هذا الشعـور في أحضانه، وأجوائه بما لا يكون في أجواء الكفر التي تنحط بمستـوى الإنسـان، وتجعله لا يرى في الكثير من كيانه إلا لـذات بدنه، وقد تنظمُّ إلى ذلـك عصبيـة الحيوان الهائج المفترس، لا النظـرة الأصيلة إلى قيمة الذات ووزنها الإنساني الكبير.

(١٩): بالنسبة لموكب العزاء هناك ملاحظات عدة: تأخره إلى وقت يزاحم صلاة الصبح من جهة، ومن جهة أخرى وجود طابورين طويلين من النساء والشبان الذين تكون أغراضهما أحيانًا كما يرى الرائي غير نزيهة؟

الجواب: طبعًا واضح من ناحية شرعية أنه يجب أن نتوفر على التنسيق بين تسيير المواكب، والحفاظ على متانتها وبين الفريضة، والموكب من أجل تأكيد الفريضة والارتباط بها، فالفريضة دائمًا مقدمة على الموكب، فيراعى هذا عند المؤمنين إن شاء الله.

تبقى المسألة الأخلاقية وهي مهمة جدًّا، ففي المنامة - مثلاً - توجد لجنة أخلاقية في السنوات السابقة؛ لرعاية الأدب الإسلامي، والمحافظة على أجواء العفة والنزاهة في الموكب العزائي، وهذا ما يجب أن يستمر، ويتسع إطاره؛ ليشمل كل المواكب في كل أمكنتها، وينبغي التعاون مع مثل هذه الهيئات الأخلاقية مع مراعاة الناحية الأمنية.

(٢٠): بالنسبة إلى الخطيب المعاصر هناك مؤهلات ينبغي أن تتواجد فيه، ما هي هذه المؤهلات من وجهة نظركم، أو مَن هو الخطيب النموذجي كما ترون؟

الجواب: على كل حال الوصف لا يغني، ولا بد من معاهد تتكفل تخريج هذا النمط من الخطباء، وبشكل مختصر جدًّا: الخطيب يجب أن يرقى إلى مستوى فهم الفكرة الإسلامية التي يجب أن يطرحها.

ما لم يتوفر على فهم دقيق للفكرة الإسلامية، للمفهوم الإسلامي، للتوجيه الإسلامي الذي يطرحه لا ينبغي أن يدخل فيه، لأنه هنا سيشوه الحقيقة.

شخصية الخطيب نفسها ما لم تكن تحمل ملامح الشخصية الإسلامية، فمجرد حمل الأفكار وأدائها لا يكفي.

الثلمة في هذه الشخصية إذا كانت ثلمة واضحة من ناحية إسلامية، فلا تجعلها تؤدي المطلوب، وإذا كانت بهذا المستوى، فلا ينبغي لصاحبها أن يقبل في صفوف الخطباء.

ومن الضروري جدًّا لمسؤولي الحسينيات وهم يبحثون عن المستوى الفكري للخطيب، ومستوى طرحه، وحسن صوته، وما إلى ذلك أن يضعوا في حسابهم - وبصورة ضروريَّة جدًّا جدًّا - التزام الخطيب، وأن يكون خطيبًا يفهم رسالة الحسين عليه السلام، ويخلص لها، وتظهر عليه انعكاساتها.[١٠٤]

(٢١): عاشوراء والشأن السياسي، ورفع بعض الصور والأعلام.

١- عاشوراء موسم ديني عام ضارب الجذور في تاريخ هذا الوطن، وهو قائم مع وجود معارضة سياسية وعدم وجودها، كانت الدولة في صلح مع جاراتها أو في غير صلح، ولا كلام أكثر من ذلك حول موسم عاشوراء في أصله.

٢- إنه يمثل حالة شعبية شاملة لكل الأطياف والألوان، ولا تخضع في مؤداها وأهدافها إلى توجه سياسي ظرفي، وهي منشدَّة إلى الهدف السياسي العام الكلي الذي كانت من أجله ثورة الإمام الحسين عليه السلام بما هو واحد من أهدافٍ نبيلة كريمة تشكل حالة الإصلاح التي استهدفتها حركته (سلام الله عليه).

وبهذا لا يمكن أن نفرّغ عاشوراء من المحتوى السياسي كليًّا، ولا يصح أن نخنقها في إطار ظروف سياسيَّة محدودة، ووقائع وأحداث معينة ونربط مصيرها بتلك الأحداث والوقائع.

على أن الطابع الشعبي العام للحالة يجعل من الصعب أن يجعل أداءها، ودقائق ممارساتها متوافقة مع ذوق، أو تخطيط هذا الطرف، أو ذاك الطرف.

٣- السياسة في كل البلدان لها حساسيتها الخاصة والتي قد تبلغ حدَّ الإفراط

١٠٤- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) حول عاشوراء، في ليلة السبت ٢٤/٣/ ٢٠٠١م - الدراز.

المزعـج أحيانًا، ولا بد مـن مراعاة هذه الحساسية ولكن بالمقـدار الذي لا يهدم الفهم والحس الديني ولا يخنقه، ولا يلغي أحكام الشريعة.

ولا يصـح أن نفرض على الديـن أن يعيش حالة التجزئـة الجغرافية والسياسية التي تفرض نفسها على واقع الأمَّة.
فعلينـا ألا نقسّم الأمَّـة في وجودها ووعيها وهمها وفرحهـا وحزنها الديني بقدر أوطاننـا الجغرافيـة والسياسيـة، وأن نعيش مـن الناحية الدينيـة البعثرة التي نعيشها في البعد السياسي نفسه.

ومـن جهة ما يقـال من رفع أعلام حـزب الله في بعض المواكـب، فإنه إذا حدث فهـو فيما يقدّر - جدًّا - لغةٌ تخاطـب إسرائيل لا هذا الوطن، وإذا كان هذا يثير شكـوكًا محليّة ضـارة، فأنا أستبعد - جدًّا - أن سماحـة السيد نصر الله وغيره يسره ذلك، بل إني لأقطع بعدمه.
وليـس من عالم ولا مرجعية دينية من مرجعياتنـا المعتمدة يُغذّي شعوره أن ترفع صورته، فضلًا عن أن يكون رفعها سيتخذ منه ذريعة لدعاوى عريضة.[١٠٥]

١٠٥- خطبة الجمعة (١٩٠) ٣٠ محرم الحرام ١٤٢٦هـ، ١١ مارس ٢٠٠٥ م.

الخاتمة

ما بعد موسم عاشوراء

كيف دخلنا موسم عاشوراء؟

دخلنـا عَشَرَةَ عاشور، ونحن نُحبّ الحسـين عليه السلام شيئًا من حُبٍّ، ولا أقول الحبَّ كلّه احترامًـا لحبّ الحسين عليه السلام، ولتخلّفنا الكثير عملًا عن هذا الحب، ونؤمن بإمامتـه بدرجة وأخـرى ولا أقول الإيمـان كلَّه لإخلال حياتنـا الكبير بمتطلبات هـذا الإيمـان ومقتضاه، ونراه قدوةً تأخذ بالألبـاب، وقلوبنا معه، ولنا حزن على مصابه، وفزع لواعيته؛ واعية الإسلام.

أمـا حياتنـا فكانت معه حينًـا ومفارقةً له حينًـا، وأيدينا معه حينًـا وعليه حينًا، ومواقفنا وعلاقاتنا وكلماتنا مُسايرةً له حينًا، ومنابذة له حينًا - نفعل هذا؟ نعم، نفعل هذا -، وتضحياتنا من أجله حينًا، ومن أجل أعدائه أو هوانا حينًا.

* كيف دخل مَن كان قبلنا؟

وقـد دخلت أمّـةٌ واسعة كربلاءَ الأصلَ وهي تُحبُّ الحسـين عليه السلام شيئًا من حبٍّ، وتؤمـن بإمامته كما نؤمن بهـا، وتراه قدوةً كما نراه، وقلوبها معه، وكان لها حُزْنٌ على مصابه، وفزع لواعيته، ولكنّ:

- منها مَن اشترك فعلًا في دمه ودم أنصاره، وترويع حُرَمِه، وسلب نسائه، ومنهم من خَذَلَه، ووقف موقف المتفرّج من قتله.

- ومنهـم من طَلَب الهروب، والاعتزال؛ لئلّا يشترك في جريمة الحرب عليه دون أن ينصره.

- ومنهم مَن تردَّد في الأمر حتّى غَلَبَته شقوته.

فمـا نَفَـعَ ذلـك الشيئ من الحـبِّ والإيمان والرؤيـة الكثيرين ممَّـن كانوا عليه، ويتباهون به.

لقـد كان الإيمـان منقوصًا، والحـبُّ مُزاحَمًا بحـبّ الدُّنيا، والسلـوكُ العمليُّ في مساحة كبيرة منه ليس على طريقه، والإرادةُ أمام رغبة الدُّنيا ورهبتها مهزوزةً، مهزومـةً، ساقطـة، وبذلك وَصَلَ الأمر أن تكون القلـوبُ معه، والأيدي عليه، أو لا تنصرُه (فلنحذر من هذا المصير).

وما دام إيماننا سحطيًّا، وحبُّنا لله وللدّين، وللحسين عليه السلام مُزاحَمًا بحبّ الدُّنيا، وسلوكنـا في مساحة كبيرة منه لا يلتقي وخطَّ هذا الحبّ - كم من يومياتي تلتقي مع خطّ الحسين عليه السلام، وكم منها يفارق هذا الخط؟، وكم من سلوكياتي اليومية مـا يعـدُّ نصرةً للإمـام الحسين عليه السلام وما يعـدّ حربًا على خطّـه ومدرسته؟ -، وإرادتنـا مهزومة أمـام الدنيا في رَغَبِهـا ورَهَبِها، وولاءاتنـا وعلاقاتنا كثيرًا ما تتحرّك خارج دائرة الإيمان، فلن نضمنَ أنْ لو جدّ الجدّ، وصعُب الحال، وتقابلت الدّنيـا والآخرة في موقف حاسـم، وتحتّمت خسارة إحداهمـا في معركة فاصلة، وتَقَاتَلَ الحسينُ عليه السلام، ويزيد الحقّ والباطل أن ننصر الحسين عليه السلام - لا نضمـن هـذا، وحالنا هـذه -، أو لا تكونَ أيدينـا عليه وإن كانـت قلوبنا معه، ولا نخذلَه، ولا نظهر الشماتة به وإن كنا نكرهها.

* لا مبالغة

قـد يَعُـدُّ البعضُ هذا مبالغةً في القـول بعيدةً عن الواقع، ولكنّـي أطرح هنا مثالًا وهـو أقلُّ بكثير في ما يكلِّفه موقف الالتزام فيـه بالحقّ مما تكلِّفه حربُ السيوف يخوضها الحسين عليه السلام مكثورًا من الأعداء، قليلَ الناصر، تحيط به المنيّة وبمَن معه من كلّ مكان.

وبهذا المثل الصّغير في كلفته، العظيم جدًّا في ما يلحقه بالإسلام من قوة أو ضعف، وعزّ أو ذلّ، وظهور أو ضمور نستطيع أن نقيس مواقف جماعات كثيرة، وقبائل كثيرة، ومناطق كثيرة، وأفرادًا كثيرين منا نحن الذين نقول بأننا نؤمن بالإسلام، ونُحبُّ الحسين عليه السلام ونواليه من مواجهة دموية حاسمة بين حياة راغدة نتوقّعها مع يزيد، وشهادة محتّمة تحت راية الحسين عليه السلام مع عقوبات قاسية تلاحقنا إذا انهزم الحسين عليه السلام عسكريًّا وقُتِل (معركة بهذا الواقع).

المثال هو:

أن لو عاشت الأمَّة اليوم تجربة انتخابية لإمام عامٍّ لها، وخاض التجربة مرشحان أحدهما يرضاه الحسين عليه السلام، وآخر يرفضه، وكانت للثّاني دعايته الواسعة، وإعلامه العريض، وميزانيّته الضّخمة، وعلاقاته المؤثّرة، وارتباطاته القوميّة والقبليّة والجغرافيّة المتينة، وصلاته الوثيقة بمراكز القوى المختلفة، وذلك على عكس ما عليه الأول، فكم هم الذين سَيَسْقط وعيُهم أمام قوة الإعلام، وتنهزم نفسيتهم أمام سلطان المال، ويُهيمن عليهم خيار القبيلة، والقوم، والمنطقة، ويردُعهم عن متابعة ضميرهم في اختيار الأصلح خوف تأثُّر المصالح، وغضبةُ قوى الشّر، وسيُشاركون في هزيمة الإسلام، وضربته ضربةً قاضية؟

يظهر أنّهم ليسوا قليلين كما تدلّ عليه بعضُ التّجارب الحيّة في عددٍ من المساحات الإسلاميّة، أمَّا لو كانت اليوم معركةٌ كمعركة الحسين عليه السلام ويزيد في فصولها الأخيرة، الحسين عليه السلام ومن معه فيها - أي في المعركة - مقتولون كما كانت تُشير إليه كلّ الدلائل - أنا أقف في معركة هذا واقعها -؛ ويزيد منتصر، ومن بقي من النّاس بعد ذلك شيعة للحسين عليه السلام خائفون محرومون مهانون مطاردون مشرّدون مقتولون، وشيعةٌ ليزيد آمنون مقرّبون مكرّمون يُزاد في عطائهم، فإنَّ النّاصر للحسين عليه السلام لن يكون الكثير، وأن أنصار يزيد لن يتصفوا في هذا

الحال بالقلّة (علينا أن نربّي أنفسنا أكثر مما عليه نحن الآن من تربية لها؛ لنصمد).

نعم إذا كبُر توقع انتصار الحسين عليه السلام، وأن تصير الدنيا بيده، فسيكثر ناصروه.

* بأيّ حصيلة خرجنا من عاشوراء؟

ما يُقدّمه موسم عاشوراء كثير، أذكر بعضها:

١- يخرُج المؤمنون بانشدادٍ عاطفيٍّ أكبر للحسين عليه السلام.

٢- موسمٌ يعزّ به الدِّين، ويظهر أمره، وتفشو كلمته.

٣- يرفع من مستوى الحماس للدِّين، والغَيرة من أجله.

٤- يُقدّم فكرًا دينيًّا ووعيًا عامًّا، وبصيرة ميدانية.

٥- يُعزِّز الثِّقة بالإسلام، وقدرته على الإنقاذ، وصدقه، وإخلاصه.

٦- يُصحِّح من مستوى الإرادة وتوجُّهها.

٧- يشدُّ الجيل الناشئ بإسلامه، ويؤكد ارتباطه الفكري والنفسي به.

٨- يُثير الشّوق العمليّ للعدل، والكراهية للظلم.

٩- يُعطي حضورًا عمليًّا واسعًا مشهودًا للدِّين في الساحة الاجتماعية العامة.

١٠- يُعطي هذا والكثير غيره من الخير.

ومع ذلك علينا أن نسأل أنفسنا بعد كلِّ موسم من مواسم عاشوراء:

هل وصلت حصيلتنا من هذا الموسم أن نقف مع خيار الحسين عليه السلام في كلِّ خياراتنا (فلنمتحن أنفسنا في خياراتنا اليومية المتعددة)؟

وعلاقاتنا؟

وفِيمَ نقرأ.

ونسمع؟

ونكتب؟

ونتكلّم؟

ونفعل؟

ونصادق، ونعادي؟

ونكسب، وننشط؟

ونُقيم، ونسافر؟

وندرس؟

ونعاشر؟

ونأكل، ونلبس؟

وهل نصرتنا في كل ذلك للدِّين أو لغيره، للحسين عليه السلام، أو عدوّه؟

فإنّ كل مخالفة لدين الله فيما نأتيه، أو ندعه نصرة لغير الدِّين عليه، ولعدو الحسين على الحسين عليه السلام.

كم ننصر أعداء الدّين على الدّين حينما نلبس لباسًا يفسد أمر الدّين؟، وحينما نقيم حفلات تفسد أمر الدين؟، حينما نعمل نخطو ولو خطوة صغيرة لإشاعة الفاحشة؟، حالة التحلّل، كم وكم؟!

وكل موافقة للدِّين هي نصرة للدين والحسين عليه السلام.

* حدِّد موقعك

وهذه المعركة اليومية ومدى النّجاح والفشل فيها هي التي تقف بنا مع الحسين عليه السلام ولو احتوشته السِّهام، وكان القدر المحتّم له الشهادة، أو تقف بنا مع عدوّه نشاركه قتله وسلبه وسبيَ حريمه، ولا أقلّ من أن نمنعه النصر، ونخذُله، وننكر حقّه العظيم.

طبعا الشخصية لا تستوي في يوم واحد، ولولا جذور في نفس الحرّ الرياحي،

ومواقـف التزام، ودرجة وعي، ومكافحة للنفس لمـا انقلب في لحظة ﴿... إِنَّ اللَّه عَلَـى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:٢٠)، ولكن طبيعـة النفوس أنها لا تتحوّل التحول الجذري من غير خلفيَّة وسَبَب.

* تقييم لما خرجنا به

أجِدُنا لم نبلغ الكثير في هذه المعركة الضّارية الطاحنة، وأنَّ علينا أن نبذل جهودًا مضنية؛ لنبلغ شيئًا مجزيًا فيها.[١٠٦]

١٠٦- خطبة الجمعة (٤٣٤) ١٧ محرم الحرام ١٤٣١هـ، ٢٣ ديسمبر ٢٠١٠ م.

مسك الختام

كيف يمكننا التخلص من العبودية للدنيا؟

كيف نستطيع التَّحرر، التمرد على هذه الآلهة الكاذبة في أنفسنا؛ آلهة الدنيا؟

يقول عليه السلام كما روي عنه: «الناس عبيد الدنيا، والدين لُعَق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديانون»[١٠٧].

وُجدْنا قابلين لأن نكبر وأن نصغر، لأن ننتصر ولأن ننهزم، لأن نتقدم أو أن نتأخر، لأن نتفوق على الملائكة، أو نسقط عن منزلة الحيوان، في ظل تربية الإمام الحسين عليه السلام تكبر الإنسانية وتتعملق، ويكون الإنسان سيد الدنيا، وفي ظل تربية يزيد يسقط الإنسان، يضعف، يصغر، يكون عبد الدنيا، التوحيد يجعلك أقوى من كلّ شيئ، الخط الآخر يجعلك رخيصًا في نفسك، تنظر إليها ساقطة رخيصة، تشتريها السيارة، يشتريها البيت، يشتريها المنصب، تشتريها الأشياء الصغيرة، اللعب الطفولية المكبّرة.

يوم أن تسود تربية الشرك، التربية المادية، الأرضية تحوّلنا إلى أطفال في أجسام كبار، ونكون كبارًا - أيضا - في تفكيرنا الرياضي والفلسفي، ولكننا نكون صغارًا في حكمتنا، نكون أطفالًا في خياراتنا، نكون أطفالًا في مشتهياتنا، نكون مغلوبين للأشياء كما يغلب الطفل للأشياء الصغيرة، أما في ظل التوحيد فلصبي قبل أن يبلغ يكون الكبير الأبي، يكون الإنسان العزيز، يكون النفس العالية، يكون الشخص الذي تعجز الدنيا عن أن تقدم ثمنًا لذاته.

لن تكون كبيرًا بأن تكون فيلسوفًا، ولن تكون كبيرًا بأن تكون طيارًا، ولن تكون كبيرًا بأن تكون أي اختصاص آخر متقدمًا، ولن تكون كبيرًا حين تكون بوش

١٠٧- الكتاب: بحار الأنوار، المؤلف: العلامة المجلسي، الجزء: ٤٤، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

بإمكانياته المادية الضخمة، بوش بإمكانياته الضخمة يلعب به شعوره، تغلبه نفسه، كل دنيا الحكمة، كل دنيا الهداية، كل دنيا العدل تشجب الحرب، وشعوره الاستكباري يدفعه للإصرار على الحرب، إنه مغلوب لشهوة الانتصار المادي، إنه مغلوب للشعور بالعظمة الزائفة، إنه مأسور للشعور بالقوة المادية.

تستطيعون أن تكونوا أكبر من في الدنيا موقعًا ماديًّا، موقعا عسكريًّا، موقعًا اجتماعيًّا، وأن تكونوا أكبر من كل الدنيا نفسية وفكرًا وحكمة حين يكون دربكم درب الإمام الحسين عليه السلام.

ودرب الإمام الحسين عليه السلام ليس ثورة عسكرية في يوم واحد.

درب الإمام الحسين عليه السلام ثورة على النفس، ثورة على ضعف الذات في كل لحظة، ثورة على البغي في داخل الذات، ثورة على المشتهيات الرخيصة في داخل النفس، ثورة على أي تردد في التزام طريق الحق، والدربِ الصاعد إلى الله سبحانه وتعالى.

ثورة كربلاء ثورة في يوم عاشوراء جاءت؛ لتكشف أن الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام كانوا في كل يوم ثورة، وكانوا في كل موقف ثورة، وكانوا في كل شعور ثورة، وكانوا في كل فكر ثورة.[١٠٨]

ما لم تكن الثورة الدائمة على الذات لن تستطيع أن تقف موقفا من طبيعة موقف الإمام الحسين عليه السلام.

تحرروا من الدنيا، تحرروا من شهواتها، تحرروا من وساوسها، تحرروا من الشعور بالعظمة والأنانية الكاذبة، تكونوا كبارًا حقًّا، تكونوا كبارًا وعظامًا من نوع عظمة الإمام الحسين عليه السلام.

١٠٨- ومن كان منهم في غير جبهة الحسين عليه السلام إنما شدَّه إليها في أقسى اللحظات رصيد من تربية النفس ربما شابته شبهة، أو شيئ من دخيل غريب لم يكن قد استولى على النفس وحجبها تمامًا عن النور، فالعودة للحق وتقديم الحياة؛ من أجله لا يكون عن فراغ.

«الناس عبيد الدنيا»، خلقنا قابلين أن نكون عبيد الدنيا، لأن نخسر إنسانيتنا أمامها، نخسر كبرياءنا الإيماني أمامها، وخلقنا قابلين لأن نكبر، لأن نصعد والطريق للصعود هو خط الإمام الحسين عليه السلام، خط التوحيد.

«الدين لعق على ألسنتهم»، شيئ على طرف اللسان، لم يتعمق داخل الذات، لم يتركز في أعماق الذات. الدِّين في ظل تربية معيّنة، ولأنه محل حاجة فطرية يبقى كلمة لسان، وهذه الكلمة يخسرها صاحبها، يتمرد صاحبها على مدلولها بصراحة وبصورة مكشوفة عند الابتلاء، هناك دول ترفع كلمة لا إله إلا الله في مآذنها، وتذيع إذاعاتها القرآن الكريم، وله توجيهاتها الإسلامية، ولها مناهجها الإسلامية ولكن إذا محص البلاء، إذا جاءت الفتنة، إذا عظم موج الفتنة ذهب إسلام هذه الدول، ووقفت مع أمريكا موقفًا صريحًا، أو موقفًا مبطّنًا.

«والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم»، الدين إذا كان مركب مصالح، الدِّين إذا كان طريق ربح مادي، فإنه مطلوب حتى لأمريكا.
أمريكا تتخذ من الدِّين سفينة؛ من أجل الوصول إلى استعباد الشعوب.

مقبول هذا الدِّين عند أمريكا كما هو مقبول عند كثير من الدول الإسلامية، ولكن الدين الذي يمثل رؤية الحياة، ويمثل مسلك الحياة، ويمثل في شعوره الإنسان، ارتباطه بقدره، وبمصيره، ويختاره على أنه المصير، وعلى أنه قدره المطلوب هو الدِّين الذي يستطيع أن يصنع لك حاضرك، ويصنع لك مستقبلك، ويصنع لك كل أوضاعك.[١٠٩]

١٠٩- وحاضر، ومستقبل وأوضاع يصنعها الدين الحق لا بد أن قويمة كبيرة رابحة.

هنا سؤال: كيف يمكننا التخلص من العبودية للدنيا؟

كيف نستطيع التحرر، التمرد على هذه الآلهة الكاذبة في أنفسنا؛ آلهة الدنيا؟

فكّر في البداية، كيف كنت؟

من أين كنت؟

كيف بدأت؟

انظر إلى ذاتك في بداية خلقك في الرحم، وفكر في مصيرك، وإلى أين ستنتهي، وبماذا ستخرج من هذه الدنيا؟

اطرحوا على أنفسكم الأسئلة الكبيرة.

الإعلام الماديَّ دائمًا يجرّنا إلى الأسئلة الصغيرة، كيف أضيف إلى بيتي لونًا آخر؟

كيف أصل إلى تبديل سيارتي؟

كيف أصل إلى موقع فلان المادي؟

أسئلة لك أن تسألها، لك أن تطرحها على نفسك؛ من أجل أن تطور مستواك المادي، ولكن هناك أسئلة كبرى، يرتبط بها مصيرك، يرتبط بها مستواك الإنساني، يرتبط بها مستوى أمَّتك.

هذه الأسئلة الكبيرة الإعلام المادي، والإعلام العالمي الاستكباري دائمًا يهرب بنا عن طرحها، وعن مواجهتها، وعن طلب الإجابة عليها.

أسئلة مصيرية كبيرة كالسؤال عن البداية، السؤال عن المصير، السؤال عن قيمتي كإنسان، السؤال عن دوري الذي جئت من أجله في هذه الحياة.

السؤال عن مستوى أمَّتي، وفي أي موقع هي؟

ما هو تاريخي؟

من هم رموزي وقادتي؟

ما هو المنهج الحق الذي يجب أن أتبعه في هذه الحياة؟
أسئلة كبيرة لا بد أن تطرحها على ذاتك، لا بد أن تربط ولدك منذ نعومة أظفاره بهذه الأسئلة، تفتح واعيته عليها، على أهميتها.

إذا لم تتحدد أجوبة واضحة عندنا على هذه الأسئلة الكبيرة، فنحن لن نعرف المنطلق، ولن نعرف الهدف، ولن نعرف المنهج، وسنكون رخاصًا، وسنكون ألعوبة بيد الأمم الأخرى، وبيد أي مثقف منحرف، وهو يستطيع أن يصوغنا الصياغة التي يريدها.

أجوبة هذه الأسئلة الضخمة ومن رحمة الله سبحانه وتعالى جعلها الله لا تحتاج إلى فلسفة كثيرة، ولا تحتاج إلى علم غزير، ولا تحتاج إلى تأمّلات كبيرة، يكفيك فقط تأمل يسير لتعرف ما أنت، ما قيمتك، وأن قيمتك ليست في بيتك، وليست في سيارتك، وليست فيما تلبس، ثوبك هذا ستخلعه بعد حين، كل أشيائك ستغادرها.
إذن ما أنت بعد أن تغادر هذه الأشياء؟
هل أنت الإنسان السوي؟
أم يتحول أحدنا إلى أخس مما عليه مستوى الحشرات؟!

الأسئلة الكبيرة الجذرية وهي مطروحة من داخل النفس، تمتلك ذات النفس أجوبتها بالفطرة، فلو استطعنا أن نهرب بذواتنا عن تأثير الإعلام المادي لوجدنا الأجوبة على هذه الأسئلة الكبيرة الضخمة مخزونة في ذواتنا، وجدنا فطرتنا تتحدث لنا عن صلتنا بالله، وعن عبوديتنا لله، وعن ربوبية الله لنا، وعن اليوم الآخر، وأن المنهج الحق هو منهج العدل، ومنهج الصدق، ومنهج التوحيد، وأن

الـدور المناسب للإنسان هنا ليس دور الحشرة والقـرد والحمار، إنما هو دور أن يبنـي ذاتـه لتتقدس، يبني ذاته للتنـور، لأن يبني ذاته لأن تصعـد إلى الله (عزَّ وجلَّ)، إلى أن تقرب بمستواها بل تتجاوز مستوى ملائكة الله.

أيها الإخوة، خـذوا الدنيا ممرًّا، واتخذوا من الآخرة مقـرًّا، وقدروا إنسانيتكم، وقدروا انتماءك الكبير للإسلام، وكونوا مع الحق، وعلى الباطل.

كونـوا صرخة مدوية في وجه إسرائيل، في وجـه أمريكا، في وجه كل باطل، كونوا طلاب حق، كونوا مصلحين.

وكونـوا دائمًـا على طريق الإمـام الحسين عليه السلام لا تسلك قدمـه خطوة إلا على طريق الكمال، ولا يميل شعرة عن طريق الحق.

كونوا جنودًا لكربلاء.

كونوا جنودًا لعاشوراء، في بيوتكم، في قريتكم، في مدينتكم، في بحرينكم، في كل العالم.[١١٠]

تستطيع اليوم أن تنطلق بصوتك المجلجل بالحق من قريتك الصغيرة؛ ليصل إلى العـالم كله؛ ليضيئ شمعة في هـذا العالم المظلم الذي كلما تحكمت الجاهلية فيه ازداد ظلمة وبغيًا وجورًا.[١١١]

١١٠- وجنـود عاشـوراء لـكل خـير، وضد كل شر، همُّهـم أن ينيروا هذا العالم بأنـوار الهدى، وأن يردّوه دائمًـا إلى طريق الصلاح والأمن والسلام.

١١١- كلمة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في يوم عاشر عصرًا ١٤٢٤هـ.

(عضّوا بالنواجذ
على عاشوراء،
وأعطوها ما
استطعتم، تُفلحوا)

نداء لكم..
نداء للمجتمع..
نداء للأمَّة.

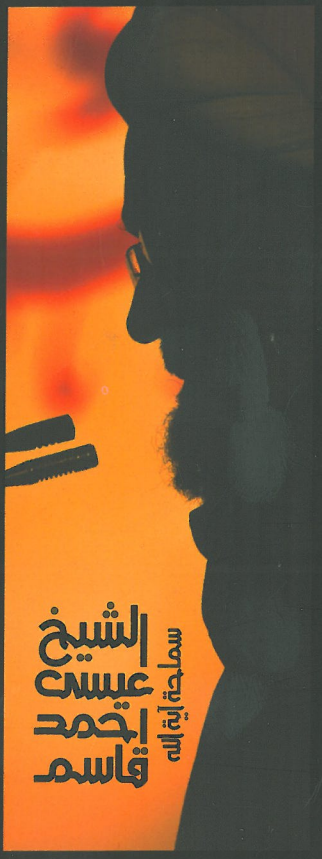

ترحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:
مبنى ٤٠ ، طريق ٤٨ ، مجمع ٤٤٤ ، هاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢ فاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠ ، الادارة النسوية : تليفاكس: ١٧٥٩٢٦٧٣
حلة العبد الصالح ، مملكة البحرين الموقع الالكتروني: www.olamaa.net البريد الالكتروني: info@olamaa.net

من إصداراتنا...

للحصول على نسختك يرجى الاتصال على الأرقام التالية:

هـاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢

فـاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠

للنساء: ١٧٥٩٢٦٧٣

www.Olamaa.net